


تهذيب

المواهب السرمدية

في أجلاء السادة النقشبندية

للشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي النقشبندي



هذبه وحققه

بسام حسن عمقية

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار حــراء

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق- أبو رمانة - ☎ ٣٣٣٨٩٤٢ - ٢٢١٦٥١٤



مُقدِّمَة

الحمد لله صاحبِ الفضل والإنعام، مزجي النعم ومسدلِ الستر على الأنام، صاحبِ المنةِ على الورى بدين الإسلام... والصّلاةُ والسلام على سيدنا محمّـدٍ بدرِ التمام، الرحمةِ المُهداة وماحي الظلام، وعلى آله وصحبه الأتقياء الأعلام، وعلى ورثته من العلماء الكرام..

أما بعد... ما أعظم الإسلام وما أجمله وأحلّه إذا ما أُخِذ بجوهره وحقيقته، حتى لترى الناس يهيمون به، ويستهمون عليه كما يستهيم الظمآن على الماء البارد، ويتناولونه بالمديح والثناء، ويرون فيه منحةً إلهيةً لا يؤدّون من حقها نقيراً حتى ولو سجدوا على الجمر...

وأما إذا ما شُوِّه، وعُرِض على غِرار حقيقته، فلا بد أن ينفرَ منه البشر ويزدرئونه.. ولا حرم في ذلك، إذِ الذنبُ ليس ذنبهم، ولكنه ذنب ذاك المسلم الداعي الذي افتقر إلى التربية والحكمة فأفسد ما أراد أن يصلحَ من حيث لا يدري....

فأين هو العالم العامل الحكيم الوريث المربي المزكي؟؟!! وإن وُجِد.. فأين من يعرف قدره؟؟

أجل.. ذاك هو الداء المعضل الذي سرى في جسد الأمة الإسلامية فأوهنه وأزراه، وأرداه على الأرض عليلاً سقيماً، ونحن جميعاً من حوله نرمقه بعين الرحمة والشفقة.. إنه يتلقّط أنفاسه الأخيرة.. فأين الطبيب الذي سينقذه ويعيد إليه الحياة؟؟ وأين هو الدواء؟؟

الطبيب موجود.. والدواء موجود.. **الصوفية**.

هل في ذلك مبالغة أو ميل عن الحق والحقيقة؟؟

أقول: كلا.. لأن الصوفية، إذا ما شُذِّبت ونقِّيت من شوائبها، ليست إلا التربية المحمدية بعينها.. ولو درسنا الصوفية لوجدنا أنها تتطابق مع القرآن والسنة كتطابق الكفّ على الكفّ... ولو درسنا السيرة النبوية لوجدنا أن النبي ﷺ هو أستاذ التصوف، وصحابته كانوا نعم المريدين، بل نعم السالكين، بل نعم الخلفاء..

إن هذه المقدمة البسيطة لا تسنح لي أن آتيَ بالأدلةِ والشواهد، ولكني فتحت باب الدراسة والبحث أمام القرّاء.. ولن يكلفَ الأمر إلا القليل من التفكر والتدبّر لتدركَ أن العودةَ إلى التصوف هي بحدِّ ذاتها عودة إلى الإسلام بجوهره.. فإن كانت الصوفية واصطلاحاتها قد أثارت الجدل والجِدال، فلنعدْ إذن إلى القرآن والسنة، ولنتجاوزْ تلك الاصطلاحات طالما أن النتيجة واحدة...

تلك هي الدعوة التي قام من أجلها سماحة الشيخ أحمد كفتارو، فجاهد ودافع وذبَّ، وطرق أبواب العقل والحكمة، وبدّل تلك الشاخصات على طريق الإسلام والتربية الإسلامية، والتي كانت تحمل مصطلحات الصوفية، بشاخصاتٍ تحمل مصطلحات القرآن والسنة، فمهّد الطريق وسلّكه، ودعا قوافل الإسلام التي سلكت الأفرعَ إلى هذا الطريق، فلمّ الشمل، وصحح المسيرة، ووحد الأمة، وأزال لافتات التعصّب والتمذهب حتى غدا هذا الطريق حديث المحدّثين، وكعبة القاصدين...

فإن وُجِد المعلم، فأين الطلاب؟؟!!

حقيقة المعلم، أداء حقوقه، تبجيله واحترامه، أصول التربية الروحية وقواعدها، حقيقة التزكية وأصولها، أهمية المجالسة والتلقي.. هي إحدى الأهداف التي من أجلها وضع هذا الكتاب.... والله من وراء القصد.

بسام حسن عمقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أضاءَ شموسَ الحقيقة في بروج حقائقِ قلوبِ أهلِ العِرفان، ومنحَ ذوي الأسرار النفيسة كمالَ التحلّي في أفئدتهم، فأشرقَتْ به قوةُ الإيمان؛ والصلاة والسلام على من دعا إلى الله ، ودفع بالتي هي أحسن، فاستمدَّ من نوره الثقلان، سيدنا محمدٍ الذي علّم أمته كمال العبودية للوصول إلى الملك المنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور الحقيقة ونجوم الطريقة وأئمة القرآن .

أما بعد : فيقول المستعين بربه المبين، عبدُه الفقير إليه محمد أمين الشافعي مذهباً، النقشبندي مشرباً، الكردي نسباً، الإربلي بلدةً، الأزهري إقامةً : إنه لما منَّ الله عليَّ بنشر الطريقة العليّة النقشبندية[1]، قدَّس الله أسرارهم العليّة،

١- يقول الله عز وجل : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾، [العنكبوت ٦٩]، فمفهوم الطريقة لا يعني تشتيت المسلمين و تمذهبهم وتعصبهم و إنما يعني الأخذ بيد المسلمين و المضيُّ بهم في طريق التزكية والتربية الروحية بما يتطابق مع المنهج القرآني والمسلك النبوي المحمدي.

أما الطريقة النقشبندية فتعود في مشربها إلى سيدنا رسول الله ﷺ، ثم حمل سرها ونقل نورها سادة السلالة الذين أدرجنا أسماءهم في نهاية هذا الكتاب، وإنما نسبت إليها هذه التسمية في زمن شيخ الطريقة محمد بهاء الدين النقشبندي الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند (٧١٧هـ/١٣١٧م - ٧٩١هـ/١٣٨٨م) .

وقد قام الشيخ أحمد كفتارو وهو آخر سادات هذه السلالة الشريفة الزكية بإلغاء المصطلحات الصوفية والعودة إلى مصطلحات القرآن الكريم حفاظاً على الوحدة الإسلامية وقلعاً لجذور الفتنة و ترغيباً للمسلمين بالعودة إلى التربية الروحية . راجع كتاب (الشيخ أحمد كفتارو ومنهجه في التجديد و الإصلاح).

وكانت غريبةً بهذه الديار المصرية، رأيت أن أتحفَ طالبي هذه الطريقة العليّة بتراجمِ ساداتنا السابقين، ونشر شذا أحوال سلفنا الأولين من شيخنا إلى رسول الله ﷺ في مؤلّفٍ بين الاختصار والتطويل، خدمةً لطالبي الحق وإيقاظاً لهِمَمِهم من سِناتِ الغَفَلات، فإن حكاياتِ الصالحين كما قال الجنيد : جندٌ من جنود الله عز وجل يرفع الله به من شاء إلى حظيرة قربه، وبياناً لآبائهم الروحانيين الذين هم أحقُّ بأن يُعرفوا من الآباء الجسمانيين، لأن الروح ألصق بك من بدنك، فالأبوّة قسمان : أبوةٌ جسمية وأبوةٌ روحيةٌ، فالأب الجسمي شأنه تنمية عالم الخلق، والأب الروحي شأنه تنمية عالم الأمر... فلذا كان لأب الروح الرتبة العليا، والمنزلة الفضلى، ويليه أبو الجسم، ولهذا قال سلطان العاشقين[1] للجمال الأقدس في النسب الروحاني :

نَسبٌ أقْربُ في شرعِ الهوى   بيننا من نسبٍ من أبوين

وأجمع العارفون على أنّ من لم يصحَّ له نسبٌ إلى القوم فهو لقيطٌ في الطريق، وكيف تصحُّ نسبةُ شخصٍ إلى من لا يعرفه ؟ فإن هذه اللُّحمة[2] الروحانية، والنسبة الباطنية، والرابطة المعنوية بين الشخص وسلفه من الصوفية لا تصحُّ حتى يعملَ بأعمالهم ويسيرَ بسيرتهم، ويهتديَ بهديِهم، وكيف يسير بالسيرة من لا يعرفها ؟ أم كيف يتخلّقُ بالأخلاق من يجهلها ؟ ولهذا لا يصح للمريد الصادق أن يَقْنعَ بمعرفة أسماء شيوخه، بل لا بد له من معرفة معانيهم التي كانت لها مطايا حملَتهُم إلى الحق، وعندها نزل عليهم الفيض السُّبحاني من حضرة القدوس عز وجل، ومعرفة صفاتهم وتواريخهم كافلةٌ لك بذلك إن شاء

---

١ - هو الشيخ محيي الدين بن عربي.

٢ - اللُّحْمة هي القرابة والصلة .

الله، ولهذا قال بعض أكابر النقشبندية : (معرفة صفات المشايخ السابقين ربما تكون أنفع للمريد من رؤية أشخاصهم، وذلك لأنه قد يكون غليظَ البشرية فلا ينفذ إذا رآهم إلى ما أعطاهم الحق تعالى من سرّ الخصوصية) .

وقد جمعنا لهذا المهم العظيم الشأن كتباً كثيرةً في تواريخ المشايخ وآداب الطريقة، فارسيةً وعربيةً للمتقدمين والمتأخرين من خُلّص النقشبندية، واستخرجنا بتوفيق الله زبدتها، واستنبطْنا بحمد الله خُلاصتها، فمنها الحدائق الوردية، والحديقة النديّة، والبهجة السنيّة، والرشحات المكتوبات، ومفتاح المعيّة، وكتاب الخادمي، وغير ذلك، وسميناه (المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية)، وها أنا ذا شارعٌ في المقصود بعون الملك المعبود، وأسأل الله تعالى أن ينفع به الخاص والعام وأن يجعله خالصاً لوجهه على الدوام....



مقدِّمَة

اعلم أيها الطالبُ لمعرفة الحقِّ، الراغب لطريقِ الإخلاصِ والصدق، أن المقصود من خلقِ الإنسان في هذه الدار إنما هو أداء وظائف العبودية[1] التي هي نهاية مراتب الولاية[2]، وليس في درجات الولاية مقامٌ فوقها، ودوامها لا يُتصَوَّرُ إلا بأداءِ العبادة إذ هي عبارةٌ عن دوام الحضور مع الله تعالى، ولا تحصل إلا بالعشق والمحبة له عز وجل وعلا، إذا تعلَّقَ الطالبُ بها ينتج له الانقطاع عما سوى الحقّ، وبه يرقى إلى مقام العبودية، ولا تحصل له هذه السعادة إلا إذا رُزق قلباً سليماً بالجذب الإلهي، ولا سببَ له في تحصيل ذلك الجذبِ أقوى من صحبة الشيخ الكامل الذي كان سلوكه بطريق الجذبة الإلهية، وملازمة خدمته، وحسن السلوك، والاعتقاد، والإخلاص والتّخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل، كي يرقى إلى درجاتِ المراقبة لله تعالى والخوف منه كما كان عليه الأولياء الصالحون، والعلماء العاملون، خصوصاً ساداتنا النقشبندية قدَّس الله أسرارهم .

١- وهي مرتبة لخاصة السالكين الذين صحَّحوا النسبة إلى الله بصدق القصد وكامل الطاعة وقال الشيخ الأكبر ابن عربي مقام العبودية هو ما شاهد نفسه لربه .

٢- الولاية في اصطلاح الصوفية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلّغه غاية مقام القرب والتمكين

ولما كانت الطرائق كلها مستويةً بالنسبة إلى الدلالةِ على الله تعالى، ولم تختلفْ وتتفاوتْ إلا بالنسبة لأقربية الدلالة والوصول إلى الله تعالى، وكان من أقربها وأسهلها على المريد وصولاً إلى أعلى درجات التوحيد طريقتنا النقشبندية العليَّة، رأينا أن نذكرَ لك أيها المريد الصادق من كلام مشايخنا في هذه الطريقة ما تهتدي ببركتهم إن شاء الله تعالى....

فنقول إنّ طريقَ السادة النقشبندية هو معتقدُ أهل السّنة والجماعة، وهي طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها، لم يزيدوا فيها ولم يُنقِصوا منها، حالهم على الدوام، ووقتهم على استمرار التّجلي الذاتي[1] الذي لغيرهم كالبرق لهم دائمٌ، والحضور الذي يعقبه غيبةٌ[2] ساقطٌ من حيّز الاعتبار عند هذه السادة الأخيار، فاقصدهم واستنشق عُرْفَهم الطيّب، لعلك تظفُر بواحدٍ منهم فتفوزَ بهذا الجوهر النفيس، وتشمَّ من أنفاس الطريق ما لا يخطر لك ببالٍ، ويزولَ عنك التلبيس[3] ، فإن طريقتَهم أسهل الطرق الموصلة إلى الله تعالى، لأن مبناها على التصرف وإلقاء الجذبة[4] المتقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثه، وهي طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حباً، ويستوي في استفاضتها الشيوخ والشباب، وفي إفاضتها الأحياء والأموات .

١- التجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، والتجلي الذاتي هو تجلي الذات وحدها لوحدها، وهي الحضرة الأحدية التي لا نَعْتَ فيها ولا رسم .

٢- للغيبة عند الصوفية معانٍ متعددة والغيبة في الأبواب تختلف عن الغيبة في المعاملات، وتختلف عن الغيبة في الأخلاق، وتختلف عن الغيبة في الأصول؛ والتعريف العام لها هو غيبة السالك عن العلم لقوة نور الكشف .

٣- التلبيس هو ستر الحقيقة وظهورها على خلاف ما هي عليه، أو هو التغطية والتخليط .

٤- الجذبة هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له وذلك حسب استعداده.

فقال الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند قدَّس الله سره : (المُعرِضُ عن طريقتنا على خطرٍ من دينه)[1] ، وقال : (طريقنا أقرب الطرق إلى الله تعالى)، وقال الخواجة[2] عبيد الله الأحرار قدَّس الله سره : (وكيف لا تكونُ أقربَ وموصلةً، وانتهاؤها مندرجٌ في ابتدائها ؟)

فالمحرومُ من يدخلُ هذا الطريق ولا يستقيم، ويروح لا نصيب له، وما ذنب الشمس إذا لم تكنْ هناك عينٌ تُبصِر ؟! .

فإذا دخلت في سلك إرادة هذه الأكابر فلا بد لك من متابعتهم، واحذرْ من مخالفتهم حتى تسعَدَ بكمالاتهم وتتشرّفَ بحالاتهم قوةً حديدةً .

ولا يكون الدخول في هذه الطريقة العليَّة إلا بالتلقين من شيخٍ كاملٍ خبيرٍ بالطريق، لأن السرَّ في التلقين إنما هو لارتباط القلوب بعضها إلى بعضٍ إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل، فمن لم يدخلْ في طريقهم بذلك فهو غيرُ معدودٍ منهم، فلا يجيبه أحدٌ إذا حرك السلسلة، فهذا أعظم باعثٍ لي على جمع هذه التراجم ليكون الولد الروحي[3] على بصيرةٍ من أمر والده وجدّه فيزداد نشاطُ همّته .

١- ليس في قوله هذا مغالاةٌ أو استثثارٌ إذ أن مسلك التربية في هذه الطريقة أقرب من غيره إلى المسلك النبوي وكل من يبتعد عن المسلك النبوي لا شك أنه على خطر من دينه.

٢- كلمة فارسية تعني العالم أو الشيخ .

٣- يقصد بالولد الروحي حصول النسبة إلى الشيخ ومنه إلى رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ : (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)، وقال ﷺ : (أنا جد كل تقي) .

واعلم أن للطريقة النقشبندية ثلاث سلاسل :

الأولى : وهي السلسة المتصلة من مدينة العلم إلى بابها الأعظم سيدنا الإمام علي بن أبي طالب، إلى سيد الشهداء أبي عبد الله الإمام الحسين إلى سيدنا الإمام زين العابدين علي الأصغر، إلى سيدنا الإمام محمد الباقر، إلى سيدنا الإمام جعفر الصادق، إلى سيدنا الإمام موسى الكاظم، إلى سيدنا الإمام علي الرضا، إلى سيدنا معروف الكرخي، إلى سيدنا السّريّ السقطي، إلى سيدنا أبي قاسم الجنيد البغدادي، إلى سيدنا الشيخ أبي علي الروذباري، إلى سيدنا أبي علي الكاتب، إلى سيدنا أبي عثمان المغربي، إلى سيدنا أبي القاسم الكركاني، إلى سيدنا أبي علي الفارمدي (شيخ السلسلة الثالثة)؛ وهذه هي المسماة بسلسلة الذهب لاتصالها بآل البيت الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين .

الثانية : وهي السلسلة المتصلة من روح العالم، إلى صفوة الكرم سيدنا علي المرتضى، إلى سيدنا الحسن البصري، إلى سيدنا حبيب العجمي، إلى سيدنا داوود الطائي، إلى سيدنا معروف الكرخي (شيخ السلسلة الأولى)، وعنده تجتمع السلسلتان رضوان الله عليهم أجمعين .

الثالثة : وهي السلسلة المتصلة من حضرة شيخنا وأستاذنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ عمر قدّس الله سرّه، إلى أبي الأرواح الأكبر البشير النذير سيدنا محمد ﷺ، وإني، و لله مزيد الحمد والمنة، أنا الفقير الحقير إلى ربي القدير محمد أمين الكردي الإربلي قد تشرّفت بأخذ هذه الطريقة العليّة النقشبندية بعمومها وخصوصها، ومفهومها ومنصوصها، على شيخ الوقت والطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، من ضاءَ على الكون ضوء القمر، حضرة مولانا وشيخنا

الشيخ عمر قدّس الله سرّه، وهو عن أبيه تاج الملة والدين الشيخ عثمان قدّس سرُّه، وهو عن ضياء الدين مولانا الشيخ خالد قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله الشيخ عبد الله الدهلوي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ نور محمد البدواني قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ محمد معصوم قدّس سرُّه، وهو عن والده الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ مؤيد الدين محمد الباقي با لله قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ محمد الخواجكي الأمكنكي قدّس سرُّه، وهو عن والده العارف با لله تعالى الشيخ درويش محمد قدّس سرُّه، وهو عن خاله العارف با لله تعالى الشيخ محمد الزاهد قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ ناصر الدين عبيد الله الأحرار قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ يعقوب الكرخي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ محمد علاء الدين عطار قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى إمام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ أمير كلال قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ علي الرامتني قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ محمود الإنجير فغنوي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ عارف الريوكري قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ أبي يعقوب يوسف الهمداني قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ أبي علي الفارمدي

قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدّس سرُّه، وهو عن العارف با لله تعالى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، وهو عن جده العارف با لله تعالى قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو عن سيدنا أبي بكر الأكبر رضي الله عنه، وهو عن النبي ﷺ وهو عن جبريل عليه السلام، وهو عن الله عز وجل .

واعلم أن ألقاب السلسلة تختلف باختلاف القرون، فمن حضرة الصديق رضي الله عنه إلى الشيخ طيفور بن عيسى أبي يزيد البسطامي تُسمى (صدّيقية)، ومنه إلى الخواجكان الشيخ عبد الخالق الغجدواني تسمى (طيفورية)، ومنه إلى حضرة الشيخ بهاء الدين محمد الأويسي البخاري قدّس سرُّه تُسمى (خواجكانية)، ومنه إلى حضرة الشيخ عبيد الله الأحرار تُسمى (نقشبندية)، أي منسوبةً إلى (نقش بند)، ومعناه ربط النقش، لأن الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي كان يذكر الله بالقلب وظهر لفظ الجلالة إلى ظاهر قلبه، فلذا سُمِّيت نقشبنديةً؛ ومنه إلى حضرة الإمام الرباني مجددِ الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي تُسمى (أحرارية)، ومنه إلى حضرة مولانا الشيخ خالد تُسمى (مجدّدية)، ومنه إلى عصرنا تُسمى (خالدية)، بل إلى أن تتصلَ إلى حضرة المهدي صاحب الزمان على حسب ما بَشَّر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الإلهي، لأن هذه الطريقة هي الملائمة المناسبة لما سيكون عليه الصحو الصّدّيقي، والرجوع إلى البقاء الحقيقي بدعوة الخلق وهدايتهم إلى الحقّ برآسة

الظاهر والباطن، وفتح القلاع والمواطن، وهي متصلةٌ بحبل الله المتين إلى يوم الدين .

ولما كانت السلسلة الثالثة الصدِّيقية هي المشهورة بين مشايخ الطريق الأطهر، وهي التي كان يمليها شيخنا وأستاذنا (الشيخ عمر) قدِّس سرُّه على الإخوان ويذكر رجالها في دعاء (ختم الخواجكان)[1] فقد اعتنينا بترجمة رجالها دون الأولى والثانية بادئين التراجم بشمائل المصطفى ﷺ عسى أن يفيضَ علينا من تيار زُلال مددِهِ الفيَّاض، ويزيلَ من قلوبنا وَصْمَةَ[2] الإعراض، ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾[3] .



١- الخواجكان : جمع خواجة، وتعني العلماء أو المشايخ .

٢- الوصمة هي العيب والعار .

٣- سورة النور الآية (٤٦) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكلام على شمائل النبي ﷺ

ولد ﷺ بمكة المكرمة في شهر ربيع الأول يوم الاثنين عام الفيل[1]، ورأت أمه السيدة آمنة حين وضعته نوراً خرج منها أضاءت له قصور بصرى، ووقع وبصره مرتفعٌ إلى السماء، وأرضعَتْه ثُوَيْبَة جارية عمه أبي لهب، وبعدها حليمة السعدية، فأقام عندها في بني سعدٍ أربعة أعوامٍ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فشقَّ صدره[2] فخافت عليه، فردَّته إلى أمه، فخرجت به إلى المدينة المنورة لزيارة أخواله فمرضت وهي راجعةٌ به، فتوفيت ودفنت في الأبواءِ، وعمره نحو ستٍّ سنين، فحملَتْه أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة المكرمة فكَفِلَه إلى ثماني سنين ثم توفي، وقد أوصى به إلى عمه أبي طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته .

وأمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل عليه السلام أن يقومَ بملازمته فكان قرينَه إلى أن تمَّ له إحدى عشرة سنةً، ثم أمر جبريل عليه السلام بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة والحفظ لكن لم يظهَرْ له ولم يكلِّمْه وسافر مع عمه إلى الشام

---

١ - لاثنتي عشرة خلت منه عند أغلب المؤرخين .

٢ - الروايات التي ذكرت شق صدر النبي ﷺ كثيرة أشهرها حديث ابن عباس يقول فيه : عن حليمة السعدية مرضعته ﷺ : (فلما انتصف النهار أتاني أخوه يعدو فزعاً وجبينه يرشح باكياً ينادي : يا أبت ويا أماه الحقا أخي محمداً القرشي فما تلحقانه إلا ميتاً، قلت وما قصته ؟ قال : بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا، وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه حتى شق صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به .

تقول حليمة : فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعياً فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصاً ببصره إلى السماء يبتسم ويضحك، فأكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له : فدتك نفسي ما الذي دهاك ؟ قال : خيراً)

حتى وصل إلى بصرى فرأى بَحيرا الراهب منه علامات النبوة، فقال لعمه : ارجع به لئلا يقتله اليهود، وكان سنُه الشريف اثنتي عشرة سنةً .

ثم سافر إلى الشام مع غلام السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها في تجارة لها واشترى، فرأى منه ميسرة العجائب، وما خُصَّ به من المواهب، فأخبر السيدة خديجة فخطبته فتزوجها وهو ابن خمسٍ وعشرين سنةً وهي بنتُ أربعين، وصار يدعى بالأمين .

ولما قرُبت أيام الوحي أحب الخَلوة والانفراد، فكان يتخلى في غار حراء[1] بالذكر، فكان بعيداً من المخالطات، حتى من الأهل والمال، واستغرق في بحر الأذكار القلبية، فانقطع عن الأضداد بالكلية، وظهر له الأُنس والخلوة بتذكر من له خلوة .

ولم يزَلْ في ذلك الأنسِ ومرآةُ الوحي تزداد من الصفاء والصقالة حتى بلغَ أقصى درجات الكمال وهو قائمٌ في غارِ حراء، إلى أن أمضى من عمره أربعين عاماً، فبينما هو كذلك إذ ظهر له شخصٌ فقال له : أبشر يا محمد أنا جبريل، وأنت رسول الله لهذه الأمة، ثم أخرج له قطعةً من حريرٍ مرصَّعةً بجوهرٍ، فوضعها في يده وقال له : اقرأ، فقال : ما أنا بقارىءٍ، فضمَّه وغطَّه حتى بلغَ من الجَهد، ثم قال له : اقرأ، فقال : ما أنا بقارىءٍ، فغطَّه كذلك ثلاثاً ثم قال له : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ۝ خلق الإنسان من علق ۝ اقرأ وربك الأكرم ۝ الذي علم بالقلم ۝ علم الإنسان ما لم يعلم﴾[2] .

---

١ - حراء غار قرب مكة في جبل أبي قبيس .

١ - سورة العلق الآية (١-٥) .

ثم قال له : انزل من على الجبل، فنزل معه إلى الأرض ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماءٍ، فتوضأ جبريل وأمره أن يفعلَ كفِعْلِهِ، ثم أخذ كفّاً من ماءٍ فرشَّ به وجه الرسول ﷺ ثم صلى به رَكعتين وقال : الصلاة هكذا، وغاب، فرجع إلى مكة وقصَّ على خديجة ذلك وقال : قد خشِيت على نفسي، فثبَّتَتْه وصدَّقَتْه، فكانت أول من آمن به.

ثم أتت به ورقةَ بن نوفل[1] فقصّ عليه ما رأى فصدَّقه فكان أول رجلٍ آمن، وقال : (هذا الناموس الذي أُنزل على موسى ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك)، قال : (أوَمُخْرِجِيَّ هُم ؟!)، قال : (ما جاء أحدٌ بمثل ما جئت به، إلا عودِيَ) .

ثم أقام بمكة ثلاث عشرة سنةً يدعو الناس إلى الدين، وكان يستقبل في صلاته بيتَ المقدس، ولما كثُر المسلمون اتخذ دار الأرقم، فاختفوا فيها ثلاث سنين، ثم أُمر بإظهار الدين فدعى إلى الإسلام جهراً .

وأنزل الله القرآن، فتحداهم بسورةٍ منه فلم يقدِروا، ثم قَبْل الهجرة بعامٍ ونصفٍ أُسْرِيَ به من مكة للقدس على ظهر البراق، ثم علا إلى السماء ومعه جبريل فأتى الأنبياء كلَّ واحدٍ، ففرحوا به، ثم علا به إلى مستوى سمع فيه صريف[2] الأقلام، ثم دنا فتدلى، ففرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاةً، فلم يزَلْ يراجعُه ويسألُه التخفيف بإشارةٍ من موسى عليه الصلاة والسلام حتى جعلها خمساً .

---

٢ - هو ابن عم خديجة وكان شيخاً كبيراً قد عمي، وكان من الحنفاء الذين نبذوا عبادة الأوثان .

١ - أي صوت الأقلام حين تجري .

فلما رجع أخبرهم فصدَّقه الصديق وكذَّبه الكفار .

وأسلمت الأنصار ففشا الإسلام بالمدينة، فهاجر إليها المسلمون، وأراد أبو بكرٍ أن يهاجرَ فمنعه حتى هاجرا معاً، فخرجا إلى غار ثورٍ ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما، وابن أُرَيْقِط يدلُّ على الطريق، فسلكوا طريق الساحل، وأعمى الله عنهم العدو، فرآهم سُراقة فتَبعهم يريد قتلَهم، فدعا عليه المصطفى ﷺ فساخت فرسه في الأرض فناداه : (الأمانَ يا محمد)، فدعا له، فخلص وحلف أن لا يدُلَّ عليه أحداً، فرجع فلقيه الكفار يطلبونه، فقال : ارجعوا .

ثم مروا بخيمة أم معبدٍ فاستسقوها لبناً، فقالت : ما عندي، فنظر النبي ﷺ إلى شاةٍ أضَرَّ بها الجَهد وما بها لبنٌ، فمسح ضرعها فحلبت وشربوا .

وسافر حتى وصل إلى قباء يوم الاثنين من ربيع الأول، فأقام بها أربعاً وعشرين ليلةً، ثم رحل يوم الجمعة فأدركته صلاتها في الطريق فصلاها في المسجد المشهور[1]، وهي أول جمعةٍ صلاها . ثم ارتحل للمدينة، فبركت ناقته بمحل مسجده الآن، فنزل بدار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومنازل زوجاته، وبنى أصحابه حوله، وكانت المدينة كثيرة الوباء فزال بدعائه ونقل الله منها الحمى .

وفي هذا العام كان ابتداء الأمر بالأذان، وفي الثاني فُرض الصوم وزكاة الفطر والمال، وحوِّلت القبلة للكعبة وغزا بدراً، وفي الثالث غزا أُحُداً، وفي الرابع بنى النَّضير، وقُصِرت الصلاة وحُرِّم الخمر وشُرِع التَيمُّم وصلاة الخوف، وفي الخامس الخندق وبنى قريظة والمصطلق، وفي السادس عمرة الحديبية وبيعة

---

٢ - وهو مسجد قباء.

الرضوان، وفُرِض الحج، وفي السابع خيبر وعمرة القضاء وفي الثامن وقعة مؤتة وفتح مكة وحنَيْن، وفي التاسع تبوك وحجة الصدِّيق ويسمى عام الوفود، وفي العاشر حجة الوداع، وفي الحادي عشر وفاته ﷺ .



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكلام في صفاته الظاهرة والباطنة

لم يكن ﷺ بالطويل ولا بالقصير، لكنه إلى الطول أقرب، وكان بعيدَ ما بين المنكبين، أزهرَ اللون، عظيمَ الهامةِ[1]، واسعَ الجبين أزجَ الحاجبين[2]، أبلجَ[3] ما بينهما، كأنّ ما بينهما الفضة النقية، أدعج[4] العينين، مُفلّج الأسنان[5]، شعره غير جعدٍ قطَط[6]، ولا سبط[7]، بل وسط، أحسنَ الناس عنقاً، عريضَ الصدر، واسعَ الظهر، بين كتفيه خاتم النبوة مما يلي منكبه الأيسر، فيه شامةٌ سوداء، وحولها شعراتٌ متوالية، طويل الزندين[8]، شثْن الكفين[9]، يضع يده على رأس

---

١ - الهامة هي الرأس .

٢ - أي مقوّس الحاجبين .

٣ - واضحاً وبيناً وبعيد ما بينهما .

٤ - الأدعج هو شديد سواد العين .

٥ - أي بين أسنانه انفراج .

٦ - يقال عن الشعر جعدٌ قطط إذا كان فيه التواءٌ وانقباض .

٧ - السبط هو الشعر المرسل .

٨ - الزند هو موصل الذراع بالكف .

٩ - الشثن الأصابع بين الكثفين والقدمين .

الصبي فيُعرف من بين الصبيان بطيبِ ريحها على رأسه، معتدل الخَلق، يمشي هوناً[1] بغير تبختُرٍ[2]، عَرَقُه كاللؤلؤ في البياض، والمسك في الريح .

وكان أحلمَ الناس وأشجعَهم وأعدلَهم وأجودَهم، لا يبيت عنده درهمٌ ولا دينارٌ، وما يُسأل قط فقال لا، وأصدقَهم لهجةً[3]، وأشدَّهم تواضعاً، وألينَهم عريكةً، وأكرمَهم عشرةً، وأعظمَهم حياءاً، لا يثبت بصره في وجهِ أحدٍ، يَقْبَل الهدية ولو جَرعةَ لبنٍ، ويكافىء عليها بأكثر، ولا يأكل الصدقة، ويغضب لربه لا لنفسه، يُنْفِذُ الحق وإن عاد بالضرر عليه، لطيفَ الظاهر والباطن، يُعرف في وجهه غضبُه ورضاه، وإذا أهمَّه أمرٌ أكثر من مسِّ لحيته، يتكلمُ بكلامٍ بيِّنٍ يحفظه من سمعه، ويعيد الكلمة ثلاثاً أحياناً لتُعقل عنه، متواصلَ الأحزان، دائمَ الفكر، لا يتكلم في غير حاجةٍ، كثيرَ البكاء والضراعةِ،يمشي مع المساكين والأرملة لقضاء حوائجها، ويخصف[4] نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم أهله، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويزور قبور المؤمنين، ويسلِّم عليهم ويستغفر لهم، ويركب الفرس والبعير والحمار، ويركب منفرداً، ويُردف[5] أحيانا خلفه عبده أو زوجته وغيرهما، ويجالسُ الفقير، ويؤاكلُ المسكين، ويُكرِم أهل الفضل، ويتألَّف[6] أهل الشرف ويجلس للأكل مع العبيد ويأتي إلى بساتين

---

١ - أي بالتواضع والسكينة .

٢ - التبختر هو التكبر والعجب .

٣ - أي منطقاً وحديثاً .

٤ - يلصقه أو يضمه بخرز .

٥ - بمعنى يُركب خلفه .

٦ - أي يجتمع إليهم بالمودة والرحمة .

إخوانه إكراماً لهم، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارسٍ، لا يَهُولُـه[1] شيءٌ من أمر الدنيا، لا يَحقِرُ مسكيناً لفقره، ولا يهابُ مَلِكاً لُملكه، ولا يواجه أحداً بما يكرهه، ويمزح ولا يقول إلا حقاً، ولا يضحك إلا تبسُّماً، يَعجبُ مما يَعجبُ منه جلساؤه، ولا يجلس إلا على ذكر الله، وكان أكثرُ جلوسِه مستقبلاً محتبياً بيديه

وكان يأكل ما وجد، ولا يتكلّف[2] ما فَقَدَ، وإذا حضر طعامٌ لا يردُّه، وما عابَ طعاماً قطُّ، بل إن أعجبه أكله وإلا تركه، وأكل لحمَ الإبلِ والغنمِ والدجاجِ والسمكِ والرطبَ والتمرَ، وشرب اللبن صِرفاً[3] وممزوجاً، وأكل الخبز بتمرٍ، وتارةً بخلٍّ، وتارةً بشحمٍ، وكبدَ الغنم شوياً، والقديد[4] والدُّبَّاء[5]، وكان يحبها، والجُبن والثَّريد[6] والخبزَ بزبيبٍ وزبْدٍ، وإذا لم يجدْ شيئاً صبر حتى شدَّ الحجرَ على بطنه الشريفِ، وكان يأكل لحمَ الطيرِ الذي يصادفه ولا يتبَعُه ولا يصيده، ويأكل اللُّقمةَ السَّاقطة ويقول: **(لا ندعها للشيطان)**، يتبع ما سقط من المائدة ويقول: **(من فعله غُفِرَ له)**، ويسمّي الله أول طعامه، وإذا فرغ حمِده، ولا يأكلُ متكئاً، ويعجبه الذّراع والعجوة[7] والعسل والحلوى، وأحَبُّ الفاكهةِ إليه العنب والبطيخ .

١- أي لا يخيفه ولا يفزعه .

٢ - أي لا يتجشم ولا يتحمل مشقة في طلب ما فقد .

٣ - أي دونما شيءٍ يخالطه .

٤ - القديد هو اللحم المقطع .

٥ - الدباء هو نبات القرع .

٦ - هو طعام من خبز يُفتُّ ويُبَلُّ بالمرق .

٧ - هو التمر المحشوُّ في وعائه .

وكان يلبس ما وجد، كتاناً أو صوفاً أو قطناً، والغالب القطن، قميصاً[1] أو رداءً أو إزاراً أو غيرهما، ويحب الثياب الخُضرَ، ولبسَ البُرْدةِ والجُبَّة والحُلّةِ الحمراءِ والقباءَ .

وكان لـه ثوبان للجمعة وبُردٌ[2] أخضر للعيد، ويلبس العمامة البيضاء والسوداء، والأكثر البيضاء بغير قلنسوةٍ وبها، وقلنسوةً بغير عمامةٍ، ويجعل لها غالباً عذبةً[3] بين كتِفَيه، ولم تكنْ عِمامته كبيرةً تؤذي الرأس، ولا صغيرةً تَقْصُرُ عن وقاية الحر والبرد، وكان له عمامةٌ تسمى السَّحاب فوهبها لعليٍّ، فكان إذا قدم فيها يقول : (**أتاكم عليٌّ في السَّحاب**) .

وكانت ثيابه كلها فوق الكعبين، ويلبس ثوبه من ميامنه[4]، وينزعه بالعكس، ويقول عند لبسه : (**الحمد لله الذي كساني ما أستر به عورتي، وأتجمل به**)[5]، وإذا لبس حديداً أعطى الخَلِق مسكيناً، وكان له ملحفةٌ[6] مصبوغةٌ بوَرْسٍ[7]، وكان له خاتمٌ من فضةٍ وفصُّه[8] منه، ونَقْشُه (محمدٌ رسول

١- هو اسمٌ لما يلبس من المخيط له كُمَّان وجيب ويحيط بالبدن .

٢- ثوب مخطط .

٣ - هي الطرف من العمامة يتدلّى بين الكتفين .

٤ - أي مبتدئاً باليمين .

٥ - رواه الطبراني والحاكم وابن أبي الدنيا والبيهقي عن عمر .

٦ - كل ما يلتحف ويتغطى به .

٧ - نباتٌ أصفر يصبغ به .

٨ - الفص بتثليث الفاء ما يركب في الخاتم من الحجارت الكريمة .

الله)، وكان يتختّم في خُنْصُرِ يمينه ويساره، لكن اليمين أكثر، ويلبَس النعال والتاسومة والخفّ .

وكان فراشُه من أدم[1]، حشوُه ليفٌ، طوله ذراعان وشيءٌ، وعرضه ذراعٌ ونحو شبرٍ وربما نام على حصيرٍ وعلى الأرض .

وكان يحبُّ الطيبَ، ويكره الريح الكريه، ويتطيَّبُ بغاليةٍ[2] ومسكٍ، ويتبخر بكافورٍ وعودٍ، ويتكحَّل بالإثمد[3] ثلاثاً في كل عينٍ، وكان أكثر دعائه : (**يا مقلب القلوب ثبتْ قلبي على دينك**)[4]، ومن دعائه : (**اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وعملٍ لا يُرفع، وقلبٍ لا يخشع، ودعاءٍ لا يُسمع**)[5]، ومنه : (**اللهم لاسهلَ إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئتَ سهلاً**)[6] .

وله ﷺ معجزاتٌ كثيرةٌ منها انشقاق القمر، ونَبَعَ الماءُ من بين أصابعه، فشرب العسكر كلهم وتوضوا من قدحٍ صغيرٍ ضاق عن بسط يده فيه، وحنَّ إليه الجذع الذي كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس صوتاً كصوت الإبل، فضمَّه إليه فسَكَن، وكلَّمَه الذراع، وشكى إليه البعير، وسلَّمت عليه الغزالة، وشهد له الذئب بالنبوة، وسعت إليه الشجر من مغارسها، وتفل في

---

١ - الأدم هو الجلد .

٢ - نوع من الطيب .

٣ - حجر يكتحل به يعرف في الكيمياء باسم الأنتيموان .

٤ - رواه ابن أبي شيبة عن شهر بن حوشب .

٥ - رواه الحاكم عن ابن مسعود

٦ - رواه ابن منصور عن أنس .

عين عليٍّ وهو أرمدُ فبرئت ولم يرمَد بعد، ومسح رِجْلَ ابن أبي عتيكة لما انكسرت فصحَّت، وقال في عثمان : (**تصيبه بلوة عظيمة**)، فكان ما كان، ودعا لعليٍّ بذهاب الحر والبرد فلم يحسَّ بهما بعد، ولابن عباسٍ بالفقه في الدين وعلم التأويل فصار بحراً، ولأنسَ بكثرة المال والولد وطول العمر، فرُزِق مائة ولدٍ، وعاش مائة سنةٍ، وصارت نخله تحمل في العام مرتين، ودعا على عُتبةَ بن أبي لهبٍ فقال : (**اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك**)، فأكله الأسد، وأطْعَم ألفاً في غزوة الخندق من أقلَّ من صاعٍ، ورمى الكفار يوم حنينٍ بقبضةٍ من ترابٍ فامتلأت أعينهم وانهزموا، وأخبر بأن عماراً تقتله الفئة الباغية فقتله جيش معاوية، وخرج على مائةٍ من قريشَ ينتظرونه، ووضع على رؤوسهم تراباً فلم يَرَوْه .



ومن كلامه ﷺ

وهو لا يحصيه إلا الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام : (ابن آدم، لك ما نويت وعليك ما اكتسبت وأنت مع من أحبَبْتَ)[١]، وقال ﷺ : (كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ، وعُدَّ نفسَك من أهل القبور)[٢]، وقال ﷺ: (كونوا في الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعوِّدوا قلوبَكم الرقة وأكثروا التفكُّر والبكاء)[٣]، وقال ﷺ : (اتخذوا عند الفقراء الأيادي، فإن لهم دولةً يوم القيامة)[٤]، وقال ﷺ : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)[٥]، وقال ﷺ : (حُسن الجوار عمارة الديار وزيادة الأعمار، ومن آذى جاره أورثه الله داره)[٦]، وقال ﷺ : (لا تُظْهِرِ الشماتةَ لأخيك فيرحمه الله ويبتليك)[٧]، وقال ﷺ: (احفظِ الله يحفظْك، احفظِ الله تجدْه أمامَك، وإذا سألت فاسألِ الله وإذا استعنت فاستعنْ با لله واعلم أن الأمة لو اجتمعت

---

١ - لم أقف على تخريجه

٢ - رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم وداوود عن ابن عمر .

٣ - رواه أبو نعيم عن الحكم بن عمير

٤ - رواه أبو نعيم عن الحسين بن علي .

٥ - رواه البخاري عن ابن عباس .

٦ - رواه النسائي عن ابن ماجة .

٧ - رواه الترمذي وأبو الشيخ والبيهقي عن واثلة .

على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضرُّوك إلا بشيء كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجفّت الصُّحف)[1]، وقال ﷺ : (تعرّفْ إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة، واعلمْ أن النصرَ مع الصبر وأن الفرجَ مع الكرب وأن مع العسرِ يسراً)[2]، وقال ﷺ: (ازهدْ في الدنيا يحبّك الله ، وازهدْ فيما أيدي الناس يحبّك الناس)[3]. وقال ﷺ : (احذروا الدنيا فإنها أسحرُ من هاروت وماروت)[4]، وقال ﷺ : (اخزنْ لسانَك إلا من خيرٍ)[5]، وقال ﷺ : (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من نفسه وفقّهه في الدين)[6]، وقال ﷺ : (إذا أصبحْت فلا تحدّثْ نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدثْ نفسك في الصباح)[7]، وقال ﷺ: (إذا رأيْتَ مَن يزهدُ في الدنيا، فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة)[8]، وقال ﷺ : (إذا رأيتَ الرجلَ يعطيه الله ما يحبه وهو مقيم على معاصيه فاعلموا أنه استدراج)[9]، وقال ﷺ : (استفتِ قلبَك وإن أفتوك)[10]، وقال

---

١ - رواه الترمذي عن معاذ بن جبل

٢ - رواه أبو القاسم وابن حبان عن أبي هريرة .

٣ - رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد .

٤ - رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي الدرداء .

٥ - رواه الطبراني وأحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري

٦ - رواه الديلمي عن أم سلمة .

٧ - رواه البخاري وابن حبان عن ابن عمر

٨ رواه أبو يعلى عن عبد الله بن جعفر

٩ - رواه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر

١٠ - رواه البخاري وأحمد والدارمي، وفي لفظ (استفت قلبك) .

ﷺ : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمامٌ جائر)[1]، وقال ﷺ : (أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعْه الله بعلمه)[2]، وقال ﷺ : (أعدى عدوِّك نفسُك التي بين جنبيك)[3]، وقال ﷺ : (أعظم الناس خطايا، اللسانُ الكذوب)[4]، وقال ﷺ : (أعظم الناس خطايا أكثرهم خوضاً بالباطل)[5]، وقال ﷺ : (الخلقُ كلُّهم عيالُ الله وأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله)[6]، وقال ﷺ : (من سعادةِ المرءِ حُسْنُ الخُلق)[7]، وقال ﷺ : (يا ابنَ آدم ارضَ من الدنيا بالقوتِ، فإنَّ القوتَ لمن يموت كثير)[8]، وقال ﷺ : (إنك لن تدعَ لله شيئاً إلا عوضك خيراً منه)[9]، وقال ﷺ : (ما جعل الله ولياً إلا على السخاء وحسن الخلق)[10]، وقال ﷺ : (مِن حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيه)[11]، وقال ﷺ : (من الذنوب ذنوبٌ لا يكفِّرُها إلا الهَمُّ في طلبِ المعيشة)[12]، وقال ﷺ : (من اتّقى الله عاش قوياً، وفي بلاد عدوِّه آمناً)[13]، وقال ﷺ : (من أحبَّ أن يعلمَ

---

١ - رواه أبو يعلى والطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري .

٢ - رواه الطبراني وابن منصور وابن عدي والبيهقي عن أبي هريرة .

٣ - رواه البيهقي عن ابن عباس

٤ - لم أقف على تخريجه

٥ - رواه الطبراني وابن المبارك عن ابن مسعود مرسلا

٦ - رواه أبو يعلى والبزار عن أنس، ورواه الطبراني عن ابن مسعود .

٧ - رواه البيهقي عن جابر .

٨ - رواه العسكري وأبو نعيم عن سمرة بن جندب.

٩ - رواه الخطيب عن أبي رفاعة عبد الله بن الحارث العدوي .

١٠- لم أقف على تخريجه

١١ - رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة .

١٢ - لم أقف على تخريجه

١٣ - رواه أبو نعيم في الحلية عن علي

منزلتَه عند الله فلينظرْ منزلـةَ الله عنـده)[1]، وقـال : **(مَـن أحـبَّ قومـاً حُشِـرَ معهم)**[2]، وقال ﷺ : **(من أحب شيئاً أكثر من ذكره)**[3].

ثم سرى هذا السرُّ وتحوّل من إمام الأمم رسـول الله ﷺ إلى خليفتـه الأول، ومَن عليه في الدين والدنيا المعوَّل، سيد سادات الطريق الإمام أبي بكر الصديـق رضي الله عنه....



١ - رواه ابن عساكر

٢ - رواه الطبراني والضياء عن أبي قرقاصة .

٣ - رواه الديلمي عن عائشة .

سيدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

وهو الذي أنزل فيه القرآن المجيد: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾[3].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾[4]، قال رضي الله عنه: (يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركناه فيه)، فنزل: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً﴾[6]، فيه وفي عمر وعلي رضي الله عنهم إلى غير ذلك.

---

١ - سورة التوبة الآية (٤٠).

٢ - سورة الرحمن الآية (٤٦).

٣ - سورة الأحقاف الآية (١٥).

٤ - سورة الأحزاب الآية (٥٦).

٥ - سورة الأحزاب الآية (٤٣).

٦ - سورة الحجر الآية (٤٧).

وورد في شأنه الأحاديث الشريفة قوله ﷺ : (**ما طلعت الشمسُ ولا غربت على أحدٍ أفضلَ من أبي بكرٍ إلا أن يكون نبياً**)[1]، وقوله ﷺ : (**حبُّ أبي بكرٍ وشكرُه واجبٌ على أمتي**)[2]، وقولـه ﷺ : (**أرحـمُ أمـتي بـأمتي أبـو بكـرٍ**)[3]، وقوله ﷺ : (**إنَّ روحَ القدُسَ جبريلَ أخبرني أنَّ خيرَ أمتِك بعدَك أبو بكرٍ**)[4]، وقوله عليه الصلاة والسلام : (**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا كافأناه إلا أبا بكرٍ فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قـطُّ مـا نفعـني مـال أبي بكرٍ**)[5]، وقوله عليه الصلاة والسلام : (**إنَّ مِن أمَنِّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غـير ربـي لاتَّخـذت أبـا بكـرٍ خليـلاً، ولكنْ أخُوَّةُ الإسلام**)[6].ومثل ذلك مما ملئت منه كتب الحديث والآثار .

وهو رضي الله عنه أول من أسلم، وأول من سُمِّي خليفـةً، وأول مـن جمـع القرآن وأول من سَمَّاه مصحفاً، وأول خليفةٍ فرض له رعيتُه العطـاءَ، وأول مـن اتخذ بيت المال، وأول من لقِّب في الإسلام بالعتيق، وأول من نافح عـن رسـول الله ﷺ من المسلمين، وأول من أنفق أمواله الكثيرة من المسـلمين عليـه ﷺ، وأول من وُلِّيَ الخلافةَ وأبوه حي، وأول من عهـد بهـا، وأول مـن تسـمَّى بـالصديق، وأول خليفةٍ ورثه أبوه.

---

١ – رواه الطبراني عن أبي الدرداء

٢ – رواه الحاكم وأبو نعيم والخطيب والديلمي عن سهل بن سعد .

٣ – رواه الطبراني عن جابر .

٤ – رواه الطبراني عن أسعد بن زرارة .

٥ – رواه الترمذي عن أبي هريرة .

٦ – رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس

وهو ثـاني رسـول الله ﷺ في الإسـلام، وثانيـه في الهجـرة، وثانيـه في الغـار، وثانيه في القبر.

وله رضي الله عنه في الإسلام المواقف العالية، وعلى الأمة المحمدية الأيـادي المتواليـة، منهـا قصـة صبيحـة يـوم الإسـراء، وثباتـه وجوابـه للكفـار في ذلـك، وهجرته مع النبي ﷺ تاركاً المالَ والعيالَ والأطفالَ، وفداؤه بنفسه في الغـار، ثـم كلامه يوم بدرٍ والحديبية، وثباتُه حين اشتبه الأمر علـى غيره في تأخير دخوله مكة ثم فهمه وبكاؤه بشدة حينما قال المصطفى ﷺ : (**إن عبـداً خيَّرَه الله بـين الدنيا والآخرة، فاختار ما عنـده**)[1]، ثـم ثباتـه عنـد المصيبـة العظمـى بانتقـال رسول الله ﷺ التي خرس عندها فحول الرجال، ولذلك قال بعض أهل الكمـال : إنه أشجع الصحابة في الأقوال والأفعال ... وقتالُه لأهل الردة، وبعثُ جيـش أسامةَ في تلك الشدة، وقتلُه مسيلمةَ الكذاب، واستخلافُه عمرَ بـنَ الخطـاب... وكم له رضي الله عنه من موقفٍ وأثرٍ لا تحصى ولا تحصر.

وكان يقال له الأواه لشدة رأفته وكمال تقواه، فأَعْظِمْ به من رفيقٍ صديـقٍ، توحَّد في الأحوال بـالتحقيق، لاختيـار مـن دعـاه إلى أقوم طريـق، حتـى صـار للمحنة هدفاً، وللبلاء غرضاً، وزهد فيما عنده جوهراً وعرضاً؛ تفرَّد بـالحق عـن الالتفات للخلق حتى جمع بين الجمع[2] والفـرق[3] وقـد قيـل : (التصـوف هـو

---

١ - رواه مسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري والطبراني عن معاوية بلفظ أشهر : (**إن عبداً خيره الله تعالى بين أن يؤتيه الله زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده**) .

٢ - الجمع في اصطلاح الصوفية هو شهود الحق بلا خلق، وذلك بجمع جميع القوى وتوجيهها إلى الحق .

٣ - الفرق هو الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء الرسوم الخلقية بحللها .

الاعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق)، وقيل : (أحوال قاهرة، وأخلاق ظاهرة).

وأكرِمْ بسماعه مناجاةَ جبريل لرسول الله ﷺ ولكن لم يرَه، وإرسال السلام من الحق تعالى له مع جبريل عليه السلام، وقول الله تعالى له على لسان جبريل : (**هل أنت راضٍ عني بفقرك ؟**)، واختصاصه باسم الصحبة في القرآن المجيد، والمعية الخاصة .

وكان رضي الله تعالى عنه كثير التفكير والبكاء، وقد استسقى يوماً فأُتِيَ بإناءٍ فيه ماءٌ وعسل، فبكى وأبكى من حوله، فسكت وسكتوا، ثم عاد فبكى حتى علا النحيب وتواجد البعيد والقريب، ثم أفاق من غشيته ومسح وجهه ببردته فقالوا له : (ما هاجك على ذلك حتى ظنَّ كلٌّ منا أنه هالك ؟)، قال : (كنت مع المصطفى ﷺ فجعل يدفع عنه شيئاً)، ويقول : (**إليك عني.. إليك عني**)، ولم أرَ معه أحداً، فسألتُه، فقال : (**هذه الدنيا تمثّلت لي بما فيها فزجرتُها فتنحّت وقالت : أمَا والله لئن انفلتَّ مني لا ينفلتُ مني من بعدَك، فخشيت أن تكونَ لحقتني، فذلك الذي أبكاني**)[1] .

وكان لا يفارق الجد، ولا يجاوز الحد، وقد قيل : (التصوف هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك)، وكان يقدم على المضار لما يؤمل من المسار،وقد قيل : (التصوف هو السكون إلى اللهيب في الحنين إلى الحبيب)، وكان يقدم الحقير معتاضاً للخطير، وقد قيل : (التصوف هو وقف الهمم على مولى النعم) .

---

١ - رواه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن زيد بن أرقم .

وأتى المصطفى ﷺ بصدقته فأخفاها وقال : (هذه صدقتي و لله عندي معاد)، وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأفشاها وقال : لي عند الله معاد، فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام : (يا عمر وتَّرْتَ قوسك بغير وَتَر ما.. بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما)[1] .

وكان في المصافاة صافياً، وفي الموافاة وافياً، وقد قيل : (التصوف : استنفاد الطرق في معاناة الشوق، وترجحة الأمور على تصفية الصدور) .

وكان رضي الله عنه أحزم الناس رأياً، وأعلمهم بتعبير الرؤيا، وأكمل الصحابة عقلاً، وأكثرهم صواباً، قولاً وفعلاً، وكفاه من الله شرفاً وفضلاً قول إمام المرسلين ﷺ : (إن الله يكرهُ فوق سمائه أن يُخطأَ أبو بكر الصديق)[2] .

وكان أعلم الناس با لله، وأخوفهم له، حتى كان يخرج من جوفه ريح الكبد المشوية؛ وكان يحتاط في مأكله ومشربه أشد احتياط، وإذا أكل أو شرب ما فيه شبهة ثم علمه استقاء بإفراط. شربَ لبناً من كسب عبده، ثم سأله فقال : تكهَّنْتُ لقومٍ فأعطوني، فأدخل إصبعه في فيه وتقيأ حتى ظنَّ أن نفسه ستخرج ثم قال : اللّهمَّ إني أعتذر إليك مما حملت العروق، وخالط الأمعاء. قال في الأحياء : (وكان يطوي[3] ستة أيام، وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد) .

---

١ - رواه أبو نعيم عن أبي بكر .

٢ - رواه الطبراني وابن شاهين عن معاذ، وفي رواية : (إن الله يكره في السماء أن يخطأ أبو بكر في الأرض).

٣ - أي ينام على الجوع الشديد.

ومن كلامه رضي الله عنه : (لا خير في قولٍ لا يرادُ به وجه الله، ولا في مالٍ لا يُنفَقُ في سبيل الله، ولا فيمن يغلب جَهلُه حِلمَه، ولا فيمن يخاف في الله لومة لائم)، ومنه : (إذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتى يفارق تلك الزينة)، ومنه : (وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع)، ومنه : (من ذاق مِنْ خا لِصِ المعرفة شيئاً شغله ذلك عما سوى الله، واستوحش من جميع البشر)، ومنه : (من مقتَ نفسَه في ذاتِ الله آمنه الله من مقته)، ومنه : (إياكم والفخر، وما فَخرُ مَنْ خُلِقَ من ترابٍ ثم إليه يعود ثم يأكله الدود)، ومنه : (لا خيرَ في خيرٍ بعده النار، ولا شرَّ في شرٍ بعده الجنة)

ودخل رضي الله عنه حائطاً فإذا بطيْرٍ في ظلِّ شجرةٍ، فتنفس الصعداءَ وقال : (طوبى لك يا طير، تأكل وتستظل بالشجر وتصير إلى غير حسابٍ، يا ليت أبا بكر مثلك) .

وكان رضي الله عنه إذا مُدِحَ قال : (اللّهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم فاجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون) .

وكان رضي الله عنه إذا قام إلى الصلاة كأنه عود مقطوع لِمَا يعتريه من الخشوع .

وقال رضي الله عنه : (وددْتُ أني شجرةٌ تؤكل وتعضد). ولما مرض قيل: ألا ندعو لك طبيباً ؟.قال : (قد رآني)، قالوا : ما قال لك ؟ قال : (قال لي: إني فعال لما أريد)، ثم دعا عمرَ رضي الله عنه فوعظه حتى أبكاه، ثم قال :

(إن حفظت وصيتي فلا يكُ غائبٌ[1] أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك، وإن أنت ضيعتها[2] فلا يكُ غائب أبغض إليك منه ولست بمعجزه)، ثم قال لمن حضر : (أوصيكم با لله لفقركم وفاقتكم، أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه، إنه كان غفاراً، والسلام) .

توفي بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة عن ثلاثٍ وستين سنةً على الأصح. ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه : سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

---

١ - غائب هنا إشارة إلى كل فانٍ، وجاءت مرفوعة لأنها اسم كان المخففة .

٢ - إشارة إلى الوصية .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه

وهو أحد الرفقاء والنجباء، ومن إليه تشتاق الجنة من الغرباء، ثبتَ على القلّة والشدائد لِمَا نال من الصّلة والعوائد، وقد قيل: (التصوف: مقاساة القلق في مراعاة العلق).

أصله من قريةٍ من فُرْسِ أصفهان من ديار العجم، وكان مجوسيّاً، وقد سافر إلى أرض الشام وصحب بها رهبان النصارى سنين عديدةً، ثم سافر إلى الروم ووصل إلى عمورية وهي بروسية، وصحب رهبانها فأخبروه بقرب عهد النبي ﷺ، فسافر يطلب الدين مع قومٍ، فغدروا به، فباعوه لبني قريظة من اليهود.

أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة، ثم كوتب[1] فأدى عنه ﷺ كتابته وأعتقه.

وهو عظيم المناقب ولو لم يكنْ من مناقبه إلا قوله ﷺ: **(السُّبَّاقُ أربعةٌ)**[2] وعده منهم، وقوله ﷺ: **(سلمان منا أهل البيت)**[3]، وقوله ﷺ: **(إنه أحد الذين**

---

١ - المكاتبة هي أن يَعقِد العبد اتفاقاً مع سيده يعتقه بموجبه على أن يسدد الثمن بنقد أو بأجر عمله.

٢ - الحديث: **(السُّبّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبش)** رواه البزار والطبراني والحاكم عن أنس.

٣ - رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف.

تشتاق إليهم الجنة)[1]، وقوله ﷺ: (إن الله يحب من أصحابي أربعة)[2] ذكره منهم.

وكان من أكابر الزُّهَّاد، وتزوج امرأة من كِنْدَة، فدخل بيتها فوجده مُنجَّداً فقال: (أمَحْمومٌ بيتُكم، أم تحولت الكعبة في كِنْدَةَ ؟، أوصاني خليلي ﷺ أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب)، فلم يدخلْ حتى نزَعَ كلَّ سترٍ في البيت .

وسُئل عنه عليٌّ كرم الله وجهه فقال : (أدرك العلمَ الأول والآخر، بحرٌ لا ينزف)[3]، ونزل هو وحذيفة على نبطية فالتمس منها مكاناً يصلي فيه فقالت : (طهِّرْ قلبَكَ وصلِّ حيثُ شِئْتَ)، فبكى وقال لحذيفة : (خذها حكمة من قلب كافر) .

وكان إذا جنَّ الليلُ صلى، فإذا أعيا ذَكَر الله بلسانه، فإذا أعيا تفكَّرَ في آيات الله وعظمتِه، ثم يقول لنفسه : (استَرِحْتِ فقومِي)، فإذا صلى زماناً قال للسانه : (استرحتَ فاذكُرْ)... وهكذا طولَ الليل .

وكان عطاؤه خمسة آلاف، وكان أميراً بالمدائن على زهاءَ ثلاثين ألفاً، ومع ذلك يخطبُ الناس في عباءةٍ يفترش بعضها ويلبَس بعضهـا، ولم يكن له بيت يُظِلُّه وإنما يدور مع الظلِّ حيث دار، وكان إذا خرج عطاؤه فرَّقَه ولا يأكل إلا من كَدِّ يدِه في عمل الخُوص)[4]، وكان يجمع ما عمله بيده، فيشتري به لحماً

---

١ - رواه البخاري

٢ - رواه أحمد وابن عساكر عن بريدة

٣ - أي لا ينزف ولا ينفد .

٤ - الخوص هو ورق النخل .

وسمكاً ويدعو المجذومين[1] فيأكلون معه، غالب الناس يسَخّرونه في حمل متاعِهم وهو أميرٌ لعدم معرفتهم به لرَثاثـةِ حالـه، فربمـا عرفـوه فـيريدون أن يحملـوا عنـه فيقول : لا.. حتى أوصلَكم إلى المنزل .

وأرسل أبا الدرداء يخطب له امرأةً، فذكر لأهلها فضله وسابقته فقالوا : أما سلمان فلا نزوجه لكن نزوجك، فتزوجها، فخرج فقـال لـه : قـد كـان شـيء أستحي أن أذكره، قال : ما ذاك ؟! فأخبره، قال : أنا أحق أن أستحي منك أن أخطبها وقد كان الله قضاها لك .

وتفاخرت قريش عنده يوماً فقال : (لكني خُلِقـتُ مـن نطفـةٍ مَـذِرَةٍ[2]، ثـم أعود جيفة منتنة ثم إلى الميزان، فـإن ثقُـل مـيزاني فأنـا كريـم، وإن خـفَّ فأنـا لئيم).

ودخل عليه أبو قلابة حال إمارته فوجده يعجـن فقـال : مـا هـذا ؟، قـال : (بعثت الخادم في عملٍ فكرهت أن أجمع عليه عملين) .

كتب إليه أبو الدرداء أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة، فكتب إليـه: (إن الأرض لا تقدّس أحداً وإنما يقدّسُ المرءَ عملُه، وقد بلغني أنك جُعلت طبيباً، فإن كنـت تُبرىء فنعمًّا لك، وإن كنت متطبّباً فاحذر أن تقتلَ إنساناً، فكـان أبـو الـدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا قال : (متطبّبٌ والله، ارجعا إليّ وأعيدا قصّتكُما).

---

١ - أي المصابون بالجذام،وهوداءٌ يطلق عليه العامة (مرض الأكلة) لأن الأعضاء تـأكل وتتسـاقط مـن إنتـان ورمها وفساد دمها .

٢ - أي خبيثة فاسدة .

ودخل على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل : هو نائم، فقال: ما له؟ قال : إنه يحيي ليلة الجمعة ويصوم نهارها، فأمرهم فصنعوا طعاماً، ثم قال له : كُلْ، فقال : إني صائم، فلم يزل به حتى أكل، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال ﷺ : (**عويمر سلمان أعلم منك ثلاث مرات**)، وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء : (**لا تخصَّ ليلة الجمعة بقيامٍ من بين الليالي، ولا يومَ الجمعة بصيامٍ من بين الأيام**)[1] .

ولما بنى على أهله قال لها بعدما مسح بناصيتها ودعا بالبركة : (إن رسول الله ﷺ أوصاني إذا اجتمعت مع أهلي أن اجتمع على طاعة الله)، فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لهما، ثم خرج فقضى حاجته .

ومن كراماته أنه خرج من المدائن ومعه ضيف، فإذا بظباءٍ تسير في الصحراء وطيور في الهواء، فقال : ليأتني منكم طير وظبي، فقد جاءني ضيف أحب إكرامه، فأتياه، فقال الرجل : سبحان الله، فقال له سلمان : أتعجب ؟ هل رأيت عبداً أطاع الله فعصاه شيء؟!!

وروى الحافظ أبو نعيم قدس الله روحه عن الحارث بن عمير قال : انطلقت فأتيت المدائن، فإذا أنا برجلٍ عليه ثيابٌ رثّةٌ ومعه أديمٌ[2] أحمرُ يَعرُكه، فالتفتُّ

---

١ - الحديث : (**عويمر سلمان أعلم منك لا تخفحق** (أي لا تغال ولا ترهق نفسك) **فتقطع ولا تحبس فتسبق، تقصّد تبلغ سير الركاب تطأ فيها البردين والخفقتين من الليل**) رواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً، وفي رواية أخرى : (**عويمر سلمان أعلم منك، لا تختص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا يُختصُّ يوم الجمعة بصيام بين الأيام**) [رواه ابن سعد عن محمد بن سيرين مرسلاً] .

٢ - الأديم هو الخبز إذا خُلط بالإدام، والإدام هو ما يُجعَلُ مع الخبز فيطيّبه .

فرآني فقال : مكانك يا عبد الله، فقلت لمن كان عندي : من هذا الرجل ؟ فقال : سلمان، فدخل بيته فلبس ثياباً بِيضاً، ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وسألني فقلت : يا أبا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك، ولا عرفتني ولا عرفتك، فقال : بلى والذي نفسي بيده، لقد عرَفَتْ روحي روحَك حين رأيتك، ألست الحارث بن عمير ؟ قلت : بلى، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**)[1] .

ومن كلامه : (العلم كثير، والعمر قصير، فخُذْ ما تحتاجه لدينك، ودَعْ ما سواه)، وقال : (إنما تهلك هذه الأمة قُبَيْلَ نقضِ مواثيقها)، وقال : (مَثَلُ القلب والجسد مَثَلُ أعمى ومُقعد، قال المقعد : أرى ثمرة فلا أستطيع أن أقوم إليها، فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه)، وقال : (لا تكونَنَّ إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته)[2]، وقال له عبد الله بن سلام : إن متَّ قبلي فأخبرني ما تلقى، وإن متُّ قبلك أخبرتك، فمات سلمان قبله، فرآه فقال : كيف أنت ؟ قال : وجدت التوكل شيئاً عجيباً، وفي رواية عليك بالتوكل نعم الشيء التوكل .

---

١ - رواه مسلم والطبراني وابن عساكر والحاكم .

٢ - رواه مسلم عن سلمان .

وقال : (إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الذي يعلم دواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه)، وقال : لا تقربه فإنك إن أتيته أهلكك، ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، كذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة فيمنعه الله عز وجل ويحجزه حتى يتوفاه، فيدخله الجنة) .

وقال : (إذا أسأتَ ربَّكَ[1] سراً، فأطِعْه سراً، وإذا أسَأتَهُ علانيةً فأطعْه علانيةً لكي تمحُوَ هذه هذه)، وقال : (ثلاثٌ أعجَبَتْني حتى ضَحِكْتُ : مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يعلم أساخطٌ عليه رب العالمين أم راضٍ.. وثلاثٌ أحزنَتْني حتى بكَيتُ : فراق رسول الله ﷺ، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عز وجل لا أدري إلى الجنة أم إلى النار) .

وقيل له وقد اشترى وَسْقاً[2] من طعامٍ : يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟! فقال : (إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرَّغَتْ لعبادة الله عز وجل ويئس منها الوسواس) .

وعن عطية بن عامر قال : رأيت سلمان رضي الله عنه أُكْرِهَ على طعامٍ يأكله، فقال : حسبي حسبي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(أكثَرُ الناس شبَعاً في الدنيا أطوَلُهم جوعاً في الآخرة، يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)**[3] .

---

١ - اسم منصوب بنزع الخافض والتقدير (إذا أسأت إلى ربك) .

٢ - الوسق مكيال يقرب من حمل الناقة .

٣ - رواه أبو نعيم .

وروى أبو الفرج رحمه الله بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كنت فارسياً من قريةٍ من قرى أصفهان تسمى (جي)، وكان أبي دِهْقانَ[1] قريته، وكنت أحبَّ خلقِ الله إليه فلم يزل حُبُّه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدت في المجوسيّة، وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمةٌ يشتغل في شأنٍ له يوماً، فأمرني أن أذهبَ إلى ضيعته، وأوصاني ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسةٍ من كنائس النصارى فسمِعْتُ أصواتَهم فيها وهم يُصلّون، وكنت لا أدري ما أمْرُ الناس لأني محبوس في البيت، فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجَبَتْني صلاتُهم ورغِبْتُ في أمرهم، وقلت : (هذا والله خيّر من الذي نحن فيه)، فوالله ما تركتهم حتى غرُبت الشمس وتركت ضيعة أبي، فلم آتِها، وقلت لهم : (أين أصْلُ هذا الدين ؟)، قالوا : بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغَلْته عن عمله، فلما جئته قال : أي بني.. أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت مررت بأناسٍ يُصَلُّون في كنيسةٍ لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال : أي بني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك ودين آبائك خيّر منه قلت : كلا والله إنه لخيرٌ من ديننا، فخافني فجعل في رجليَّ قيداً ثم حبسني في بيته، وبَعثتُ إلى النصارى أنه إذا قدم عليكم تُجّارٌ من نصارى الشام فأخبروني بهم، فقدم عليهم رَكْبٌ من الشام فأخبَروني بهم، فلما ساروا سِرتُ معهم حتى قَدِمتُ الشام فسألت : من أفضل أهل هذا الدين، قالوا : الأسقف في الكنيسة، فجئته فقلت : إني أحببت أن أخدمَك في كنيستك وأتعلمَ منك وأصليَ معك،

---

١ - كلمة فارسية تعني رئيس الإقليم .

قال : فادخُلْ، فدخلْتُ معه، وكان رجُلَ سوءٍ، يأمرهم بالصدقة ويرغب فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكْتنَزهُ لنفسه ولم يعطِه المساكينَ، فأبغضْتُهُ بغضاً شديداً لِما رأيْته يصنع، ثم مات فاجتمعَتْ إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم : إن هذا رجل سوءٍ وأخبرتُهم بخبره، قالوا : وما أعلمك بذلك ؟ فأريتهم موضع كنزه، فاستخرجوا منه سبعَ قِلالٍ[1] مملوءةً ذهباً ووَرِقاً[2]، فلما رأوها قالوا : واللهِ لاندفنه أبداً، وصلبوه ثم رمَوه بالحجارة، ثم جاؤوا بآخَرَ فجعلوه مكانه، فما رأيْتُ رجلاً أفضلَ منه صلاةً وزُهداً في الدنيا ورغبةً في الآخرة، فأحبَبْتُه كثيراً وأقمْتُ عنده زماناً، ثم حضرَتْه الوفاة، فقلت له : إني كنتُ معك وأحببتُك حباً عظيماً وقد حضرك ما ترى في أمر الله تعالى، فإلى مَن توصي بي وما تأمرني ؟ قال : (أي بنيَّ.. واللهِ ما أعْلَمُ اليوم أحداً على ما كنتُ عليه، لقد هلكَ الناس وبدَّلوا وتركوا أكثر ما أُمِروا به إلا رجلاً بالموصل هو فلان. فلما مات وغُيِّبَ لحِقْتُ بصاحب الموصل فأخْبَرْتُه بالوصية، فقال لي : أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته خيرَ رجلٍ على أمر صاحبه، فلم يلبثْ أن حضرَتْهُ الوفاةُ فقلت له : إن فلاناً أوصاني إليك وأمرني باللُّحوقِ بك وقد دنا أجلُكَ فإلى من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : (أي بني.. واللهِ ما أعلم أحداً على مثل ما كنْتُ إلا رجلاً بنصَيْبين[3] هو فلانٌ، فالحقْ به)، فلما مات لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته خبري، قال : فأقمْ عندي، فأقمْتُ عنده، فوجدتُه على أمر صاحبيه خيرَ رجلٍ، فوالله ما لبث أن حضرَتْهُ الوفاةُ، فقلت له كما قلت للأول

---

١ - جمع قُلّة، وهي الجرة الكبيرة .

٢ - الورِق أي الفضة .

٣ - مدينة تقع في ما بين النهرين (تركيا حالياً) .

والثاني فقال: (أي بنيَّ والله ما أعلم أحداً بقي على أمرنا أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية[1]، فإن أحببت فأْتِه)، فلما مات وَوُورِيَ لحِقْتُ بصاحب عموريةَ فذكرت له أمري، قال : فأقمْ عندي، فأقمْت عند الرجل على عهد أصحابه، فاكتسبْتُ حتى كانتْ لي بقراتٌ وغُنَيمة.ثم حلَّ به أمرُ الله عز وجل، فلما احتضرَ قلت له مقالتي المتقدمةُ فقال : (أي بنيَّ.. والله ما أعلم أنه أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلّك زمان نبيٍّ هو مبعوثٌ بدين إبراهيم، يَخْرُجُ بأرض العربِ مهاجراً إلى بين حرمين،بينهما نخلٌ به علاماتٌ لا تَخفى، يأكل الهدية لا الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل)؛ ثم مات فدفنّاه ومكثتُ بعموريةَ ما شاء الله أن أمكثَ، ثم مرَّ بي رجالٌ من كلبٍ[2] تُجّارٌ، فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقَراتي وغُنَيمتي هذه؟! قالوا : نعم، فأعطيتُهم إياها وحملوني، فلما قدِموا بي وادي القُرَى ظلموني فباعوني لرجلٍ من اليهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخلَ فرجَوْتُ أن يكونَ البلدَ الذي وَصَف لي صاحبي، ولم تحزن نفسي،فبينما أنا عنده إذ قدِم ابن عمٍّ له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت به، وبعث الله تعالى رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكرٍ مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذقٍ[3] لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالسٌ إذ أقبل ابنُ عمٍّ له حتى

---

١ - مدينة بيزنطية في آسيا الصغرى .

٢ - من قبائل العرب وهي بطنٌ من قضاعة من القحطانية .

٣ - العذق هو الغصن من النخلة .

وقف عليه، فقال فلان : (قاتل الله بني قيلة يعني الأوس والخزرج الآن والله إنهم لمجتمعون بقِباء على رجل قَدِم عليهم من مكة اليوم ويزعُم أنه نبيٌّ)، فلما سمعتُها أخذتني العرواء[1] حتى ظننت كأنني ساقط على سيدي.ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ! ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ولكمني لكمةً وقال : ما لَكَ ولهذا ؟ أقبلْ على عملك! قلت: لاشيء إنما أردت أن أستثبته عما قال، وكان عندي شيءٌ قد جمعته فلما أمسيت ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقِباء فدخلت عليه فقلت له : (إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم) وقرَّبْتُه إليه فقال ﷺ لأصحابه : (**كلوا**)، وأمسك يده فلم يأكلْ، فقلت في نفسي : هذه واحدة.

ثم انصرفْت عنه فجمعت شيئاً وقد تحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئتُه به وقلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها؛ فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة مع أصحابٍ له عليه شَمْلَتان[2] وهو جالس في أصحابه، فسلَّمْتُ عليه ثم استدَرْتُ أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتَم الذي وَصَفَ لي صاحبي، فلما رآني ﷺ استدبرته عرف أني أستَثْبِتُ في شيءٍ وُصفَ لي، فألقى رداءَه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فانكبَبْتُ عليه أُقبِّله وأبكي، فقال لي : (**تحـوَّلْ**) فتحوَّلْتُ فقصصْتُ عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأُعجب رسول الله ﷺ أن يَسمعَ أصحابُه.

---

١ - العرواء مس الحمّى وتأتي على شكل رجفة شديدة .

٢ - الشملة هي كساء واسع يُشتمل به .

ثم شغلني الرق حتى فاتني معه بدرٌ وأحدٌ ثم قال ﷺ : (**يا سلمانُ كاتِبْ**) فكاتَبْتُ صاحبي ثلاثمائة نخلةٍ أحييها[1] له بالقفيز (يعني البئر) وبأربعين أوقية، وقال لأصحابه : (**أعينوا أخاكم**) فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيَّة[2] والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشرة، يعيني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ : (**اذهب يا سلمان ففَقِّرْ فإذا فرغت أكون أنا الذي أضعها بيدي**)، ففقَّرتُ لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئت فأخبرته، فخرج ﷺ معي إليها فجعلنا نقرِّب الوَدِيَّ ورسول الله ﷺ يضعه بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ، وأدَّيتُ فبقي عليَّ المالُ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهبٍ من بعض المعادن فقال : (**ما فعل الفارسي المكاتب ؟**) فدُعيت له فقال : (**خذْ هذه فأدِّها مما عليك**) فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأدَّيْتُهم حقَّهُم وعُتِقْتُ فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفُتْني معه مشهد .

ودخل سعد بن أبي وقاص عليه ليعودَه رضي الله عنهما، فبكى سلمان، فقال له سعد : ما يبكيك ؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، وتَرِدُ على الحوض، فقال سلمان : (ما أبكي فزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكنَّ رسولَ الله ﷺ عهد إلينا عهداً فقال : (**ليكن بُلغةُ أحدِكم مثلَ زاد**

---

١ - أي أنصبها .

٢ - الودية هي الفسيلة الصغيرة .

الراكب)[1]، وحولي هذه الأساودة وإنما حوله إجّانة[2] وجَفْنة[3] ومَطْهَرة) فقال له سعد : أوصِنا ! قال : (اذكر ربك عند همّك، وعند حُكمك إذا حكمتَ، وعند يدكَ إذا قَسَمْتَ).

ولما مات بِيْع متاعُه كلُّه فبلغ أربعةَ عشر درهماً .

وقيل له : أوصِنا فقال : (من استطاع منكم أن يموتَ حاجّاً أو غازياً أو عامراً لمسجدِ ربه فليفعلْ ولا يموتَنَّ تاجراً ولا جابياً) .

ثم توفي رضي الله عنه وذلك سنة ستٍّ وثلاثين أو أربعٍ وثلاثين في داء البطن في المدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه وعمره مائتان أو ثلاثمائةٌ وخمسون سنةً، أما الأول فعليه عند المؤرخين المعول .

ثم تلقّى سرُّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قدس سره....



---

١ - رواه أحمد وابن سعد وابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن سلمان، واللفظ الأشهر : (ليكن بلاغ أحدكم ..) .

٢ - الإجانة هي وعاء تغسل فيه الثياب .

٣ - هي القصعة التي يوضع فيها الطعام .

سيدنا القاسم بن محمد
ابن أبي بكر الصديق قدس سره

وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم: القاسم المشار إليه وخارجة بن يزيد بن ثابت الأنصاري، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ولد ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام من جملة الصحابة رضي الله عنهم أخو أبي جهل وسليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي ﷺ وهو أخو عطاء. وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد وعنهم انتشر العلم والفُتْيا في الدنيا. وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين فقال:

فخذهم عبيد الله عروة قاسم	سعيد سليمان أبو بكر خارجه
ألا كلُّ من لا يقتدي بأئمَّةٍ	فقِسْمتُه ضيزى[1] عن الحقِّ خارجه

وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخُصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم وشهروا بها.

---

١ - أي جائرة عوجاء، وقد اقتبسها في القرآن الكريم: ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ [سورة النجم الآية ٢٢].

وعن حمّاد بن يزيد عن أيوب قال : سمعت القاسم يُسأَلُ عن شيءٍ فيقول : لا أدري.. لا أعلم، فلما أكثروا عليه قال : وما أعلم ما تسألون عنه ولو علمنا ما كتمناكم ولا حَلَّ لنا أن نكتُمَكُم) .

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم، وكان الرجل لا يُعَدُّ رجلاً حتى يعرِفَ السُّنَّةَ .

ومن كلامه : (لأنْ يعيشَ الرجل جاهلاً بعد أن يعرفَ حقَّ الله عليه خيرٌ له من أن يقولَ ما لا يعلم) .

وكان يقول في سجوده: : (اللّهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان. وعن أيوب قال : رأيت على القاسم رضي الله عنه رداءً قد صُبِغَ بشيءٍ من زَعْفَران ويدع مائة ألفٍ لا يرى لها قدراً) .

أسندَ الحديث عن عائشة وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم، وخرَّج له الستة، وعامة مسانيده في المناسك والأحكام؛ وكان أفضل أهل زمانه. وقال مالك : (كان القاسم من فقهاء هذه الأمة).

ولما احتضرَ قال : (كفّنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها : قميصي وإزاري وردائي)، فقال ابنه : يا أبت ألا نزيد ثوبين ؟ فقال : (هكذا كُفِّن أبو بكرٍ رضي الله عنه في ثلاثة أثواب، والحيُّ أحوجُ إلى الجديد من الميت) .

توفي في قُدَيْد[1]، وكان حاجاً أو معتمراً، وذلك سنة ثمانٍ أو تسعٍ ومائةٍ عن سبعين، وقد كُفَّ بصره الكريم، وقال لابنه : (شُنَّ[2] الترابَ عليَّ شَنّاً، وشُقَّ على قبري، والْحَقْ بأهلك وإياك أن تقول كان وكان)، عليه من الرحمة والرضوان .

ثم تَلقّى سرُّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا جعفر الصادق قدس سره...



١ - اسم مكان بين مكة والمدينة .

٢ - شَنَّ الشيءَ صبَّه متفرقاً .

سيدنا جعفر الصادق قدس سره

وهو إمامٌ ورث مقام النبوة والصِّدِّيقية لأن جده سيد الشهداء الإمام الحسين، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه وعروة وعطاء ونافع والزهري وعنه السفيانان ومالك والقطان. خرَّج له الجماعة سوى البخاري، قال أبو حاتم : (ثقة لا يُسْأَلُ عن مِثْلِهِ).

ومن كلامه : (لا يتمُّ المعروفُ إلا بثلاثٍ : أن تصغِّرَه في عينك وتَسترُه، وتُعجِّلَه؛ وقال :(إذا أقبلَتِ الدُّنيا على إنسانٍ أعطَتْه محاسنَ غيرِه، وإذا أدبرَتْ سلبَتْه محاسنَ نفسه)، وقيل له : (ما بالنا ندعوا فلا يجابُ لنا ؟) قال : (لأنكم تدعون ما لا تعرفون) .

وكان يلبس الجبة الغليظة القصيرة من الصوف على جسده والحُلَّة من الخزِّ[1] على ظاهره ويقول : (نلبسُ الجبةَ لله والخزَّ لكم.. فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه)، وقال لأبي حنيفة : (إنك تقيس في الدين وإن أول من قاس إبليس)، قال : (إنما أقيس فيما لم أجدْ فيه نصاً) .

وقال : (لا تأكلوا من يدٍ جاعت ثم شبعت)، وقال : (إذا أذنبْتَ فاستغفر فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال قبل أن يخلقوا وإياك والإصرار).

---

١ - الكساء الذي نُسج من صوف أو حرير .

وقال : (لا مروءةَ لكذوب، ولا راحةَ لحسود، ولا خلّة[1] لبخيل، ولا إخاءَ لِمَلول، ولا سؤددَ لسيّء الخُلُق)، وقال : (كُفَّ عن محارم الله وامتثلْ أوامره تكن عابداً، وارضَ بما قسم الله تكن مسلماً، واصحبِ الناسَ على ما تحب أن يصحبوك تكن مؤمناً، ولا تصحبِ الفاجرَ فيعلِّمك من فجوره)، وقال: (مَن أراد عزاً وهيبةً بلا سلطانٍ فليَخرُجْ من ذلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعة)، وقال : (من يصحبْ صاحب السوء لا يسلمْ، ومن يدخلْ مدخل السوء يُتّهمْ، ومن لا يملك لسانه يندمْ) .

وقال : (حكمة تحريم الرّبا أن لا يتمانعَ الناس المعروف)، وقال : (مودة يوم صلة، ومودة شهر قرابة، ومودة سنة رحم ثابتة،من قطعها قطعه الله)، وقال: (من استبطأ رزقه فليُكثرْ من الاستغفار)،وقال : (من أُعْجِبَ بشيءٍ من أمواله وأراد إبقاءه فليقل : ما شاء الله لا قوة إلا با لله)، وقال : (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يأتوا أبواب السلاطين)، وقال : (لا زادَ كالتقوى) .

ومن دعائه : (اللّهمَّ أعِزَّني بطاعتك، ولا تُذلَّني بمعصيتك،اللّهم ارزقني مساواة من قترت عليه رزقك بما وسعت عليه من فضلك) .

وقال مضر بن كثير: دخلت أنا وسفيان الثوري على جعفر الصادق فقلت: (إني أريد البيت الحرام، فعلِّمْني شيئاً أدعو به)، فقال : إذا بلَغْتَ الحرم فضعْ يدك على الحائط وقل : (يا سابقَ الفوْت، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت... ثم ادعُ بما شِئْتَ) .

---

١ - الخُلة هي الصداقة والصحبة .

وقال : (إذا بلغك من أخيك أنه قال فيك ما تكره، فلا تغتمَّ لذلك، إن كانت حقاً كانت عقوبةً عُجِّلت، وإن كان غير ذلك فحسنةٌ لم تعملْها)، وقال : (روي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال : أسألك أن لايذكرني أحدٌ إلا بخير؛ قال الله عز وجل : ما فعلتُ لذلك لنفسي) .

وقال : (أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أن يأنَفَ منها : قيامُه من مجلسه لأبيه، وخدمتُه لضيفه، وقيامُه على دابته ولو أن له مائة عبدٍ لمن يتعلمْ منه) .

وكان يقول : (إذا بلغك عن أخيك ما تكره فاطلبْ له من عذرٍ واحدٍ إلى سبعين عذراً، فإن لم تجدْ له عذراً فقل: لعلَّ له عذراً لا أعرفه)، وقال لرجل من قبيلة : (مَن سيد هذه القبيلة ؟)، فقال الرجل : أنا، فقال : (لو كنتُ سيدَهم ما قلتُ أنا) .

ودخل سفيان الثوري رضي الله عنه فرأى عليه جُبَّةً من خَزٍّ، فقال له : (إنكم من بيت النبوة تلبسون هذا ؟!)، فقال : (ما تدري، أدخل يدك)، فإذا تحته مِسْحٌ[1] من شَعْرٍ خَشِنٍ، ثم قال : (يا ثوريُّ أرِني ما تحت جبَّتك)، فوجد تحتها قميصاً أزرقَ من بياض البيض، فخجل سفيان ثم قال: (يا ثوريُّ لاتكثِرِ الدّخول علينا تضرُّنا ونضرُّك).

وكان يطعم المساكين حتى لا يبقي لعائلته شيئاً.

وقال : (إذا سمعتم عن مسلمٍ كلمةً فاحمِلوها على أحسنِ ما تجدون، حتى لا تجِدوا لها محلاً، فلوموا أنفسكم) .

---

١ - المسح هو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً .

وقال ابن أبي حازم : كنت عند جعفر إذ جاء آذنه فقال : سفيان الثوري بالباب فقال : ائذنْ له، فدخل، فقال جعفر : (يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وإني أتّقي السلطان، اخرجْ عني غير إيثار لذلك)، فقال: (حدِّثني حتى أسمع وأقوم)، فقال : حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال : **(من أنعم الله عليه نعمةً فليحمدِ، الله ومن استبطأ الرّزقَ فليستغفرِ الله، ومن حزَبَهُ أمرٌ فليقل : لاحول ولا قوة إلا با لله)**[1] .

وقال أرباب السِّيَر : وقع الذباب على وجه المنصور فذبَّه حتى أعجَزَه وأضجَره، فدخل جعفر فقال له : (يا أبا عبد الله ما الحكمة في خلق الذباب ؟)، قال : (ليُذِلَّ به الجبابرة).

وقال : (عجِبْتُ لمن أُعجبَ بأمرٍ لنفسه كيف لا يقول : (ما شاء الله لا قوة إلا با لله) والله تعالى يقول : (ولولا إذ دخلتَ جنتك قلتَ ما شاء الله لا قوة إلا بالله)[2]، وعجِبْتُ لمن خاف قوماً كيف لا يقول : (حسبي الله ونعم الوكيل)، والله تعالى يقول : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيلُ ● فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيمٍ﴾[3]، وعجبت لمن مُكر به كيف لا يقول : (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصيٌر بالعباد)، والله

---

١ - رواه البيهقي عن علي .

٢ - سورة الكهف الآية ٣٩ .

٣ - سورة آل عمران الآية ١٧٣ .

تعالى يقول في حق من قالها : ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾[1]، وعجبت لمن أصابه غمٌّ كيف لا يقول : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، والله تعالى يقول في شأن من قالها : ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾[2] .

كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيل الجحاف، قيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاثٍ وأربعين، وتوفي في شوال سنة ثمانٍ وأربعين ومائةٍ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبرٍ فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين و لله درُّه من قبرٍ ما أكرمه وأشرفه .

ثم تلقى سرَّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية منه سيدنا أبو يزيد البسطاميُّ قدس سره.



[1] – سورة غافر الآية (٤٤–٤٥) .

[2] – سورة الأنبياء الآية (٨٧–٨٨) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا أبو يزيد البسطامي قدس سره

وكان نادرةُ زمانه حالاً وقالاً، أنفاساً وورَعاً، علماً وتُقىً وَوَجْداً وزهداً، أسْرج له السراجُ ليلةً فقال لأصحابه : (إني أجد وحشةً[1] في السراج !)، فقالوا له : سيِّدَنا استعَرْنا قارورةً من البقال لنأتيَ بالدُّهن فيها مرةً فأتينا فيها مرتين، فقال : (عرِّفُوا البقّالَ وأرْضوه)، ففعلوا فزالت عنه .

واجتاز[2] شقيق البلخي رضي الله عنه ببسطامَ حاجاً، فقعد المجلس في مسجد من مساجدها، وكان الصبيان يلعبون على بابه وأبو يزيدٍ فيهم، فكان يجيء إلى باب المسجد ويسمع كلام شقيقٍ ثم ينصرف، فوقع عليه بصر شقيقٍ فقال : (سيكون هذا الصبي رجلاً من الرّجال)، فصار كما قال .

وولد أبو يزيدٍ رضي الله عنه سنة مائةٍ وثمانٍ وثمانين ببسطامَ، واسمه طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، ذكر ابن الجوزي العارف الجامي ذلك وقال: إن جده سروشان كان مجوسياً فأسلم، وكان لعيسى ثلاثة أولادٍ أبو يزيدٍ أوسطُهم، وآدم أكبرهم، وعليّ أصغرهم وكانوا كلهم عُبَّادا زُهّاداً .

---

١ - الخوف والانقباض في القلب .

٢ - أي مر ببسطام .

قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قُدّس سره : (وكان حاله التجريد[1] وعدم الادّخار فقال يوماً لأصحابه : (فقدتُ قلبي فاطلبوا البيت)[2]، فوجدوا فيه قطفَ عنب، فقال : (رجع بيتنا بيت البقالين ؟!)، فتصدّقوا به فوجد قلبه .

وقال الشيخ الأكبر قال بعض المحجوبين لأبي يزيد : شربتُ شربةً فلم أظمأ بعدها أبداً، فقال أبو يزيد : (الرجل من يشرب البحارَ ولسانُه خارجٌ على صدره من العطش)، فأشار إلى أن الحبَّ شِربٌ بلا رِيٍّ[3] .

وقال : (أوقَفَني الحقُّ بين يديه وقال : يا أبا يزيد بأي شيءٍ جئتَني ؟ قلت: بالزهد في الدنيا، قال : إنما مقدار الدنيا عندي جُناح بعوضةٍ، ففيم زهدت ؟ قلت: إلهي أستغفرك من ذلك جئتك به (أو قال بالافتقار إليك)، فقال عند ذلك: قبلناك، وقال : (وقَفْتُ مع العابدين فلم أرَ لي معهم قدَماً، فوقفت مع المجاهدين فلم أرَ لي معهم قدماً، فوقَفْتُ مع المصلّين والصّائمين فلم أرَ لي معهم قدماً، فقلت : (يا ربِّ كيف الطريق إليك ؟ فقال لي : اترُكْ نفسك وتعال). قال الخواص : فاختُصِر له الطريق بألطف كلمةٍ وأخصرِها، فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه. وقال : (علامة العارف أن يكونَ طعامُه ما وجد، ومبيتُه حيث أدرك، وشغلُه بربه)، وقال : (أمر الله العباد فعصوا، ونهاهم

---

١ - التجريد من صفات التصوف التي تتفاوت وترتقي بحسب المقامات، فهو في البدايات التجريد عن المخالفات واللذات، وفي الولايات التجريد عن الأسماء والصفات، وقال فيه الشيخ الأكبر : هو إماطة السوء والكون عن القلب والسر .

٢ - أي فتشوه .

٣ - أي بلا ارتواء .

فأطاعوا، فخلع عليهم خلعاً فاشتغلوا عنه بالخلع، واني لا أريد من الله إلا الله)

وسُئل : من أين تأكل ؟ فقال : (مولاي يُطعم الكلب والخنزير، أفلا يُطعم أبا يزيدٍ ؟) .

وصلّى خلف إمام الجامع فلما سلّم الإمامُ قال : يا أبا يزيدٍ من أين تأكل ؟ قال : (اصبرْ حتى أعيدَ صلاتي، فإنك شككْتَ في رزق المخلوق، ولا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرزّاق) .

وقال غلِطْتُ في بدايتي في أربعة : توهَّمْتُ أنّي أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما نظرت رأيت ذكرَه لي ومعرفتَه بي وحبَّه لي وطلبَه إياي كان أولا حتى طلبتُه)، وقال : (ليس العالم من يحفظ من كتابٍ، فإذا نَسي ما حَفظ صار جاهلاً، بل مَنْ يأخذ العلمَ مِنْ ربِّه أيَّ وقتٍ شاء بلا حفظٍ ولا درسٍ، وهذا هو العالم الرَّباني)، وقال : (إذا رأيتَ من يؤمن بكلامِ أهلِ هذه الطريق فقل له يدعو لك، فإنه مجاب الدعوة)، وقال أخذتم علمكم ميتاً عن ميتٍ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . قال سيدنا الشيخ الأكبر : (فعلماء الرسوم[1] يأخذون خلَفاً عن سَلَفٍ إلى يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمةً منه وعنايةً سبقت لهم عند ربهم) .

١ - يعني العلماء الذين يأخذون عن الكتب والأوراق .

وقال قدس سره : (الأولياء لا يفرحون بإجابة الدعوات التي هي عين الكرامات كالمشي على الماء والهواء وطيِّ الأرض وركوب الماء، فإن أدعية الكفار تجاب، والأرض تُطْوى للشياطين والدجّال، والهواء مسخر للطير، والماء للحوت، فمن أنعم عليه بشيء منها فلا يأمن المكر)، وقال : (ما وجدت المعرفة إلا ببَطنٍ جائعٍ وبدَنٍ عارٍ) .

وقيل له حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ؟ فقال : (دعوتها إلى الله فنكَلَت عليَّ، فعزمْتُ عليها ألا أشربَ الماء ولا أذوقَ النوم سَنةً فأذعنَتْ)، وقال: (ليس العَجَبُ من حبي لك وأنا عبدٌ فقيرٌ، بل من حبّكَ لي وأنت ملكٌ قديرٌ)، وقال : (لله عبادٌ لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث بالخروج أهل النار من النار) .

وقال : (طلّقتُ الدنيا ثلاثاً، وسرتُ إلى ربي وحدي فناديته : إلهي أدعوك دعاءَ من لم يَبْقَ له غيرُك، فعلِمَ صدقي فأنساني نفسي بالكُلِّية، ونصَبَ الخلقَ بين يديَّ مع إعراضي عنهم)، وقال : (إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاج إلى أن تطلبوا المعاصي) .

وسُئل متى يكون الرجل متواضعاً ؟ فقال : (إذا لم يرَ لنفسه مقاماً ولا حالاً ولا يرى أنَّ في الخلق من هو شرٌّ منه)، وقال : (دعوت نفسي إلى ربي فأبت فتركتها ومضيت إليه)، وقال: (أشد المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزهده، والعابد بعبادته، والعالم بعلمه،مسكينٌ الزاهد لو علم أن الدنيا كلّها سماها الله قليلاً ما زهد فيها، ومسكينٌ العالم لو علم أن جميع ما أوتيه من العلم بعضُ سطرٍ واحدٍ من اللوح ِالمحفوظ ما نظر لعلمه)، وقال : (طوبى لمن كان همُّه

همّاً واحداً و لم يشتغلْ قلبُه بما رأت عيناه وسمعت أذناه)، وقال : (أقرب الناس من الله أكثرهم شفقةً على خلقه)، وقال : (لا يحمل عطايـاه إلا مطايـاه المذلّلةُ المُرَوَّضَةُ)، وقال : (العارف من لا يفتُر عن ذكره، ولا يَمَلُّ من خَلقِه، ولا يـأنسُ بغيره)، وقال : (الجوعُ سحابٌ فإذا جاع العبد أمطر القلبُ الحكمةَ) .

و قيل له : أيعصي العارف ؟ فقال : (وكان أمـر الله قـدَراً مقـدوراً)، قـال الشيخ الأكبر : وهذا غاية الأدب حيث لم يقلْ نعم ولا وهذا مـن كمـال حالـه وعلمه وأدبه رضي الله عنه .

وكان يقول : (الطريـق تقتضـي أن الشـيخ لا ينسـى أهـل زمانـه، فكيـف مريده المختص به، فإن من فتوة أهل الطريق ومعرفتهم بالنفوس أنه إذا كان يـوم القيامة وظهر مالهم مِنَ الجاه عند الله خاف منهم مَنْ آذاهم في الدنيا، فـأول مـا يُشفّعون فيمن آذاهم)، وقال : (الناس يفرُّون مـن الحسـاب، وأنـا أتمنـاه، لعلـه يقول لي : يا عبدي، فأقول لبيك، ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء) .

وقيل له : شهادة أن لاإله إلا الله مفتاح الجنة، فقـال : (صحيـح، ولكـن لا يفتح المفتاحُ إلا مغلاقاً، ومغلاقُ لا إله إلا الله أربعـةُ أشـياء : لسـانٌ بغيرِ كذبٍ ولا غيبةٍ، وقلبٌ بغير مكرٍ ولا خيانةٍ، وبطنٌ بغير حرامٍ ولا شـبهةٍ، وعمـلٌ بغـير هوىً ولا بدعةٍ)، قال : (لم أزلْ أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سـاقتني إليه وهي تضحك)، وقال: (لا يشكو قلب العـارف وإن قُرِضَ بـالمقراض، ولا يَيأسُ منه ولا يأمن مَكْرَه وإن نودي بالغفران)، وقال : (هلاك الخلقِ في شيئين : ترك الحرمة، ونسيان المنة) .

وقال : (حسب المومن أن يعلمَ أن الله غنيٌّ عن عمله) .

ورأى رجل أبا يزيدٍ في منامه فقال له : عِظْني ! فقال :

الناس بحر عميق　　والبعد عنهم سفينة
وقد نصحتك فاحتر　　لنفسك المسكينة

وقال : (الدنيا للعامة، والآخرة للخاصة، فمن أراد أن يكونَ من الخاصة فلا يشاركِ الناسَ في دنياهم)، وقال : (إنما جُعلتِ الدنيا مرآةً للآخرة، فمن نظر فيها للآخرة نجا ومن شُغل بها عن الآخرة أظلمتْ مرآتُه وهلَك)، وقال : (لا عقوبةَ أشدُّ من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفةَ عينٍ أشدُّ من النار)، وقال : (لا يكون العبد عاملاً على معنى العبودية حتى تكون إرادتُه وأمنيتُه وشهوتُه تابعةً لمحبة الله)، وقال :(من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم، ومن نظر بعين الحقيقة عذرهم)، وقال : (الدنيا لأهلها غرورٌ في غرورٍ، والآخرة لأهلها سرورٌ في سرورٍ، ومحبةُ الله لأهل محبته نورٌ على نورٍ) وقال : (من اختار الدنيا على الآخرة غلَب جهلُه عملَه وفضولُه ذكرَه وعصيانُه طاعتَه) .

وقال : متى وجدت قلبَك مستريحاً، ودمعَك جامداً، وعقلَك حاضراً، فأنت بعيدٌ من المحبة) . وقال : (من أراده الله وفّقه، ومن أحبَّه قرَّبه) وقال : (الفائز في محشر الساعة مَنْ قام بأوامره وتلقّاها بالسّمعِ والطّاعة)، وقال : (معرفةُ العوامِ معرفةُ العبوديةِ والربوبية، والطاعةِ والمعصية، والعدوِّ والنفس، ومعرفة الخواصِّ معرفةَ الإجلال والعظمةِ والإحسان والمنةِ والتوفيق، ومعرفةُ خواصِّ الخواصِّ معرفة الأنسِ والمناجاةِ والتلطف، ثم معرفةُ القلبِ ثم السرِّ)، وقال : (خلَق الله الخلقَ لإظهار قدرته، ورزقهم لإظهار جوده، وأماتهم لإظهار قهره، ويحييهم

لإظهار عظمته،) وقال : (محالٌ أن تعرفَه ثم لا تحبُّه)، وقال : (التوحيد اليقين، واليقين معرفتك أنَّ حركاتِ الخلق وسكناتهم فعل الله) .

وقال : (عمِلْتُ في المجاهدة ثلاثين سنةً فما وجدْتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من العلم، ولولا اختلاف العُلماء لتفتَّتُّ، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد)، وقال : (لا يعرف نفسه من صحِبَتْه شهوتُه)، وقال : (لله عبادٌ لو حجبهم عنه طرفة عين ثم أُعطوا الجنةَ ما قَبِلوها)، وقال : (كانت أمي لما حملت بي إذا قُدِّم لها طعامٌ حلالٌ امتدت يدُها له، أو حرامٌ انقبضتْ، فالعناية من الأزل) .

وقال : (حسبُك من التوكل أن لا ترى لك ناصراً غيره، ولا لرزقك رازقاً غيره، ولا لعلمِك شاهداً غيرَه)، وقال : (الناس تظن أن الطريقَ أشهرُ من الشمس وأبينُ، وأنا أسأل الله أن يفتحَ عليَّ منها ولو قدْرَ رأس إبرة)، وقال : (النفس تنظر إلى الدنيا، والروح إلى الآخرة، والمعرفة تنظر إلى الله، فمن غلبَتْ نفسُه عليه فهو من الهالكين، ومن غلبَتْ روحُه عليه فهو من المجتهدين، ومن غلبتْ معرفتُه عليه فهو من المتقين) .

وكان يعِظُ نفسَه ويقول : (يا أمَّارةُ بالسوء، المرأةُ إذا حاضت طَهُرت بعد أسبوعين، وأنت منذ ثلاثين سنةً ما طهُرْتِ، فمتى تَطهُرين؟ إن وقوفكِ بين يدي الله عز وجل لا بُدَّ منه، فاجتهدي أن تكوني طاهرةً) .

وقال : (أوقَفَني الحقُّ بين يديه مواقفَ في كلها يَعرِضُ علي المملكة فأقول : لا أريدها، فقال : ما تريد ؟ قلت أريدُ أن لا أريدَ)، وقال: (قال لي الحق : تقرب إليَّ بما ليس لي : الذلةُ والافتقارُ) .

وقال: (لو شفّعني الله في كل أهلِ عصري ما كان عندي تكبُّرٌ لأنه شفّعني في قطعة طينٍ) .

وقال له فقيه : عِلمُكَ هذا، أخذتَه عمن وممن ومن أين ؟ قال : (علمي من عطاء الله ، وعن الله ومن حيث قال رسول الله ﷺ : (**من عمل بما علم أورثه الله ما لم يعلمْ**)[1]، فسكت الفقيه .

وصحِبَهُ رجلٌ من الشُهود ثلاثين سنةً مع صيام أيامها وقيام لياليها، فقال له: (يا سيدي خدمْتُك وأطَعْتُك ولم يَظْهَر لي شيءٌ مما يودِعُ الحقُّ قلوبَكم !)، قال: (يا ولدي لو صُمتَ وقمتَ ثلاثمائة سنةٍ ما تجدُ منها ذرَّةً لأنك محجوبٌ بنفسك، منقطعٌ برؤيتِك طاعتَك)، قال: دُلَّني على دواءٍ، قال : (اذهبْ واحلِق لحيتك، وانزَعْ ثيابَك، وعلِّقْ بعنقِك مِخْلاةً فيها جوز، وقل للصبيان : من صفعني صفعةً أعطيته جوزةً، ثم دُرِ الأسواقَ كذلك عند من يعرفُك)، فقال : (سبحان الله لمثلي يقال هذا ؟)، قال : (قولك سبحان الله في معرِض ذلك شرك لأنك رأيت عظمة نفسك)، فقال: دُلَّني على غيرِ ذلك !، قال : (لا دواء لك غيرُه) .

وقيل له : بم وصلْتَ إلى ما وصلت ؟ قال : (جمعت الأسباب الدنيوية فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق ورميتها في بحر اليأس فاسترحت) .

وأمر تلميذاً له بشيءٍ فخالفَه، فلاموه، فقال : (دعوه فإنه سَقَطَ من عين الله)، فسرَق فقُطعتْ يدُه .

---

١ - رواه أبو نعيم وأحمد عن أنس بن مالك

وقال أحمد بن حضرويه : (رأيتُ ربَّ العزَّة في النوم فقال : يا أحمد كلُّ الناس يطلبون مني إلا أبا يزيدٍ فإنه يطلبُني) .

وقال أبو يزيدٍ : (إلهي إنك خلقْتَ الخلق بغير عِلْمِهم، وقلَّدْتَهم أمانةً بغير إرادتهم، فإن لم تُعِنهُم فمن يعِيْنُهم ؟!) .

وسئل رضي الله عنه عن السُّنة والفريضة، فقال : (السنة ترك الدنيا بأسرها، والفريضة الصحبة مع الله تعالى، وذلك لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى لأن كلامه صفة من صفاته تعالى) .

وسئل عن أسباب الوصول فقال : (إمساكُ حقائقِ المأمورات، وحِفْظُ الصدقِ مع الإخلاصِ في جميع الحالاتِ

بالله يا سطواتِ هجره لا تعجلي بحلول ضرِّه
لو قال لي مت طاعةً ما عشت بعد سماع أمره

وقال: (ظاهر التصديق وباطنه سواءٌ، وقد اشترك الإيمان والحب في العبد، فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله، قال الله تعالى: ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[1].

وقال : (يا من باع كل شيءٍ بلا شيءٍ، ويا من اشترى لا شيءَ بكل شيءٍ، إن في طاعتك من الآفات ما يشغلك عن السيئات) .

---

١ - سورة البقرة الآية ١٦٥ .

قيل وكانت ثيابه للمسجد على حدة، وللبيت على حدة، وللخلاء على حدة، وكذلك نعلاه .

وسُئل قدس سره عن قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾[1]، فقال : هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبون فيها، والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكُّون فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفونه، والباطن عن قلوب أعدائه حتى ينكرونه) . وقال : (لا يكونُ العبد محباً لخالقه حتى يذُلَّ نفسَه لله تعالى في طلب مرضاته سراً وعلانيةً، يعلمُ الله من قلبِهِ أنه لا يريدُ إلا هو) .

وكان بقومسَ رجل مشهور بالورع والزّهد، فقال يوماً أبو يزيدٍ لأصحابه : (قوموا بنا ننظرْ إلى هذا الرجل الذي شَهرَ نفسَه بالولاية!) فمضَوا معه، فلما خرج من منزله ودخل مسجده رمى ببصاقه نحو القبلة، فقال أبو يزيدٍ : (قوموا بنا ننصرفْ من غير أن نسلّمَ، فإن هذا رجل ليس بمأمون على أدبٍ من آداب الشريعة التي أدَّب بها رسولُ ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيه من مقامات الأولياء والصديقين ؟!) .

---

١ - سورة الحديد الآية (٣) .

وقال : (إن الله عز وجل عليَّ نِعَماً، منها أني رضيت بأن أُحرقَ بالنار بدل الخلق شفقةً عليهم، ومنها أني لم أُمسِكْ شيئاً قطّ)[1]، وقال : (ليس للعبد خيراً من أن يكونَ فقيراً ليس معه شيءٌ.. ولا التعبد ولا العلم، ولا يجيء إلا بالذل والافتقار إليه تعالى) .

وسُئل متى يبلغ الرجل حدَّ الرجال، فقال: إذا عرف عيوبَ نفسِه واشتغل بإصلاحها)، وقال : (منذ أربعين سنةً لم أستندْ إلى حائطِ مسْجدٍ أو رِباطٍ)، فقيل له : (لم لا تستندُ وفي ذلك رخصةٌ ؟) فقال : قال الله عز وجل : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[2]، فهل ترى من رخصة؟!) .

وقال : (لا شيءَ أعونُ على دينكم من تعظيمِ أخيكم المسلم وحفظِ حُرمتِه، ولا شيءَ أضرُّ بكم في دينكم من تهاونِكم بإخوانكم وتضييعِ حُرمتِهم) .

وأقام أياماً لم يتكلّمْ مع مخلوقٍ فلما خرج إلى حال بَسْطِه سُئل عن ذلك فقال : (تذكّرتُ ابتداءَ حالي وتقلّبي في أنواع البِطالات والغَفَلات فعلِمتُ أني كنتُ مراداً فصرت مريداً فإنَّ من أراده وفّقه، ومن أحبَّه قرّبَهُ)، قال رسول الله ﷺ : (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً حبّب إليه طاعتَهُ وبغّض إليه معاصيَه)[3] .

---

١ - أي لم يأته رزقٌ إلا وأنفقه في سبيل الله، أو لم يُسألْ شيئاً إلا أعطى .

٢ - سورة الزلزلة الآية (٧-٨) .

٣ - لم أقف على تخريجه

قال أبو موسى الديبلي : (وصحبتُه سنينَ فما رأيتُه نامَ مضْجَعاً إلا يسيراً، وطالما صلّى الصبح بوضوء العشاء الآخِرة، غير أنه يتحسَّرُ على ما مضى من اجتهاده، وقلت له : بم أستعين على عبادة الله عز وجل ؟ فقال :(با لله) قلت : فما علامة الصدق ؟ قال : (طاعة الله عز وجل، واعلم أنه لا حسن أعظم ممن حسن لقاء الله تعالى)، يشير إلى قول الله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ﴾[1] .

وقال : (من لزِمَ العُبودية لزمه اثنان : يأخذه الخوف من ذنبه، ويفارقه العجب من عمله)، وقيل له : ما أعظم آيات العارف ؟ قال : (أن تراه يؤاكلك ويشاربك ويبايعك ويشاربك وقلبُه معلّقٌ با لله ليس له همٌّ سواه)، وقال : (هذا فرحي بكَ، وأنا أخافكَ، فكيف فرحي بكَ إذا أمِنْتكَ ؟).

وكان يقول : (ربي أفهِمْني عنكَ، فإني لا أفهمُ عنكَ إلا بكَ)، وقال : (اطّلع الله عز وجل على قلوبِ أوليائه فرأى منهم مَنْ لم يكنْ يصلُحُ لحَمل المعرفةِ صِرفاً فشغَلَهُ بالعبادة)، وقال : (من سمعَ الكلام ليتكلّم به مع الناس رزقه الله فهماً يُكلّم به الناسَ، ومن سمع الكلام ليعامِل الله به رزقه الله فهماً يناجي به ربَّه تعالى)، وقال : (العارفَ فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول، والعارفُ ما فرح بشيءٍ قطُّ ولا خافَ من شيءٍ قطّ، والعارفُ يلاحِظ ربَّه، والعالم يلاحظُ نفسَه بعِلْمه) .

---

١ - سورة فصلت الآية (٣٣) .

وقال : (إن الصادقَ من الزاهدين، إذا رأيتَه هِبْتَه، وإذا فارقتَه هان عليك أمرُه، والعارفُ إذا رأيتَه هِبْتَه، وإذا فارقتَه هِبتَه)، وقال : (لقد همَمْتُ أن أسأل الله تعالى أن يكفِيَنِي مُؤنةَ الأكل والشرب ومُؤنة النساء، ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسألَه هذا، وهذا شيءٌ لم يسألْه رسولُ الله ﷺ فلا يجوز لي أن أسألَه فلم أسألْه، ثم إن الله عز وجل كفاني مُؤنة النساء حتى أنّي ما أبالي امرأةً أتيتُ أم حائطاً) .

وذهب ليلةً إلى الرباط ليذكر الله تعالى على سوره، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقيل له في ذلك فقال : (تذكرت كلمةً جرت على لساني في حال صباي فاحتشمت أن أذكره بلسان نطق بما نطق) .

وقال : (ما حصل للأولياء بالنسبة إلى ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا كمثل زِقٍّ[1] فيه عسلٌ، يرشَحُ من ذلك الزِّقِّ قطرةٌ، فتلك القطرة حصلت للأولياء، وما في الظرف[2] للأنبياء) .

وقال العباس بن حمزة : (صلّيتُ خلفَ أبي يزيد الظهرَ، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبِّرَ لم يقدرْ أن يقولَ الله أكبر إجلالاً لاسم الله عز وجل، وارتعدتْ فرائصُه[3] حتى سمعْتُ قَعْقَعَةَ عظامِه، فهالني ذلك) .

* * * * *

---

١ - الزق جلد يُجزُّ ويستعمل لحمل الماء .

٢ - الظرف هو وعاءٌ كالقربة .

٣ - الفريصة هي اللحمة بين الجنب والكتف، أو بين الثدي والكتف تُرعَد عند الخوف .

وتوفي سنة إحدى وستين، وقيل أربعٍ وستين ومائتين، ولـه ثلاثٌ وسبعون سنةً. ولم يثبت محل دفنه، ولكن اشتهرت له مراقدُ كثيرةٌ ولعلها مقاماتٌ له رضي الله عنه .

وهو أويسي التربية، فإنه ربَّتْه روحانية جعفر الصادق، ووصل إليه هذا السر الجليل منه بالروحانية كما قدَّمْنا، لأن سيدنا جعفرَ كانت وفاته سنة ثمانٍ وأربعين ومائةٍ وهي قبل ولادة أبي يزيدٍ نحو أربعين سنةً كما رأيت، ثم إن كل من ربَّتْ روحانيتَه أحدُ السادات يقال له أويسيٌّ نسبةً لسيدنا أويسٍ القرني سيدِ التابعين، فإنه على القول بوجوده وهو الصحيح المؤيَّد بالأدلة المعتبرة والكشف الصريح، ربَّتْهُ روحانيةُ سيد العالمين بالخصوص، وبشَّر به أصحابَهُ ﷺ، ونعته لهم وأمر سيدنا عُمرَ وسيدنا علياً أن يسألاه الاستغفار إذا اجتمعا به، وقصته مشهورة بين العلماء رضي الله عنهم، وهيَ بطولها في الإحياء .

ثم تَلَقَّى سرَّ هذه النسبة الشريفة من سيدنا أبي يزيدٍ أيضاً بالروحانية سيدنا أبو الحسن الخرقاني قَدَّس الله سرَّه.....



سيدنا أبو الحسن الخرقاني قدس سره

كان غوثَ وقته، وفريداً في مقاماته، قِبلَةَ أهلِ زمانه، وبحراً يَسْتَمِدُ الأولياء من أمواج عِرفانه، بشَّر به الشيخُ العارف الكبير أبو العباس القصاب، وأخبر أنه سينقلب موسم زيارته والرحلة إليه من بعده إلى الشيخ أبي الحسن، وقد كان كما قال .

ومن كلامه : (لاتصحبْ شخصاً إذا ذكرتَ الله يذكرُ غيرَه)، وقال : (اطلب القصة لتظهر الدموع، فإن الله يحب الباكي)، وقال : (كل شيءٍ يطلب العبد به الله فالقرآن أحسن منه، فلا تطلب الله إلا به)، وهذا منه رضي الله عنه نظراً إلى حال أهل النهايات، فإنه لاشيءَ أنفع لهم من تلاوة الكتاب العزيز، أما أهل البدايات فلا شيء أنفع لهم من الذكر الكثير باسم الذات[1] أو النفي والإثبات[2] على ما يختاره المرشد الموصل.

---

١ - وهو نفسه ذكر الاسم (الله الله) مع حبس النفس ليكون التبتّل التام إلى الله عز وجل .

٢ - ويقصد به الذكر بكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) بطريقة اختص بها السادة الصوفية يكون فيها استجماع القلب والفكر لله .

وقال : (وارث الرسول هو الذي يقتدي بأفعاله، لا الذي يُسَوِّدُ وجوهَ الأوراق)، وقال قول أبي يزيد : (أريد أن لا أريد هو إرادة)، وقال قول الشبلي : (أطلب أن لا أطلب هو طلبٌ أيضاً) .

وقال : (اليوم لي أربعون سنةً والله ينظر إلى قلبي لا يرى فيه غيره، ما بقي فيَّ لغير الله شيءٌ، ولا في صدري لغيره قرارٌ)، وقال : (أنور القلوب ما ليس فيه للخلق وجود، وأحسن الأعمال ما ليس فيه تفكرٌ بمخلوق، وأحلُّ الأرزاق ما بذَلْتَ جَهدكَ في اكتسابه، وأحسنُ الرُّفقاءِ ما كان حياتَه مع الله)، وقال مرةً لأصحابه : (ما أحسنُ الأشياء ؟؟)، قالوا : أخبِرْنا أنت به، فقال:(قلبٌ يذكرُ الله دائماً) .

وقيل له : متى يعلم العبد عدم الغفلة عن الله تعالى ؟ فقال : (إذا ذكرالله تعالى وتحقق بجميع أجزائه من فرْقِهِ إلى قدَميه أنَّ الله ذاكرٌ له)، وقيل له : لمن يليق التكلم بالفناء والبقاء ؟ فقال : (يليق لشخصٍ لو عُلِّقَ بخيطٍ من حريرٍ بين السماء والأرض ثم هبَّتْ ريحٌ عاصفةٌ اقتلعتِ الأشجارَ ونسفتِ الجبالَ إلى البحارِ حتى ملأتْها لم تحرِّكْه من مَحِلِّه) .

وهو أُوَيسيُّ التربيةِ ربَّتْه روحانية سيدنا أبي يزيدٍ البسطاميُّ رضي الله عنه.

قلت : وذلك بأن تتصل روح الحي الذي هو في دار الدنيا بروح من هو في البرزخ اتصالاً لاكيفيّاً، ويقعَ التخاطب الروحاني بين المفيد والمستفيد، ويخلق الله عز وجل للروح المستفيدة علماً ضرورياً بما تلقيه الروح المفيدة، هذا إن كان

المستفيد تامَّ الصفاء وإلا نزلت روح المفيد إلى صورة مثالية، وتقع حينئذٍ الإفادة والاستفادة بتخاطب جسماني .

وممن أخذ عنه شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري، وقال في حقه : (مشايخي في علم الحديث والشريعة كثيرون، وأما شيخي في الطريقة فالشيخُ أبو الحسن الخرقانيُّ، ولولا أني رأيته ما عرفتُ الحقيقةَ) .

ثم تَلقّى سرَّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا أبو علي الفارمدي قدّس الله سره.....

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا أبو علي الفارمدي[1] قدّس سره

وهو العارف الرحماني والمربي الرباني، كان قَدَّس الله سرَّه عالماً شافعياً عارفاً صَمَدانياً متضلّعاً بمذهبِ السلفِ، ذا خبرةٍ بمناهج الخلف، وأما التصوف فذاك عشُّه الذي منه درجَ، وغابُه الذي أَلِفَهُ ليثُه، ودخلَه وخرج .

تفقّه على الغزاليِّ الكبير وأبي عثمان الصابوني وغيرِهما .

قال المولى عبد الغافر رحمه الله: (كان شيخَ عصره، منفرداً بطريقٍ في التذكير، لم يُسْبَقْ إليها في عبارته وتهذيبه، وحُسن تأدِيَتِه وتأديبِه، ومليحِ استعارته، ودقيقِ اشارته، ورَقيقِ ألفاظه، ووَقْعِ كلامِه في القلوب) .

صحِبَ القشيريَّ، وأخذ عنه حجةُ الإسلام الغزاليُّ، وجدَّ واجتهدَ، وكان ملحوظاً من القشيري بعين العناية حتى فُتحَ عليه لوامعُ من أنوارٍ، وصار من مذكوري الزمان ومشهوري المشايخ، قال السمعاني : (كان لسانَ خراسان[2] وشيخَها وصاحبَ الطريقةِ الحسنةِ في تربيةِ المريدين) .

---

١ - نسبةً إلى فارْمَد من طوس إحدى مدن خراسان .

٢ - بلادٌ قديمة في آسيا، تتقاسمها الآن إيران (نيسابور) وأفغانستان (هراه وبلخ) ومقاطعة تركمانستان السوفيتية (مرو) .

وكان يقول: (كنت كلّما حصلتْ لي حالٌ من الأحوال أذكُرها له فيقـول لي : (اذهب يا ولدي واشتغل بتعلُّم العلم)، ولم يزل ذلك الحال يزدادُ معي يوماً فيوماً وأنا مشتغلٌ بتحصيل العلم مدّة ثلاثِ سنين، فاتّفق لي أني رفَعتُ مرةً القلم من الدَّواة فخرج أبيضَ، فقُمْتُ حتى وقفتُ أمام الإمام القُشيري وذكَرْتُ له ذلك الأمرَ، فقال لي قدَّس اللّه سرّه: (حيث نزع العلمُ يدَه منك فانزع يـدك منه، والتفِتْ للحال الذي أنتَ فيه واسـلُكْ طريـقَ القـوم)، فنقلـتُ أمتعـتي من المدرسة إلى الخانقاه واشتغلت بخدمة هذا الأستاذ الإمام قدَّس اللّه سرّه).

وقـال : (ودخـل الأسـتاذ يومـاً إلى الحمّـام، فذهبـت وخـدي إلى الحمـام وأخرجْت عدَّةَ دِلاءٍ من ماء البئر وملأْته، فلما خرج الأستاذ القُشيري منه قال : (من الذي ملأ الحمامَ ماءاً ؟) فسكتُّ وقلت في نفسـي: إنـي فعلـت قلَّةَ أدبٍ، فسأل مرةً ثانيةً فما أجبتُهُ أيضاً، فلما سأل الثالثةَ قلت له : أنا ملأْته، فقال :(يا أبا عليُّ أبشِّركَ بأن ما حصَّلتُه أنا في مدة سبعين سنة فقـد حصَّلْتَـه أنـت بدلـوٍ واحدٍ) .

وقال : واستولى عليَّ مدة المجاهدة عند الأستاذ القشيري يوماً حالٌ لم أكـنْ معها شيئاً مذكوراً، فذكرت له ذلك فقال :(يا أبا عليُّ ذوقي ما هو أعلـى مـن هذا، يمكن أن يكونَ ذلك المقام أرفع من مقامي وأنا لا أدري طريقه)، فلم أزلْ متشوِّقاً إلى شيخٍ يوصلني إلى أعلى من هذا مدةً مديدةً وذلك الحال يزيـد، وقـد كنتُ سمعتُ بالشّيخ أبي القاسم الكركاني فتوجَّهتُ إلى طوس ولم أكنْ أعرفُ محلَّه، فلما وصلتُ البلدةَ سألت عنه فوجدتُه جالساً في المسـجد مـع جماعـةٍ مـن مريديه، فصلّيتُ تحية المسجد وجلست أمامَه وكان مطرِقاً رأسَـه فرفـع وقـال :

(تعال يا أبا عليّ)، فقمْتُ وسلّمت عليه ثم قعدتُ، فذكرت له أحوالي، فقال : (نعم.. باركَ الله لك في بدايتِك، فإنك الآن واصلٌ إلى أوّل درجةٍ من السلوك، أمّا إذا حصل لك تربيةٌ فإنك تصلُ إلى درجةٍ عاليةٍ)، فقلت في نفسي : هذا أستاذي، ثم أقمت عنده فبعد ما أمرني بأنواع الرّياضات والمجاهدات مُدّةً مديدةً عَقَد لي على ابنتِه وأذِنَ لي بالكلام على الناس) .

وقال قدّس اللّه سرّه : كان قد حضر الشيخ أبو سعيد ابن أبي الخير من مهينة إلى طوس قبل أن يأذن لي الشيخ أبو القاسم بالكلام، فذهبت إلى زيارته فقال لي : (يا أبا عليٌ استعدٌ فإنه سيُفتح عليك فتتكلمَ بلسانهم كثيراً كالبُلبل)، فما مرَّ على هذه البشارة زمانٌ حتى أمرني الشيخ بعَقْد المجلس وفتحَ لي باب الكلام .

وقال حُجّة الإسلام أبو حامد الغزالي قدّس الله روحَه : لقد سمعْتُ الشّيخ أبا علي الفارمديّ يُحدّث عن شيخِه أبي القاسم الكركاني أنه قال : (التّسعة والتّسعون اسماً تصير أوصافاً للسالك وهو بَعدُ لم يَصِلْ).

تُوفّيَ قدّس اللّه سرّه سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، وبواسطة هذا السيد الجليل تتّصل السلاسِلُ الثلاثةُ .

ثم تلقّى سرَّ هذه النسبة الشريفة منه سيدنا يوسف الهمداني قدس الله سره....



سيدنا يوسف الهمداني قدّس سره

وهو أحدُ الأئمَةِ العارفين والعلماءِ الراسخين والأولياءِ الكاملين، انتهت إليـه في خراسان تربيةُ المريدين، واجتمع عنده في رِباطه بمروَ مـن العلمـاء والصُلحـاءِ جماعةٌ كثيرةٌ، وانتفعوا به وبكلامه ووصلوا إلى آمالهم الكبيرة

وُلد قدّس الله سرّه في هَمَدان[1] سنةَ أربعين وأربعمائةٍ ورحلَ منها وهو ابنُ ثماني عشرة سنةً إلى بغداد، وتفقّه في مذهب الإمام الشـافعيِّ على شيخِ الدّنيـا سيدِنا الشيخِ ابراهيمَ بنِ عليٍّ بنِ يوسفَ الفيروزآبـادي صـاحبِ التنبيـه، ولازمَ مجلسَ أبي إسحاق الشيرازي، وقدّمه مع صِغَرِ سنّه على أقرانه، ورَفعَ قدرَه حتى برِع في الفقه وغيرِه لاسيَّما علمُ النظر.

وسمع من الخطيـبِ وثقـاتٍ كثـيرةٍ في بغـدادَ وأصفهـانَ وبخارى وخراسـانَ وخوارزمَ وما وراء النهـرِ، وحصـل لـه القَبـول التّـام ثـم انقطـع وتزهّـد وتعبّـد واشتغل بالمجاهَدات والرّياضات حتى حتى صار غَـوث الزمـان وغيـثَ الحقـائق

---

١ - همدان بسكون الميم وتصح بالدال وبالذال، مدينة في إيران جنوب غرب طهران .

والعِرفان، وعُقد له مجلسُ الوعظ والتّذكير في بغداد، ثم رحل إلى مرو[1] وأقام بها .

وصحِب الشيخ عبدا لله الجُوَيْني، والشيخ حسن السّمناني، والشيخ أبا علي الفارمدي .

وحكى إمام الشافعيّة في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلتُ بغداد في طلب العلم، فرافقتُ ابنَ السّقا في الطلب بالنظامية، وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له الغوث، يَظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء، فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر وهو يومئذٍ شابٌّ فقال ابنُ السّقا ونحن سائرون : لاسألنّه مسألةً لا يدري جوابها، وقلت : لأسألنّه مسألةً وأنْظرُ ما يقول فيها، وقال الشيخ عبد القادر : معاذَ الله أن أسأله شيئاً أنا بين يديه أنتظرُ برَكة رؤيتِه؛ فدخلْنا عليه فلم نرَه إلا بعد ساعةٍ فنظر الشيخ إلى ابن السّقّا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السّقا تسألُني مسألةً لا أدري جوابَها؟! هي كذا وجوابها كذا، إني لأرى نارَ الكُفر تَلهَب فيك؛ ثم نظر إليَّ وقال : يا عبد الله أتسألُني عن مسألةٍ تنتظرُ ما أقول فيها؟! هي كذا وجوابها كذا، لتُقلَبنَّ الدّنيا عليك إلى شحمة أُذُنيكَ بإساءة أدبِك، ثم نظرَ إلى الشيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبد القادر لقد أرضيتَ الله ورسولَه بحُسن أدبِك، كأني أراك ببغداد وقد صعَدْتَ الكُرسيَّ متكلّماً على الملأ وقُلْتَ قدمي هذه على رقبةِ كلِّ وليٍّ، وكأني أرى الأولياء في وقتِك وقد حنَوا رِقابَهم إجلالاً لك.ثم غاب عنّا فلم نرَه قال : فأما الشّيخ عبدُ القادر فقد ظهرت

---

١ – مدينة في مقاطعة تركمانستان وهي اليوم ماري .

أمارات[1] قربه من الله وأجمع عليه الخاص والعام وقال : قدمي ..الخ، وأقرَّت الأولياءُ في وقته له بذلك، وأمّا ابنُ السّقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برعَ فيها وفاقَ كثيراً من أهل زمانه واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسانٍ فصيحٍ وسمتٍ بهيٍّ، فأدْناه الخليفة منه وبعثه رسولاً إلى ملك الرُّوم، فرآه ذا فنونٍ وفصاحةٍ وسَمْتٍ فأُعجب به وجَمع له القسّيْسين والعلماءَ بالنّصرانية وناظرَهم فأفحمهم وعجَزوا، فعَظُم عند الملك فزادت فتنتُه، فتَراءتْ بنتُ الملك فأعجبتْه وفُتنَ بها وسأله أن يزوِّجها له، فقالت : إلا أن يتنصَّر، فتنصَّر وتزوجها، ثم مرِض فألقَوه في السوق يسألُ القُوت فلا يجُاب، وعَلَتْه كآبةٌ وسوادٌ حتى مرَّ عليه من يعرِفه فقال له : ما هذا ؟ قال : فتنةٌ حلَّت بي سببُها ما ترى، قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال لا إلا قولَه : ﴿ربما يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[2]، قال : ثم جُزْتُ عليه يوماً فرأيتُه كأنه قد حُرفَ وهو في النّزع، فقلَبْتُه إلى القِبلة فاستدارَ إلى الشرق، فعدتُ فعادَ وهكذا إلى أن خرجَتْ روحه ووجهُه إلى الشرق..

وكان يَذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه، قال ابن أبي عصرون: وأما أنا فجئتُ إلى دمشقَ فأحضرني السُّلطان الصالح نور الدّين الشّهيد وأكرهَني على وِلايةِ الأوقاف فوَلِيتُها وأقبلتُ على الدّنيا إقبالاً كثيراً فقد صدقَ قول الغوثِ فينا كلّنا .

---

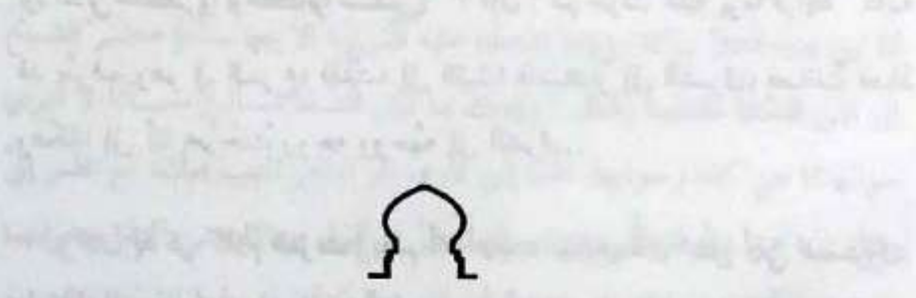
١ - جمع أمارة وهي العلامة .

٢ - سورة ص الآية (٣) .

وبعد أن أقامَ مُدَّةً مديدةً في مدينة مَرْو، رحل إلى هَراةَ[1] وأقام بها طويلاً، فسأله أهلُ مرو العود إليها فذهب حتى إذا وصل إلى (باميين)[2] أدركته الوفاةُ فدُفِن بها، ثم بعد حين نُقلتْ جثّته الشريفةُ إلى مروَ وجُعِلتْ في الحضرة المنسوبة إليه، وقبرُه يُزار ويُتبرَّك به .

وكانت وفاته في غُضون شهر ربيعٍ الأول سنةَ خمسٍ وثلاثين وخمسمائةٍ رضي الله عنه... وللشيخ قدَّس الله سرّه مريدون لا يُحْصَون عدداً وخلفاءُ عظامٌ ملؤوا الدّنيا علماً وهدىً .

ثم تلقّى هذه النسبة الشّريفة عن الغوث الهمداني سيدُنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدَّس الله سره .



١ - مدينة في شمال أفغانستان .

٢ - بلدة في خراسان تحاذي هراة .

سيدنا عبد الخالق الغجدواني[1] قدّس سرّه

هو صاحب الكرامات التي سارت مسيرَ الشمس والمقامات التي لا يجحد سموَّها إلا الذي يتخبَّطه الشيطان من المسّ .

كان عالماً عارفاً صوفياً وبعهود الزَّهادة والعبادةِ وفيّاً، أما الإرشاد فكان مِلكَه الآخذَ بزِمامهِ، وبدرِ سمائِه الذي لا يعتريه النُقصان عند تمامِه .

وأما التصوُّف والزّهد والورع المتينُ وسلوكُ سبيل المتّقين، فتحقّقُه به أشهر من أن يُذكر وأكبرُ منْ أن يُنكَر، هو رأسُ هذه الطريقة الشريفة، ومنبعُ طريق الخواجكان قدَّس الله أسرارهم المُنيفة ؟

ونسبه الشَّريف يتّصل بالإمام مالكٍ رضي الله عنه، وكان والدُه الشيخ عبد الجميل إماماً من أكابر علماء ملاطيةِ الروم في الظاهرِ والباطن، والدتُه من بناتِ الملوك، رحل والدُه إلى ما وراء النهر بأهله لأمورٍ اقتضتْ ذلك، ثم جاء بلادَ بُخارى وسكن في قرية غجدوانَ . وقد رأى الخضِر وصحِبَه وبشَّره بالخواجة[2] عبد الخالق قدَّس الله سرّه وسمّاه بهذا الاسم، وكان تحصيله العلومَ في بخارى

---

١ - غُجدوان بضم الميم، قرية عظيمة محاذية لبخارى.

٢ - الخواجة بالخاء المفتوحة المفخمة وترسم بالواو ولا تُقرأ وإنما هي علامة التفخيم، وهو لفظ فارسي معناه العالِم أو الشيخ .

عند الشيخ العلامة صدرِ الدين قدّس الله سرّه، وقد برع في العلوم الظّاهرة اشتغلَ بالمجاهداتَ والرّياضات الشّاقّة وتحصيل العلوم الباطنةِ، ذُكِرَ أنه كان يَقرأ تفسيرَ القرآن عند الشيخ صدرِ الدين، فوصل إلى قوله تعالى: ﴿ادعُوا ربَّكم تضرُّعاً وخُفْيةً إنّه لا يحبُّ المعتدين﴾[1] قال للشيخ : ما حقيقة الذكر الخفيّ ؟ وكيف طريقتُه ؟ فإن العبد إذا ذكرَ بالجهر وبتحريك الأعضاء يطّلع الناسُ عليه، وإن ذكرَ بالقلب والشّيطانُ يطّلع عليه بقوله ﷺ : (**إن الشّيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم في العُروق**)[2] فقال له الشيخ : (إن هذا علمٌ لَدُنّيٌّ، وإن شاء الله تعالى يجمعُكَ الله على أحدٍ من أوليائه فيلقّنك الذّكْر الخفيَّ).. فكان الخواجة قدّس اللّه سرّه يَنتظر وقوعَ هذه البِشارة حتى جاء الخضِرُ عليه السلام إليه فقال له : (أنت ولدي)، ولقّنه الوُقوفَ العدديَّ وعلّمه الذّكر الخفيَّ .

فكان قدّس اللّه سرّه أوّلَ من اشتغل بالذّكر الخفيّ في هذه الطريقة، ولذلك كان رئيسَها، ثم لما قَدِم الغوثُ الرَّبانيُّ سيدنا يوسف الهمدانيُّ بخارى لزم خدمته مدّة إقامتِه في بخارى، ورُوي عنه أنه قال : (لما بلغْتُ اثنين وعشرين سنةً أوصى الخضِرُ عليه السلام الغوثَ الهمدانيَّ بتربيتي، فلما قدِم بخارى أتيتُ إليه وبقيت بخدمته حتى عاد إلى خراسان ولم يأمُرْني إلا أن أبقى على ما لقّنني الخضرُ عليه السلام) .

١- سورة الأعراف، الآية (٥٥)

٢ - رواه البخاري في الأدب وأحمد عن أنس بن مالك

وذكر الشيخ محمّد بارسا أحدُ أجلاء أصحاب سيّدنا النقشبند قدّس اللّه سرّهما العزيز في كتابه (فصلُ الخطاب) أن طريق الخواجه حُجّة على جميع الطُّرق ومقبولةٌ لديهم، لأنه كان سالكاً طريق الصّدقِ والوفاء ومتابعةِ الشّرع وسنّةِ المصطفى ﷺ ومُجانبةِ البِدع ومخالفةِ الهوى .

ثم سافر إلى الشام وأقام بها مدّة أعوامٍ وبنى ثَمَّ خانقاه[1] ، واجتمع عليه من المريدين الصّادقين خَلقٌ كثيرٌ .

وله رسالةٌ كتبها لولدِه القلبيِّ المبارك الشيخ أولياء الكبير قد اشتملت من آداب الطَّريقةِ والنَّصيحةِ الرفيعةِ والتربيةِ الحسنةِ الرقيقةِ على ما يوجب إيرادها هنا وهي :

(....يا بنيّ أوصيك بتحصيل العلمِ والأدبِ وتقوى الله تعالى، واتْبَعْ آثار السَّلف الصالحِ، ولازمِ السُّنّة والجماعةَ، واقرأ الفقهَ والحديثَ والتفسيرَ، واجْتنبِ الصّوفية الجاهلين، ولازمِ الصّلاة بالجماعةِ بشرطِ أن لا تكون إماماً ولا مؤذّناً، وإياك والشّهرةَ فإنها آفةٌ، وكنْ واحداً من الناس، ولا تمِلْ لمنصِبٍ ولو كان محموداً كالقضاء والفتوى، ولا تكنْ كفيلاً ولا وصيّاً، ولا تصحبِ المُلوكَ وأبناءَهم والمُردَ والنّساء والمُبْتدِعةَ والعوامَّ، ولا تبنِ زاويةً، ولا تجلسْ بها، ولا تسمع الأنغامَ إلا قليلاً فإنّ كَثرة السَّماع تولّد النِّفاق وتُميتُ القلبَ، ولا تُنكرْ على أصحاب السَّماع لأنهم كثيرون، وقلّلِ الكلام والطعام والمنام، وفِرَّ من الناس فراركَ من الأسدِ، والْزَمِ الخَلوة وأكْلَ الحلال، واتّقِ الشُّبُهات إلا عند

---

[1] - الخانقاه كلمة فارسية تعني الزاوية.

الضَّرورة، فربَّما غلَبَ عليك طلبُ الدنيا، وفي طلبها يذهَب دينُك وإيمانك، ولا تضحكْ كثيراً فإن كَثرة الضَّحِك تميتُ القلب، ولا تحتقرْ أحداً ولا تُزيِّنْ ظاهرَك لأنَّ تزيُّنَ الظاهرِ من علامةِ إفلاس الباطن، ولا تجادلِ الخلْق، ولا تسألْ أحداً شيئاً، ولا تأمُرْ أحداً بخِدمتك، واخدُمِ المشايخَ بالمال والجاه والبَدن، ولا تُنكرْ على أفعالهم فإن المُنكِرَ عليهم لا ينجو، ولا تغترَّ بالدنيا وأهلها، وينبغي أن يكون قلبُكَ محزوناً ومغموماً، وبدنُك مريضاً، وعينُك باكيةً، ورفيقَك الفقرُ[1]، وبضاعتَك الفقهُ، وبيتَك المسجدُ، ومؤنسَك الحقُّ تعالى .

ومن إرشاداته القُدْسية وإشاراته العليّة، الكلماتُ الإحدى عشرة الفارسيةَ التي بنى عليها طريق السادات النقشبندية قدَّس الله أسرارَهم :

<u>الأولى وقوفٌ زمانيٌّ</u> : أي الوقوفُ والشّعورُ المنسوب إلى الزّمان.. يعني ينبغي للسّالك اطّلاعُه على زمانه المستمرّ عليه، وعلمُه بكيفيّة حاله عند مُضيِّه من حيثُ الحضورُ المستوجِبُ للشّكر، والغفلةُ الموجبةُ للمعذرةِ، وتوضيحُه أنّ الطالبَ يجتهد كلّ الاجتهاد في أن لا يمضيَ عليه زمانٌ ولا يجريَ عليه آنٌ إلا وهو على توجُّهٍ إلى المقصود الأصليّ، وتَنبُّهٍ إلى أنّ عِلْمَ العليمِ الخبيرِ محيطٌ به، فلا يعملُ من عملٍ إلا ويعلمُ أن الله شهيدٌ عليه إذ يُفيض فيه، وعلى أيّ شأن يكون من تحرّكٍ وسكون يتيقّن أن الله سبحانه مطّلعٌ عليه، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وما يعزُبُ عنه مثقالُ ذرّة في الأرض ولا في السّماء، ثم بعد مُضيّ كل ساعتين أو ثلاثٍ ينبغي له أن يلتفتَ إلى حال نفسِه كيف كان في هاتين الساعتين أو الثلاث، فإن كان الحضورُ مع الله تعالى والشعورُ به شكرَ الله تعالى

١- أي الفقر إلى الله عز وجل ولا يعني التكاسل وقلة المال

على هذا التوفيق، وعدَّ نفسَه مع ذلك مقتصراً في ذلك الحضور الماضي، واستأنفَ حُضوراً أتمَّ، وشعوراً أكملَ، وإن كان حالُه فيها الغفلةُ، استغْفرَ منها وأنابَ ورجَع إلى الحضُور التامّ، وذلك الالتفاتُ المذْكور هو معنى الوقوفِ الزمانيِّ .

قال سيّدنا بهاء الدين شاه نقشبند قدَّس الله سرّه العزيز : وهو عبارةٌ عن أن تكونَ واقفاً على أحوال نفسِك، فإن كانتْ موافِقةً للشّريعة مَرْضِيةً لله تعالى فاشكره، وإلا فاستغفرْه، ومبنى طريق السالك فيه على حفظ اللّحظة الزمانية بحيث يكون واقفاً على نفسه أنّه خرَج بالحُضور أو بالغُفلة .

وقال أيضاً : وهو أن تحسُبَ كلَّ ساعةٍ مضتْ بالغفلة وبالحضور، فإذا فهمتَ حقيقة الأمر تعُدَّ أنّ كل الأوقاتِ والأفعالِ كانت بالغفلة فترجِع إلى عمَل المبتدي .

الثانية وقوفٌ عدديٌّ : ومعناه أن يَذكُرَ بقلبه كلمةَ التّوحيد المشرّفة على الكيفيّة المعروفةِ عندهم مع حبْسِ النّفَس مرّةً أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً، وهكذا إلى إحدى وعشرين .

ولا بدَّ له في هذا الذّكر من أن يلاحِظَ العددَ الذي يأتي به في نفَسٍ واحدٍ ليتحرّى إطلاق النّفس عند الوِتْر منه دون الزّوج، وما يقعُ في كلام أكابر النقشبنديّة أنّ فلاناً أمَر فلاناً بالوقوف العدديِّ، فالمرادُ به الذّكرُ القلبيُّ بالنّفْي والإثباتِ مع رعاية العدَد على الوجه الذي عرَفْتُ، لا مجردُ رِعاية العَدد في الذّكر .

واعلمْ أنه ليس المَدار في النَفيِ والإثباتِ على كَثرة المرّات التي تأتي بها في النفَس الواحدِ، بل على رعاية شُروطِه من كمالِ الحُضور وحَبْسِ النَفَس وإطلاقِه عند الوِتر حتى لو لم يستطعِ الذّاكرُ أن يأتيَ بها إلا مرةً مع رعايةِ هذه الشُروط، كان خيراً له من أن يأتيَ بها إحدى وعشرين مرةً مع الإخلال بواحدٍ منها .

قال حضرةُ مولانا الشيخ علاءُ الدين العطار قُدّس سرُّه : الإكثار من الذّكر أي الإتيانُ بكلمة التّوحيدِ مراتٍ كثيرةً في نفَس واحدٍ ليس بشرطٍ، بل الشّرطُ كونُ الذّكر حاصلاً مع الحضور حتى يترتّب عليه الفائدةُ.. قال حضرة سيدنا بهاءُ الدّين قدّس الله سرّه العزيز : (الوقوفُ العدديُّ أوّل درجةٍ من درجات العلم اللّدُنّي، والوقوف العدديُّ يَحتاج إليه من يشتغلُ بالنّفيِ والإثبات، أمّا من يشتغلُ باسم الذّات تعالى وتقدّس، فليس عليه رعايةُ هذا الأدبِ إذْ لا عددَ في ذِكرِه حتى يراعيَه .

<u>**الثالثةُ وقوفٌ قلبيٌّ**</u> : أي الوُقوف المنسوبُ إلى القلب، وهذا محمولٌ على معنَيين:

- إمّا وقوف قلبِ الذّاكر على المذكورِ عندَ ذِكرِهِ أي اطّلاعُه عليه بحيث لا يَغيبُ عن مراقبته بكل حالٍ .

قال سيدنا عُبيد الله أحرار قدّس الله سرّه : الوقوف القلبيُّ كنايةٌ عن الحضور مع الحقِّ تعالى على وجْهٍ لا يكونُ معه اِلتفاتٌ إلى غيره، وهو شرطٌ لازمٌ في الذّكر ويُسمّى بالحضورِ والشُهود والوُصول والوُجود...

• وإمّا وقوف الذّاكر في أثناء الذكر على قلبِه فهو الاطّلاع على حاله وشغلُه بالذكر وملاحظةُ مفهومِه وأن لا يُخَلّيَ عليه سبيلاً للغفلة .

<u>الرابعة نظر برقدم</u> : بر -بفتح الباء- بمعنى على، والمعنى المراد أنه ينبغي للسّالك أن يكونَ نظرُه إلى قدَمَيه عند المشي لِئَلا ينظرَ إلى الآفاقِ، لأنّ النّظر إليها يورِث الحِجاب في القلبِ، لأن أكثر الحُجُبِ التي في القلوب هي الصُّور المرتسِمة فيها من طريق النّظر، فهي لدفْعِ تفرقةِ الآفاق ولِئَلا يشتغلَ عن الذّكر بالنّظر إلى المُبصَرات، لأن الذاكر المبتدىءَ إذا تعلّق نظرُه بالمبصَرات اشتغل قلبُه بالتفرِقة الحاصلة بذلك، أو لِئَلا ينظرَ إلى وجوه الأغيار عند الصّوفية مِن المحظوراتِ، لأن القلوبَ الصّافيةَ مثلُ المرايا الصّقيلةِ ينطبِعُ فيها ما كان في القلوب القاسية من الأخلاقِ الذّميمة والأفكار الفاسدة بمجرّد النظر إلى وجوه أصحابِها، أو لِئَلا يصيبَ نظرُه إلى الوجوه الحِسان فيُفْتَتَنَ بذلك، لأن النظرَ سَهمٌ من سِهام الشّيطان فمن أصابه ذلك افْتُتِنَ في طريق الله ، فأُمر السالكُ أن يَغُضَّ بصرَه إلى قدميه لِئَلا يدركَه ذلك السهم[1] .

ويُحتمل أن تكون كنايةً عن سرعة سير السالك في قَطْع مسافةِ الحُجُبُ الظّلمانيّة والنورانيّة حتى يخْلُص إلى ذات البحت، يعني كل ما ينتهي نظر السالك إليه يضع قدمَه عليه... وهكذا .

١- يقول رسول الله ﷺ :(النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه) رواه الحاكم عن حذيفة.

وأشار إليه سيدنا عبد الرحمن الجاميُ قدَّس اللهُ سرَّه مادحاً حضرة مولانا بهاء الدين نقشبند بما ترجَمته :

لم يخلُ عن نفَسٍ دون الحضورِ   تسبقْ نواظرُه الأقدامَ في السَّفرِ

وذا لسُرعةِ سيرٍ فيه قد   فما تَخَلّفُ رجلاهُ عن النّظرِ

ولقد أفصح عن هذا المعنى أحسن إفصاحٍ سيدنا الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي في الخامس والتسعين ومائتين من مكتوباته العرفانية فقال : (ليس المراد من قوله النظر على القدم أن لا يجاوزَ النظرُ القدمَ وأن لا يتعدّاه إلى فوق، لأن هذا خلاف الواقع، بل المراد أن يكونَ النظر سابقاً للقدم، وأن يجعلَ القدمَ رديفةً، لأنَّ العُروجَ إلى الرُّتَب العالية يكون أوّلاً للنظر، ثم يُصْعِدُ القدمَ، وحين تصلُ القدمُ إلى مرتبة النظر يتعلّى النّظر إلى درجةٍ أعلى منها فيُصْعِدُ القدمَ تَبَعاً له، ثم يترقّى النظرُ من ذلك المقام أيضاً على هذا المنوال) .

الخامسة هوش دردم : هوش بمعنى العقل، ودر بمعنى في الظرفية، ودم بمعنى النّفَس[1] ، فالمعنى المراد عندهم أنه ينبغي للسّالك العاقلِ أن يحفَظ النّفَس عن الغفْلة عند دخوله وخروجه ليكونَ قلبُه حاضراً مع اللهِ تعالى، وحضورُ القلب معه تعالى في الأنفاسِ إحياؤها وإيصالها إلى اللهِ تعالى متّصِفةً بالحياة، لأن كل نَفَسٍ يدخُل ويخرج بالحضور فهو حيٌّ موصولٌ باللهِ تعالى، وكل نفَسٍ يَدخلُ ويخرجُ بالغفلة فهو ميْتٌ مقطوعٌ عن اللهِ تعالى .

١- النّفَس يعني الهواء الذي يدخل إلى الجسد ويخرج منه، ويعني السعة والفسحة، وقد يعني الحين والوقت، حيث جاء في حديث النبي ﷺ : (بُعِثتُ في نَفَس الساعة) [رواه الترمذي]، وفي اصطلاح الصوفية النفَس يشبه الوقت ولكنه يمتاز عن الوقت بأنه حينّ تروّحَ بحالٍ، فالنفَس حقيقة الوقت

قال سيدنا عبيد الله أحرار : أهمُّ المهمات في هذا الطريق هو حفظُ النفَسِ، ومن لم يحفظْ نفَسه يقال عنه : (فلانٌ فقَدَ نفَسه) . وقال سيدنا ومرشدُنا بهاء الدين شاه نقشبند قدَّس الله سرَّه العزيز : (إن مبنى هذا الطَّريقِ على النَّفَس، فينبغي لك أن تحفظ النفس وقتَ الدخول والخروج، بل ما بين النَّفَسين) .

ينبغي بالطريقة الأولى أن يكونَ الذاكرُ منتهياً عن سِنَةِ الغَفْلة في حال الذكر، لأن المقصودَ من الذكر استمرارُ ملاحظة معناه، واستمرارُ ملاحظة معنى الذكر يؤدي إلى تجلّي ذلك المعنى، وذلك لا يمكن إلا بحِفْظ الأنفاس عن الغفلة، لأن حِفْظَها يؤدّي إلى الحضور، والحضورُ سببُ شهودِ تجلّياتِ الحقِّ سبحانه وتعالى، لأن لله تعالى تجلياتٍ بعددِ أنفاس الخلق، فمن حفِظَ أنفاسَه عن الغَفَلات كان حاضراً مع الله تعالى فيصيب من تلك التجليات .

ثم اعلمْ أن حِفظ الأنفاسِ عن الغَفَلات عسيرٌ على السّالكين، فإذا تخلَّلَتْها الغفلةُ فلا بدَّ لهم أن يستغفروا الله منها، فالاستغفار يطَهِّرها ويزكّيها، وكما أن في قوله قدَّس الله سرَّه : (نظر بر قدم) إشارةٌ لدفع تفرِقةِ الآفاق كما تقدم، كذلك في هذه إشارةٌ لدفع تفرِقَة الأنفُس .

السادسة (السفر در وطن): أي السفر في الوطن، والمعنى المُراد بها عندهم أنه ينبغي أن يكونَ سفَرُ السالك من عالَم الخلقِ إلى جَناب الحقِّ سبحانه وتعالى كما أشار إليه خليل الله عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿إني ذاهبٌ إلى ربي﴾[1] ، ومن حالٍ إلى حالٍ أحسنُ منه أو من مقامٍ إلى مقامٍ أعلى منه .

١- سورة الصافات الآية (٩٩) .

كما قال أبو عثمان المغربيُّ قُدِّس سرُّه : (يجب على السالك أن يسافرَ من عند هواه وشهوتِه ومرادِه، لا من بلدٍ إلى بلدٍ، وإنما اعتبَر أرباب السلوك السفرَ الظاهريَّ للوصول إلى المرشد المربّي، فلما وصل إليه وجب عليه أن يُسلِّمَ أمرَه إليه ويُقيمَ عنده ويترك السّفر الظاهريَّ حتى يَقدِرَ على السّفر الباطنّي وتتمَّ الإرادة .

وكان الشيخ محمدُ بن عليٍّ الحكيمُ التّرمذيُّ صاحب (نوادر الوصول) قُدِّس سرُّه يمنع السالك من السفر الظاهري ويقول : (مفتاحُ كلِّ خيرٍ ومفتاحُ كل بركةٍ الصّبرُ في موضع إرادتك إلى أن تصحَّ لك الإرادة، فإذا صحَّت لك الإرادة فقد ظهرتْ لك أوائل البركة، فأنت في سفرٍ إلى الله تعالى سواء سافرتَ من حيثُ الظاهرُ أو لم تسافرْ .

ثم اعلم أن المشايخَ إنما منعوا السالكين من السفر الظاهري لأن فيه المشاقَّ والمحنَ التي لا يتحمَّلُها أهلُ البِداياتِ لعدم تمكُّنِهم من مَقام العبودية والشُّهود، فتؤدِّيهم تلك المشاقُّ إلى ارتكاب المخالفة في طريق السلوك وترك الفرائض والسنن، وتُورِّث في قلوبهم التفرقة، وأما الكاملون فلا تؤثِّرُ فيهم تلك المشاق بل يحصل لهم التّرقّيات إلى الدّرجات العاليات .

قال سيدنا الشيخ عبيد الله أحرار : (إن السفرَ لا يورث المبتدىء إلا التفرقة، فينبغي للطالبِ إذا وجد الشيخ أن يلازمَه بصدق الهمة في الخدمة ولا يفارقَه إلا بعد التّمكُّن، فإذا حصَل له التّمكُّن يكون سفَرُه وحضَرُه على نيّةٍ صحيحةٍ .

ما أحسن الضَّحِكَ الجاري بغير فمٍ   ورؤيـةً غـاب عنهـا هيـكلُ البصـرِ
كـن قـاطناً ظاهراً والسِّـرُّ مـرتحـلٌ   فالسَّير من دون رحلٍ أحسنُ السَّفَرِ

السابعة (خلوة در انجمن) : اعلم أن الخلوة نوعان :

الأول خلوةٌ في الظـاهر : وهـي اختـلاءُ السـالك في بيـتٍ خـالٍ مـن النـاس وقعودُه فيه ليَحصُلَ له الاطِّلاع في عـالَم الملكـوتِ، لأن الحـواسَّ الظـاهرة متـى احتُبستْ عن أحكامها انطلقتِ الحواسُّ الباطنة لمطالعةِ آياتِ الملكوت .

والنوع الثاني : خلوةٌ في الباطن، وهي التي أشار إليها الشيخ بقوله : (خلـوة در انجمن)، أي الخَلوة في الجَلـوة، لأن معنـى انجمـن جمعيـةُ النـاس، والمـراد بهـا عندهم أنه ينبغي أن يكون قلبُ السالك حاضراً مع الحـقِّ غائباً عـن الخلـق مـع كونه بينَهم، فحينئذٍ تكون هذه الكلمةُ بمعنى المراقبة .

وقيل هي كنايةٌ عن كون الذاكر مستغرقاً في الذِّكـر القلبي بحيـث إذا دخـل السوقَ لم يَسمعْ أصوات النّاس بسببِ استيلاء الذكر على حقيقةِ القلب، وقيـل هي كنايةٌ عن استيلاء النِّسـبة العليـة بحيـث لا يُنافيهـا معيَّـة الخلـق، ولا يضرُّهـا المعاملة معهم، وهذه هي الخلوة الحقيقيَّة كما أشار إليها تعالى بقولـه : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[1] ، وهي خاصةٌ بـالطّريق النقشبنديّ لأنَّ أربابَها لا يختَلُون بالخَلوة الظاهرة، وإنما خَلْوتُهم من حيثُ الباطنُ عند جمعيَّة الناس، كما قال سيدنا الشيخ بهاء الديـن قـدَّس الله سرَّه العزيـز : (الشُّـهرة في الخلوة، والخيرُ في الجمعيَّة، والجمعيَّة في الصُّحبة بشرط أن تكونوا فانين بينكـم).

١- سورة النور الآية ٣٧

وإنما اختاروا هذه الخلوة اتّباعاً للسُّنة لأنَّ النبي ﷺ اختار الجمعيَّة على الخلوة إذ قال ﷺ: (**المؤمن الذي يخالط الناسَ ويصبِرُ على أذاهم خيرٌ من المؤمن الذي لم يخالِطِ الناس**)[1] .

وقال الشيخ أبو سعيدٍ الخراز رضي الله عنه : (ليس الكامل من صدَر عنه أنواعُ الكرامات، وإنما الكامل الذي يقعُد بين الخلق يبيعُ ويشتري معهم ويتزوج ويختلط بالناس ولا يغفَلُ عن الله لحظةً واحدةً) .

بقلبك كن حذِراً بالحبّ مُنصبغاً وكنْ بظاهرك المشهود في زيٍّ أجنبي

وهذا طريقٌ نادرٌ عزَّ أهلُه على أنّهم فازوا بأعذبِ مَشربِ

وقال سيدنا الإمام الرباني قدَّس الله سرَّه : (قوله خلوة در أنجمن) متفرعٌ عن (سفر در وطن)، لأنه متى تيسَّر السَّفر في الوطن تيسرتِ الخَلوة في الجَلوة، فيسافر في تفرقة الجلوة في وطن الخلوة، فلا تجد تفرقة الآفاق إلى حجرة الأنْفُس سبيلاً، وهذه الخلوة وإن كانت متيسرةً لكل مُنتهٍ في سائر الطرق أيضاً، لكنْ لما كانت متيَسِّرةً في ابتداء هذه الطريق صارت من خصائصه .

الثامنة (ياد كرد) : هي عبارةٌ عن تكرار الذكر على الدوام باسمِ الذّاتِ أو النّفي والإثبات إلى أن يحصل للذّاكرِ الحضورُ بالمذكور .

وقيل المقصود منها ذكر النفي والإثبات بالقلب على الطريقة المعروفة عند السادات النقشبندية، وهي أن يُغمضَ الذاكرُ عينه ويطبقَ الفمَ ويجعل السِّنَّ على السِّنِّ ويُلصقَ اللسان بعرشِ الفَمِ ويحبِسَ النفَس ويذكرَ بالقلبِ لا باللسان بأن

---

[1]- رواه أحمد والبخاري والبيهقي و ابن ماجة عن ابن عمر .

يبتدئ بكلمة (لا) من تحت السُرَّة ويرفعَها إلى الدماغِ، وبكلمة (إله) من الدماغ إلى الكتف الأيمن، ويضرب (إلا الله) على القلب الصنوبري الشكل حتى تصلَ حرارتُه إلى الأعضاءِ كلِّها، ويقولَ بعد ذلك في القلب (محمدٌ رسول الله) ويكَرِّرَها على قدر قوة النفْس، ولا بدّ مع ذلك من استحضار معناها، وهو ينفي المقصوديةَ عن غير الله تعالى، مع إثباتِها له عز وحل .

التاسعة (باز كشت) : (باز) بمعنى الرحوع و(كشت) بالكاف الفارسية أصله كشتن حذفت نونه للتخفيف، والمراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر أن يرجعَ في النفي والإثبات بعد إطلاقه للنفَس إلى مخاطبة الحقّ بهذه الجملة الشريفة: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) لأنها توكّد معنى النفي والإثبات، وتورِث في قلب الذاكر سرَّ التوحيد حتى يفنى عن نظرِهِ وُجودُ جميع الخلق ويظهرَ له وحود الواحدِ المطلقِ في المظاهر، ولذلك كانت السادات النقشبندية يأمرون بها المريدين ليتّصفوا بمضمونها مع المُداومَة عليها، لأنَّ مِن خاصيَّة هذه الكلمة ظهورُ سرِّ التوحيد وانكشافُ حقيقةِ التّجريد والتّفريد .

ولا يجوز للمبتدئ إذا لم يجدْ في قلبه صِدقَ مضمونها أن يَتركَها، بل يقولُها تقليداً لمرشده، إذِ المُقلِّد يصير محقّقاً، وآثارُ الصدق تَظهر بالتدريج .

العاشرة (نكاه داشت) : (نكاه) بمعنى الحفظ و(داشت) أصله داشتن، حُذفت نونه للتخفيف، يريدون بها أن يَحفَظ السالكُ قلبَه على ملاحظة معنى النفي والإثبات عند الذكر لئلا تدخلَه الخواطر[1] ، فإن دخلت فيه الخواطر لا تَحصُل فيه نتيجةُ الذكر التي هي حضور القلب بالمذكور، أو المرادُ أن يَحفظَ

١- الخاطر هو ما يرد على القلب دون أن يتعمده العبد أو يتكلفه .

قلبَه عن دخول الخواطر فيه ساعةً أو ساعتين أو أقلَّ أو أكثرَ، وهذا المعنى يتّحد بالوقوف القلبي.

وقال بعض العارفين : (حرسْتُ قلبي عشرَ ليالٍ فحرسَني قلبي عشرين سنةً)، وقال الشيخ أبو بكرٍ الكتانيُّ قدّس سرُّه : (كنت بوّاباً على باب قلبي أربعين سنةً، وما فتحتُه لغير الله تعالى، حتى صار قلبي لا يعرفُ غير الله عزَّ وجلَّ)، وقال سيدنا الشيخ أبو الحسن الخَرقاني قدّس سرُّه : (اليوم لي أربعون سنةً والله ينظر إلى قلبي لا يرى فيه غيره، ما بقي فيه لغير الله شيءٌ ولا بصدري لغيره قرارٌ).

والمرادُ من حِفظ القلب من الخواطر عدمُ ثَباتها عند مرورها عليه، قال الشيخ عبيد الله أحرار : (ليس معنى حِفْظِ الخاطرِ أن لا يجيءَ للسالكِ خاطرٌ أصلاً، بل أن لا يزاحِم الخاطرُ حضورَه، كالحشيش إذا سقط على الماء الجاري فإنه لا يَمنعُ جريانَه)، وقال : (سألت الشيخ علاء الدين الغَجْدواني وهو من كبار أصحاب سيدِنا بهاءِ الدين نقشبندَ : هل يُمكن أن لا يجيءَ الخاطرُ قطّ ؟ قال : لا، بل تارةً يجيء وتارةً لا يجيء، كقولك لآخرَ : لا تكنْ مغموماً، تريد ولا تدُمْ على غمّك لا أن لا يجيئَك غَمٌّ).

ويؤيّدُه ما قاله الشيخ علاء الدين العطّار : (وانتفاءُ الخواطر متعسِّرٌ بل متعذِّرٌ، فإني حرستُ قلبي من الخواطر عشرين سنةً ثم جاءَتْ، ولكنْ ما استقرَّت)، وقال بعضهم : (لا عبرةَ للخواطر إذا لم تتمكنْ وتصيرْ سدّاً في مجال الفيض).

الحادية عشر (ياد داشت) : هي كنايةٌ عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حالٍ من غير تكلّفٍ ولا مجاهدةٍ ! وهذا الحضور في الحقيقة لا يتيسَّر إلا بعد طيٍّ مقامات الجَذْبة وقطعِ منازل السّلوك، ثم اعلمْ أن الحضورَ الحاصلَ من الذكر والمراقبة والصّحبة والرّابطة والمُسمَّى (ياد داشت) متّحدةٌ من حيثُ الحقيقةُ، لأنّ الحضورَ مشاهدةُ أنوارِ الذات الأحديّة، لكنها مختلفةٌ من حيث الكيف، لا يَعرف ذلك الاختلافَ إلا الخواصُّ .

ثم إن الشيخ قدَّس الله سرَّه لما قَرُبَ انتقالُه للدار الآخرة أَذِن بتربية المريدين لأربعةِ خُلفاء، هم الشيخ أحمد الصدِّيق، وَالشيخ عارف أولياء الكبير والشيخ سليمان الكرميني .... وشيخُ هذه السلسلة وأعظمُ من سرى إليه سرُّ هذه النِّسبة سيدُنا الشيخ عارف الريوكري قدَّس سرُّه ....

❄❄❄❄❄

[illegible]

[illegible]

* * * * *

[illegible]

[illegible]

سيدنا الشيخ عارف الريوكري قدِّس سرُّه

وهو عارفٌ ظهرت أنوارُ صادقِ فجْرِه فأشرقتْ بعد الغروب شمسُ المعارف في عصره .

وُلد قدَّس الله سرَّه في قرية ريوكر[1]، ثم أخذ الطريقة عن حضرة العزيزان وقام بأعباء خدمته حتى أُذِنَ له بالإرشاد وشُهِدَ له بالكمال على رؤوس الأشهاد، ولما أفْضَتْ إليه الخلافة لحِقَ بالهِمَّة القويَّة أسلافَه فتصدَّر للإرشاد وتصدَّى ولم يَخفَ المريدُ من ليلى مرادهِ هجراً ولا صداً، فملأ الأقطارَ بأعطار بركاته، وفتح أبصارَ الأمصار بأسرارِ فتوحاته حتى أصبح نورَ حديقة الحقيقة، ونورَ حدَقةِ هذه الطريقة، يُقصد بالرحلة من كل الجهات، وهو من أعظم النّفحاتِ والرَّشَحات، وكانت وفاتُه في القرية المذكورة .

ثم تلقَّى سرَّ هذه النسبة الشريفة عنه سيدنا الشيخ محمود الأنجير فغنوى قدِّس سرُّه .



١- ريوكر بفتح الكاف وكسرها من قرى بخارى وتقع بين بخارى وغجدوان .



سيدنا الشيخ محمود الإنجير[1] فغنوي قدِّس سرُّه

وهو مرشِدٌ تفجَّرتْ من بين أصابعه مياه الحكمة، أنعم الله تعالى بوجوده على قلوب هذه الأمّة، فصَقَل مِرآتها من كل ظُلمةٍ وغُمَّةٍ، ومَزَّق عنها رحمةً بها حُجُبَ الأغيار، وجعلَها بأنواره القُدسيّة من المصطفَين الأخيار، فهو أعظم نعمةٍ وأعمُّ رحمةٍ .

ولما أُقيْمَ مقامَ سيدِنا الشيخ عارف قدِّس سرُّه انقطع لهداية الخلقِ إلى الحقّ، وقد عدَل إلى الذكر الجهريِّ منذُ مَرَضِ أستاذه، واستمرَّ عليه بعد انتقاله .

وكان أكثرَ إقامةً في مسجد (وابكني)[2]، وسأله الشيخ حافظ الدين ماذا ينوي بذكر الجهر فقال له : إيقاظ النائم وتنبيه الغافل ليتوجَّه إلى الله ويستقيمَ على الطريقة ويُخْلِصَ التوبة لله التي هي مفتاحُ الخير وآيةُ السَّعادة، فقال له : (إنّ نيّتَك صحيحةٌ تُجيز لك الجهرَ بالذكر) .

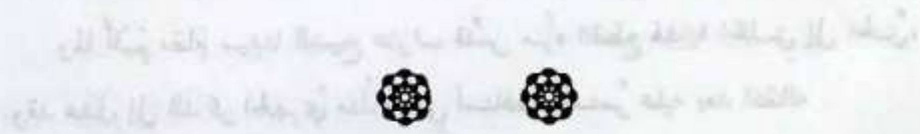
١- نسبة إلى إنجير فغنى إحدى قرى بخارى .

٢ - من قرى بخارى .

وطلب الشيخ حافظ الدين منه أن يُبيِّنَ له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتازَ المُحِقُّ من المبطل، فقال قدّس سرُّه: (من وجدتم لسانَه مطهَّراً من الكذب والغِيبة، وجوفَه منزَّهاً عن الحرام والشبهة، وقلبَه مُزَكّىً من الرِّياء والسُّمعة، وسرَّه مُبرَّأً من التوجُّه للأغيار فهو المُحِقّ) .

وكان من كبار خلفاء الشيخ أولياء الكبير البخاري، وقد احتضر، فلما خرج من عنده سأل الشيخُ دهقان الله تعالى أن يغيثه بوليٍّ من أوليائه في سكَرات الموت فإذا بالشيخ محمود عاد إلى منزل الشيخ دهقان ثانياً وبقي ثَمَّ حتى الْتحَقَ بالرّفيق الأعلى .

ثم تلقّى عنه سرَّ هذه النِّسبة الزّكيَّة الشيخُ علي الراميتني قدّس سرُّه....



سيدنا الشيخ علي الراميتني قدِّس سرُّه

وهو عَلَمُ عِلمٍ ما أرفعَه، ومَنْهلُ فضلٍ ما أنفعَه، فَتَحَ من كنوز القلوب أقفالَها، وأوضح من سُنن الغيوب أغفالها، كم حَبَرَ بكَسْرِ شهوات النُّفوس أحوالها، ومحا عنها بما أوحى لها أوحالها، ونال من دولة العارفين من الفضائل والمفاخر ما صدّقَ قولةَ القائل : (كم ترك الأوائل للأواخر) .

ولد قدِّس سرُّه في قرية راميتن[1]، ونشأ بها واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية حتى تضلّع بها، واتّصل بحضرة سيدنا الشيخ محمود الإنجيرفغنوي، فحصل له من المقامات العالية والفتوحات المتوالية ما ملأ به الخافقين إمداداً، والفريقين إرشاداً، واشتُهِر بالعزيزان، وهي أعظم آيةٍ على عُلوِّ الشأن .

ومن أنفاسه النفيسة : (اعمَلوا ولا تحسُبوا، واعترفوا بالتَّقصير واستأنِفوا العمل)، ومنها:(اجتهدْ بالحضور على الدَّوام لاسيّما وقتَ الطعام وعِند الكلام)، ومنها : (إنّ في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً﴾[2] إشارةً وبشارةً : إشارةً إلى التوبة، وبشارةً بقَبولها، فإنّ الأمرَ بها دليلُ قَبولِها، إذ لو لم يَقْبَلْها لم يأمرْ بها) .

١- قرية قريبة جداً من بخارى .

٢- سورة التحريم الآية (٨) .

وسأله مولانا سيف الدين فضة وكان من أجلّ العلماء، فقال له : (لِمَ تجهرُ بالذكر ؟) فقال له : (قد اتفق العلماء على جواز الجهر بالذكر عند النَّفَس الأخير من الحياة لقوله ﷺ : (**لقّنوا موتاكم شهادةَ أن لا إله إلا الله**)[1] ، وعند الصوفية (كلُّ نفَسٍ هو النَّفَس الأخير) .

وقال قدّس سرُّه : (على المرشد أن يَعْلَمَ أوّلاً استعداد السالك وقابليّته، ثم يلقّنه الذكر ويربّيه على حسب ذلك، فإنَّ مَثَلَ مَن يتصدّى لتربية المريدين وإرشادهم مَثَلُ من يُربّي الطائر، فكما ينبغي له أن يَعلمَ قَدْرَ تحمُّلِ حوصلتِه فيطعمَه على حسبها، كذلك المرشد) .

وقال قدّس سرُّه : (ينبغي للسالكِ أن يُكْثِرَ من المجاهَدات والرِّياضات ليُحصِّلَ الأحوالَ والمقاماتِ، وهنالك طريقٌ آخر وهو أن يسعى في تحصيل محبّةِ قلوب الأولياءِ له، فإنَّ قلوبَ هذه الطائفة العليّة مواردُ الحِكَم الإلهية، فيدركُ بذلك نصيباً منها وتَظهر أحوالُهم عليه) .

وله قدّس سرُّه ما مُعَرّبُه :

من لم يُفدك حضورَ القلب صحبتُه	وعنك غيمَ الهوى والنفسِ ما كَشَفا
إن لم تفارقْه تحصيلاً لجمْعك لم	تَقبلْك روحُ العزيزان الذي عُرِفا

وله قدّس سرُّه ما تعريبه :

إذا رُمْتَ كل الحقِّ دعْ كلَّ فِرقةٍ	وفِرقةَ أهل الحقِّ بالصِّدق فاصْحبِ
وإن رُمْتَ إمدادَ العزيزان فأْتِه	على الرأس والعينين سَعياً تُقرُّبِ

١- رواه أحمد ومسلم والطبراني عن أبي هريرة و رواه النسائي عن عائشة .

ولما جاءه الأمر الإلهي بالتحوّلِ من بخارى إلى خوارِزْمَ توجّه في الحال إليها، فلما وصلها نزل عند باب سورها وأرسل رسولاً إلى مَلِكها يقول له : (إنّ فقيراً نسّاجاً قد قصَدَ الدخول إلى بلادِكم والإقامةَ بها، فإن أذنتم له دَخل، وإلا رجع)، وأمره إن أَذِنَ له بالدّخول أن يأخُذَ منه بذلك كتاباً مختوماً بخاتَمِه، فلما جاءه الرسول وعرَض عليه ما أُمر به سَخِر السلطانُ وأتباعُه من كلامه وقال على سبيل الاستهزاء : (إن هؤلاء من أولي الحَمَق والبَلَه فاكتبوا له بما يريد)، فلما أخذ الكتاب على الوجه المطلوب وأتى به إلى الشيخ دخل قدِّس سرُّه المدينة، وطفِق يشتغل بطريق السادات قدَّس اللهُ أسرارَهم، وكان يَخرُج كل يومٍ إلى أسواق المدينة ويقف عند أرباب الصنائع فيقول لهم : (ما أُجْرَتُكم في اليوم ؟)، فيقولون له : كذا وكذا، فيقول لهم : (أنا أعطيكم أُجرتَكم وتعالوا فتوضَّؤوا واجلِسوا معنا اليوم واذكروا لله تعالى إلى الغروب)، فكان كل من أجابه لذلك ببركة الشيخ وقوةِ تصرُّفِهِ يحصل له حالٌ تمنعُه عن مفارقته، وتجذِبُه إليه صحبتُه ومتابعتُه .

فما مضت أيامٌ إلا وكثُرَت أتباعُه ومريدوه، فمشى بعض الحُسّاد إلى السلطان ووشى إليه بأنه قد أتى إلى مدينتكم شيخٌ قد اجتمع عليه الناس وكَثُر تلاميذه وأصحابه، ويُخشى من ذلك حدوث خَلَلٍ في مُلْكِك وفتنةٍ لا يُمكن لأحدٍ دفعُها، فخاف السلطان وأتباعُه من ذلك وهمُّوا بإخراجه قدِّس سرُّه، فلما بلَغَهُ أرْسَلَ الرَّسولَ بكتابِ الإذن إلى السلطان وقال له : (أَطْلِعْه عليه وقلْ له إنه ما دَخَل إلا بإذنكم فإن شئتُم أن تُبَدِّلوا حُكمَكم فإنه يَخرج)، فلما وصلَ إلى الملك لم يجدْ ردّاً وأذن له بالبقاء .

توفي يوم الاثنين بين الصلاتين ثامنَ عشرِ ذي القعدة الحرام، سنةَ خمسةَ عشرَ أو إحدى وعشرين وسبعمائةٍ، وقد عمَّر مائةً وثلاثين سنةً .

وكان له ولدان عالمان كاملان بلغا في حياته مَبْلغَ الفَضْل والعِرفان، أحدهما الشيخ محمد خوردم كان عمرُه حين توفي والده ثمانين سنةً، والثاني الشيخ إبراهيم، ولما احتضر والدُه أجاز له الإرشادَ من بعده فخطَر على قلب بعض المريدين أنّه لم يُجزِ الشّيخُ لولده الكبيرِ ذلك مع أنه أكملُ وأفضلُ من الصغير، فقال قدِّس سرُّه من طريق الكشف : (إن الشيخ محمد خوردم لا يبقى بعدي إلا قليلاً)، فمكث بعده تسعةَ عشرَ يوماً وتُوفي، وأما الشيخ إبراهيم فإنه عمَّر اثنين أو ستةً وخمسين سنةً .

ثم تلقّى سرَّ هذه النِّسبة الشريفة منه الشيخ محمد بابا السماسي قدِّس سرُّه...

❁❁❁❁❁

الشيخ محمد بابا السمَّاسي قدِّس سرُّه

وهو عالم الأولياء، ووليُّ العلماء، تفرَّدَ في علم الظاهر والباطن، وعمَّت بركاتُه كلَّ المَواطىء والمَواطنِ، طالما أثار بهِمَّته من المعارف كل كامنٍ، كيف لا وهو خُلاصة خاصَّة القرن الثامن، وفي الإسراء بأسرار الغيوب إلى الحرم الأقصى من القلوب آيةٌ لا تنتهي إلى أحد عن هُداها، وغايةٌ لا ينتهي أمَدُ مَداها، حجَّتْ إلى حرم كرمه العارفون، وطافت بكعبَةِ إرشاده الطائفون إذ كان من أعزِّ خلفاء العزيزان .

ولد قدِّس سرُّه في سمَّاس[1]، واشتغل بقراءةِ العلوم النقلية والعقلية حتى أصبح علاَّمةً في كل الفنون .

ثم صحِب سيدنا العزيزان ودَأَبَ على المجاهدات والرياضات، فامتاز على إخوانه بالفُيوضات والكرامات وبلوغ ختَم المقامات، حتى اختاره خليفةً له عند وفاته، وأمر أصحابه بمتابعته وطاعتِه مدّةَ حياته .

بَشَّر قدس الله سرَّه بظهور سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند قبل ولادته وذلك أنه كان كلّما مرَّ على قريته وهي قصر العارفان كما سيأتي، يقول لأصحابه : (إني لأجِدُ من هذه الأرض رائحةَ عارفٍ)، إلى أن مرَّ مرةً

---

١ - من قرى بخارى .

على تلك القرية فقال لهم : (إني أرى تلك الرائحة قد زادتْ)، وكان هذا بعد ولادته قدّس سرُّه بثلاثة أيام، فما لبث أن جاء به جدُّه إليه، فلما رآه قال له : (هذا ولدي)، ثم التفت نحو أصحابه وقال لهم : (هذا العارف الذي طالما كنت أشير إليكم بأني أجدُ رائحتَه من هذه القرية، وقريباً إن شاء الله تعالى يصير قُدوة الخلائق)، وأقبل على السّيد الأميرِ كُلال وقال له : (إن هذا ولدي فلا تُقصِّرْ في تربيته، ولئن قصَّرتَ في ذلك لا تجدني عنك راضياً أبداً)، فقام السيد على قدميه وقال : (قد قبِلْتُ خِدْمَتَه على الرأس والعين، لا أقصِّر إن شاء الله تعالى بها أصلاً .

توفي في سمّاس، ثم تلقى سرَّ هذه النِّسبة الشريفة منه الشيخُ سيّد أمير كُلال قدّس سرُّه .....



الشيخ سيد أمير كُلال قدِّس سرُّه

وهو زهرةُ رِياضِ الشَّمائل المحمدية، وسِدرةُ منتهى ما يُشْتَهى مـن المقامـات العُلوية، صاحبُ سَدرة الإرشـاد، وسـاحب أذيـال الفيوضـات والإمـداد، كُفْؤُ مُخَدَّرات[1] الأسْرار الغيبيَّة، والمربِّي بأنفاسه الزَّكيَّة أوابِدَ النفـوس الأبيَّـة، فهـو للشريعة مُجدِّدُها، وللطريقـة سيِّدُها، وللحقيقـة مُشيِّدها، وللخليقـة مُرشِدها ومؤيِّدها، به نالوا ما نالوا من البركات والعلوم الإلهية والإدراكات، وامتازوا في ديوان العارفين بالسيادة الغَرَّاء، ولا غَرْوَ فإنّ أولياء الساداتِ ساداتُ الأولياء.

وُلد قدِّس سرُّه في قرية سوخار[2]، وتوفي فيها.

ذَكر في مقاماته عن والدته رحمها الله أنها قالت: (لقد كنتُ وأنا حاملٌ بـه إذا تناولت من طعام مُشْتَبِهٍ أجـدُ ألماً في نفسـي، فلمـا تكـرَّر معي هـذا الأمـر التزمْتُ طريق الاحتياط في طعامي، فلم أجد بعد ذلك شيئاً، وكنـت أرجـو أن يجعل الله فيه الخير والبركة).

---

١ - المخدَّرات هي كل ما استتر عن العين.

٢ - من قرى بخارى.

وذكر أنه لما بلغَ سنَّ الشباب اشتغل بفن المصارعة، فكان يجتمع عليه أرباب الشجاعة وأولوا المُعاركة، فاتّفق ذاتَ يومٍ أنّ رجلاً من الواقفين خطر بباله إن هذا سيّدٌ شريفٌ، فكيف يشتغل بالمصارعة ويسلك سبيل أهل البطالة ؟! فلم يلبثْ أن غلَبَ عليه النوم، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وأنه واقع في وَحْلٍ عظيمٍ فغرِق فيه إلى صدره، واضطرب اضطراباً عظيماً وفزِعَ فزَعاً كبيراً، فأتى إليه السيد أمير قدّس سرُّه وأنقذه من هذه الوَرْطة، ثم أفاق فالتفت إليه حضرة السيد أمير وقال له : (أرأيت هِمَّتي وعلِمتَ ما معنى المصارعة ؟) .

ومرّ سيدُنا الشيخ محمد بابا السماسي مرةً هو وأصحابه بمُعْتَرَكِه، فوقف عنده، فقال بعض أصحابه في نفسه : كيف يقف الشيخ عند هذه البِدعة ؟! فالتفت الشيخ نحو أصحابه في الحال وقد كوشف بهذا الخاطر وقال لهم : (إنّ بين هؤلاء رجل يَنتفع ببركةِ صُحبته كثيرٌ من الناس وينالون أرفع الدرجات، فأنا أريد صيدَه) فحانت من السيد أمير نظرة إلى سيدنا الشيخ فانجذبَ في الحال إليه قلبُه، فلما انصرف الشيخ تبِعه السيِّد الأمير حتى وصل إلى داره فأدخله معه البيت ثم لقَّنه الذِّكر وعلَّمه أصول الطريقة العليَّة وقال له : (الآن أنت ولدي)، فلازم صحبته عشرين سنةً مع الاشتغال بالذكر والفكر والعبادة والخلوة حتى لم يرَه أحدٌ هذه المدةَ في سوقٍ ولا معترَكٍ ولا غيره .

وكان يجيء يومَ كل اثنين وخميس من سوخارَ إلى سمَّاس لزيارة الشيخ، وكان بينهما مسافة خمسة أميالٍ، ولم يزَلْ يشتغلْ هذه المدة كلَّها بطريق السادات إلى أن بلغَ فيه أعلى الدرجات، وعلَتْ نسبتُه عن أمثاله فغابَ عن أعيُن قلوبهم في غيبِ سماواتِ التجلِّيات العاليات .

خلفاؤه الكرام :

الخليفة الأول : الولي الكاملُ الولايةِ، عُمدةُ أهل الإرشاد والهداية، مولانا الشيخ عارف الديك كراني قدّس سرُّه .

ولد في قرية ديك كران وتوفي بها، وهو إمامٌ كبيرُ الشأن، خَدم الأمير كلال حقّ الخدمة فأثنى عليه وقال : (ليس أحدٌ من خلفائي مثل الشيخ بهاء الدين النقشبند ومولانا عارف) وكان سيدنا النقشبند يبالغ في الثناء عليه، وقد صحِبَه ثلاثين سنةً على غايةٍ من الأدب في الخدمة حتى إذا كان توضّأ مولانا عارف من النهر لا يتوضأ من فوق محلّه، وإذا مشى لا يضع قدمه مكان قدمه.

وقال سيدنا النقشبند قدّس سرُّه : (سافرت مرتين إلى الحجاز، ودخلْتُ زواياها ومدارسَها وخلَواتِها، فما وجدْتُ أحداً مثلَ مولانا عارف أو مقدارَ ذرةٍ منه، ولو وجدتُ ذلك ما رجعتُ إلى هذه الديار، فإني أريد أن ألقى من يكونُ ظاهرُه مع الخلق وسرُّه فوق السّموات السبع .

ولما رجعَ سيدنا النقشبند من الحجاز توطن مروَ، فأقبل إليه الناس من كل جانب حتى اجتمع عنده من المريدين عالَمٌ كبيرٌ، فما لبث أن بعثَ إليه مولانا عارف رسولاً يَستحثُه على الحضور إليه، فسافر مُخِفّاً، حتى إذا وصل إليه صرَف أصحابه من عنده وقال لهم : (إنّ لي معه سراً)، فلما انصرفوا قال له : (إن أجَلِي قد قَرُب ولم يبقَ منه إلا يومان أو ثلاثٌ، وإني نظرت في أصحابي وأصحابك فلم أجدْ أحداً فيه قابليةٌ تامّةٌ إلا مريدَك الشيخ محمد بارسا، فكل ما أودعنيه الحق تعالى فقد أودعتُه إياه فلا تقصّر في تربيته فإنه صاحبك)، فأمر أصحابَه أن يتّبعوه ثم أوصاه إذا مات أن يَغسِل إناء الماء بيده ويجلسَ على هيئة

التشهُّد عند تسخين الماء ويغسِّله ويكفِّنه ويَدفنَه، وبعد ثلاثٍ يرجعُ إلى مرو، ففعل كل ما أوصاه به .

الخليفة الثاني : إمام أئمة الهدى، وجوهرة العارفين، مولانا الشيخ جمال الدين الدهستاني قدِّس سرُّه .

الخليفة الثالث : فَذْلَكةُ المرشدين الكبار ومولانا الشيخ يادكار الكنسروني قدِّس سرُّه .

الخليفة الرابع : سيد هذه الطريقة، وشيخُ هذه السلسلة الأنيقة، وأعظم من سرى إليه سرٌّ هذه النسبة المطهَّرة فأحياها وزاد عِزَّها وشرَّفها وعُلاها، الغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند الأويسيُّ البخاريُّ قدَّس الله سرَّه العزيز ....



سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند

هو الغوث الأعظم، وعِقْدُ جيدِ المعارف الأنظَم، انزاحت بأنوار هدايته أغيان[1] الأغيار، وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار .

وُلد قدس الله سرَّه في شهر محرم الحرام، سنةَ سبعَ عشرةَ وسبعِمائةٍ في قصر العارفان[2]، وكانت مخائل[3] الولاية في غُرَّته الطاهرة ظاهرةً، وعلائمُ السعادةِ على كرائم أحواله باديةً بادرةً، أتحفه الله تعالى منذ كان طفلاً بالكرامات الزاهية الزاهرة .

تلقّى هذه الطريقة العليّة في الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي، ثم من بعده صحِب السيد أمير كُلال، وفي الحقيقة كان أُوَيسيّاً ربَّته روحانية مولانا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدَّس الله سرَّهم .

---

١ - جمع الغين وهو الغشاوة .

٢ - قرية من قرى بخارى .

٣ - جمع مخيلة وهي السحابة المنذرة بالمطر .

قال قدَّس الله سرَّه : (أرسلني جَدي وكان سِنّي وقتئذٍ نحو ثماني عشرةَ سنةً إلى سمَّاس لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد بابا السمّاسي باستدعاءٍ منه لي، فلما نلْتُ الحصولَ إليه لم يأتِ وقتُ الغروب إلا وقد وجدت بركتَه بنفسي سكينةً وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً،ثم إني قُمْتُ وقتَ السَّحَر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابُه فأحرمتُ بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرَّعت إليه كثيراً، فمر على لساني في أثناء دعائي (إلهي أعطني قوةً على تحمل البلاء ومحنة المحبة)، ثم إني صلَّيت الفجر مع الشيخ قدَّس سرُّه، فلما انصرف من الصلاة التفتَ إليَّ وذَكرَ لي كل ما صدر مني على طريق الكشف، ثم قال لي : (يا ولدي ينبغي أن تقولَ في دعائك : إلهي أعطِ هذا العبد الضعيفَ ما فيه رضاك، فإن الله تعالى لا يرضى أن يكونَ عبدُه في بلاءٍ، وإن ابتلى حبيبه على مُقتضى حكمته، يعطيه قوةً على تحمُّله ويطلعه على حكمته، فلا ينبغي للعبد أن يختارَ البلاء، فإنه ينافي مقام الأدب .

وقال قدَّس سرُّه لما توفي حضرة الشيخ محمد بابا السماسي : (أخذني الجدُّ إلى سمرقند، فكان كلما سمع برجلٍ صالحٍ من أهلِ الله حملني إليه وسأله الدعاء لي، فكانت تنالني بركتُهم، ثم أتى بي إلى بخارى وزوَّجني بها، وكانت إقامتي في قصر العارفان، ومن العناية الإلهية بي أنه وصلت إليَّ قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات، فتحسَّنَتْ أحوالي وقويَتْ آمالي، إلى أن حظِيتُ بصحبة السيد أمير كلال قدَّس سرُّه وأخبرني بأن الشيخ محمد بابا السماسي قدَّس سرُّه أوصاه بي وقال له : (لا تألُ جَهداً بتربية محمّد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه، ولستَ مني في حِلٍّ إن قصَّرتَ في ذلك)، فقال له قدَّس سرُّه : (إن أنا قصَّرتُ في هذه الوصية فلستُ برجل) ثم وفّى وعده .

وقال قدَّس الله سرَّه : (كنت في بخارى والسيد كلال في نَسَفٍ، فوجدْتُ في نفسي داعيةً لزيارته، فبادرت لذلك في الحال فلما وصلت إلى مقامه وسلَّمت عليه قال لي :(يا ولدي لقد جئتَ في وقت الحاجة، فإنَّا هيأنا المطبَخَ ونريد من يحتطبُ لنا!)، فشكرتُه على هذه الإشارة وذهبتُ وأتيت بالحطب أحملُه على ظهري وفيه من الشَّوك ما فيه وأنا أُنشِد بيتاً بالفارسية معربةً :

جمالُ كعبةِ مقصودي يُنشِّطني فالشَّوك كالخَزِّ عندي حين أحملُهُ

واعلم أنه من زمن الشيخ محمود الإنجير فغنوي إلى زمن السيد أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر، وكانوا إذا انفردوا يذكرون خُفْيةً، فلما تلقَّى سيدُنا البهاء قدَّس سرُّه هذه الطريقة العليَّة اقتصر على الذكر الخفيِّ أخْذاً بالعزيمة، حتى كان إذا اجتمع أصحاب الأمير كلال قدِّس سرُّه وشرعوا بالذكر يقوم من بينهم، فكان يشقُّ ذلك عليهم ويُسيءُ بعضُهم به الظنّ وهو لا يلتفت إليهم ولا ينظر إلى مراعاة خواطرهم مع تمام محافظته على خدمة الأمير قدِّس سرُّه ورعايةِ الآداب الواجبة في حقِّه وكمالِ الاستسلام والانقياد لأوامره، والأمير قدِّس سرُّه يزداد كل يوم التفاتاً إليه واعتناءاً بشأنه واهتماماً بتربيته، ولم يزلْ في صُحبته حتى اجتمع ذات يومٍ أصحاب الأمير قدِّس سرُّه لعمارة مسجده، وكانوا زهاء خمسمائةٍ، فبَعْدَ فراغهم جلسوا كلُّهم عنده، فالتفتَ إلى من كان يسيء الظنَّ بحضرة البهاء بهاء الدين وقال : إنما هو غلَطٌ وغير صحيح، فإن الله تعالى قد قبله ولكن ما عرفتموه، ونظري والتفاتي إليه كان تابعاً لقبوله تعالى .ثم دعا به ولم يكن حينئذٍ حاضراً بل كان ينقل لَبِنَ المسجد، فلما حضر قال له : يا ولدي إني قد وفَّيتُ حقَّ وصيَّة الشيخ محمد بابا

السمَّاسي قدّس سرُّه في شأنك، ثم أشار إلى ثديه وقال له : إنك قد ارتضعت ثدي التربية حتى نضب، ولم تزلْ قابليتك في علوٍّ واستعدادك في قوةٍ، فقد أحزت لك أن تسعى في طلب المشايخ فتستفيدَ منهم، وتستفيضَ على مقتضى عظَمة هِمَّتك، قال سيدنا البهاء : فكانت هذه الإشارة من السيد قدّس سرُّه سبب ابتلائي) .

وقال قدّس الله سرُّه :(ثم صحِبْتُ مولانا عارف الديك كراني سبعَ سنين، ثم مولانا قُثَم شيخ، ونمت ليلةً فرأيت الحكيم أتى قدَّس الله سرَّه وكان من أكابر مشايخ الترك وهو يوصي بي درويشاً، فلما انتبهْتُ بقِيَتْ صورةُ الدرويش في مخيّلتي، وكانت لي جَدةٌ صالحةٌ، فقصَصْتُ عليها هذه الرؤيا فقالت: سيكون لك يا ولدي من مشايخ الترك نصيبٌ، فلم أزلْ أتوخّى لقاء هذا الدرويش حتى لقِيتُه في بخارى، فعرفته وكان اسمه خليل، غير أني لم أتمكنْ ساعَتئذٍ من صُحبته، فذهبت إلى البيت وأنا مشغول البال، فلما كان وقت المغرب أتاني شخصٌ فقال لي : إن الدرويشَ خليلٌ يريدك، فأخذت في الحال هديَّة الزيارة وأسرعت بالذهاب إليه، فلما تشرَّفت بلقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا، فقال بالتركي : إني أعلمُ ما رأيتَ فلا حاجة إلى البيان، فمال قلبي إليه وحصَل لي تأثيرٌ عظيمٌ من كلامه، ونِلْتُ بصحبته أحوالاً عاليةً حتى أنّ أهل ما وراء النهر قد ولَّوه بعد مدة عليهم سلطاناً، فما تركتُ ملازمته بل كنت أشاهد منه في أيام سلطنته أحوالاً عظيمةً فيزدادُ قلبي حبّاً به ويزداد هو تربيةً لي وترقيةً لأحوالي ورأفةً بي، وطالما علّمني من آداب الخدمة ما نفعني كلَّ النفع في معرفة آداب المسير والسلوك، وأقمت في صحبته ستَّ سنين مدةَ سلطنته، فكنت في الجَلوة مراعياً لآداب خدمته، وفي الخَلوة محرم خاصة صحبته.

،وقال قدّس سرُّه :(لقِيتُ أوائل الطّلب والجذْبةِ رجلاً من أحباب الله فقال لي : الظاهر أنك من الأصحاب ؟! فقلت : أرجو من بَرَكة نظرِ الأحباب أن أكونَ من الأصحاب، فقال لي : كيف تُعامِل الوقت ؟ فقلت له: إن وَجدتُ شَكرتُ وإلا صَبَرْت، فتبسّم وقال : هذا سهلٌ، وإنما الأهم أن تُكلّف نفسك أنها إذا فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لا تعصيك، فتواضعتُ له وأقبلت عليه، وطلبت منه الإمداد فأمرني بالاشتغال بجَبر الخواطر وخِدمة العاجزين والضُّعفاء والمنكَسرين الذين لا يَكترِث بهم أحد من الناس مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والانكسار، فامتثلتُ أمره وصرفْتُ في ذلك أيّاماً كثيرةً، ثم بعد ذلك أمرني بإماطة الأذى عن الطريق، فثابرتُ على ذلك سبعَ سنين بحيث لا يُرى أبداً كُمّي أو ذيلي خالياً من تُرابِ السُّبُل أو أحجارها، هذا وكلُّ ما أمرني به ذلك العزيز فعلتُه بصدقِ طويَّةٍ وإخلاصٍ ونيّةٍ، ووجدت منه النتائج النفيسَة في نفسي والترقيَ التامَّ في أحوالي .

وقال قدَّس الله سرَّه : (بِتُّ ليلةً مع الأصحاب في منزل بزيورتون، فاحتلمْتُ، فخرجتُ ليلاً لأغتسلَ، وكان ذلك في فصل الشتاءِ والمياهُ قد جمُدت، فكنْتُ كلّما أتيتُ ماءً أجدُه جامداً من شدة البرد، ولم أجدْ ما أكسِر به الجليد ولا أخبرت بذلك أحداً من أصحابي لِئَلا أشُقَّ عليهم، وما معي إلا فروةٌ عتيقةٌ، فلما يئستُ ذهبت من زيورتون إلى منزلي في قصر العارفان، وصرت أفتش على ما أكسر به الجليد، وما أطْلعتُ أحداً من أهلي على ذلك، فبعد استيعاب المنزل وما حولَه وجدتُ على حافّة حوضٍ قرب المسجد إناء يغترفون به الماء، فجعلت أكسِر به الجليد، وأصابني مشقّةٌ تامّةٌ من ذلك حتى تجرحَتْ يدَيَّ، ثم أخذت به الماء واغتسلت، فبرِدتُ برْداً شديداً، فلبست تلك

الفروة، وفي تلك الساعة مع هذا البرد الشديد، ورجعت من قصر العارفان إلى زيورتون .

وله اجتهادات قويّة ومجاهداتٌ غيرُ هذه كليّةً تُعلَمُ من الوقوف على مقاماته نفعنا الله والمسلمين ببركاته، وقد حجَّ ثلاث مراتٍ ومرَّ أخيراً بمروَ وأقام بها مدةً ثم انتقلَ إلى بخارى وأقام في قصر العارفان، وكان يُعرف قبل بقصر الهندوان، فطار صِيْتَ إرشاده كل مطار، وقُصِدَتْ رِحابُه بالرحلة من كافة الأقطار، واشتعل به الكون نوراً، وتبدلت غيوم القلوب بعلوم الغيوب وشرور النفوس سروراً، وأصبح يَبُثُّ من العلوم الغيبية والأسرار الوهبية والمعارف الأحدية والفُيوضات المحمَّدية ما لا يُحيط به محيطٌ، وكيف يحاط بالبحر المحيط وله آياتٌ بيِّناتٌ هُنّ على جلالته بينات .

وقال قدَّس الله سرَّه في قوله في الحديث القدسي : (**نفسك مطيتك فارفق بها**)، إشارةً إلى النفس المطمئنة المتشرِّفة بخِلعة ﴿إلا ما رحم ربي﴾[1]، وقد يحصل لبعض الأولياء حالٌ بحيث يصِلون في الانقياد إلى مَقامٍ إذا أُمروا بشيءٍ لا تُمكِنُهم المخالفة .

وقال قدَّس الله سرَّه في معنى قوله ﷺ : (**أمِطِ الأذى عن الطريق**)[2]، أي النفس، ومن الطريق طريق الحق، كما قيل لأبي يزيد رضي الله عنه خلِّ نفسك وتعال .

---

١ - سورة يوسف الآية ٥٣ .

٢ - رواه البخاري عن أبي برزة الأسلمي .

وقال قدّس الله سرّه : (مَن طلبَ الحقّ تعالى فقد طلبَ البلاء، ووَردَ في الأحاديث القدسية : (من أحبّني ابْتليتُه)[1]، وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أحبك، فقال ﷺ : (استعدّ للفقر)[2]، وأتاه آخرُ فقال له : يا رسول الله إني أُحبُّ الله، فقال : (استعدّ للبلاء) .

وقيل له قدّس الله سرّه : بماذا يتطلع أهل الله على الخواطر والأعمال الخفيّة والأحوال ؟ فقال : بنور الفِراسة التي أكرمهم الله تعالى بها، كما ورد في الحديث الصحيح : (اتّقوا فِراسةَ المؤمن فإنه ينظر بنورالله)[3] .

وطُلب منه قدَّس الله سرَّه إظهار الكرامات فقال : (مشْيُنا على وجه الأرض مع وجود هذه الذنوب أظهرُ الكرامات) .

وسئل قدّس سرُّه عن قول الجنيد : اقْطَعِ القارئين وصِلِ الصوفيّين، فمَن القارىء ومن الصوفي ؟ فأجاب بأن القارىء هو المشغولُ بالاسم والصّوفي هو المشغول بالمسمَّى ، وسُئل قدَّس الله سرَّه عن قولهم : (الفقير هو الذي لا يحتاج إلى الله)، فقال : (المراد منه نفي الاحتياج إلى السؤال كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : حسبي من سؤالي علمُه بحالي) .

وقال قدّس الله سرّه : (إن الأحوال من الشيخ كراماتٌ للمريد)، وذُكر عنده قدَّس الله سرَّه أنه قيل للشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قدّس سرُّه عند

---

١ - لم أقف على تخريجه

٢ - رواه البزار عن أنس

٣ - رواه البخاري والترمذي عن أبي سعيد الخدري، ورواه الطبراني وابن عدي عن أبي أمامة .

احْتِضاره : أيةَ آيـة نقـرأ أمـامَ جنـازتكم ؟ فقـال : اقـرؤا هـذا البيـت، وأنشـد بالفارسية ما معرّبه :

وأحسنُ مـا في الكـون مـن عَيْـنِ أصْلِـه   سـرورُ محـبٌ مـن حبيـبٍ بوصْلِـه

فقال سيدنا البهـاء قـدَّس الله سـرَّه : (هـذا عمـلٌ عظيـمٌ... ليقـرؤوا أمـام جنازتي هذا البيت) .

وأنشد بالفارسية ما مضمونه وهو من تعريب صاحب الرشحات :

أتينـــاك بـــالفقَر لا بـــالغِنى   وأنـــتَ الـــذي لم تـــزَلْ مُحسِـــنا

وقال قدَّس الله سرَّه : (تصجيحُ النّية مهمٌّ للغاية لأن النيّة من عالَمِ الغيب لا من عالَم الكسب، ولذلك لم يُصَلِّ أحد كـبراءِ الإسـلام - يعـني ابـنَ سـيرين- على جنازة الحسن البصري رحمهما الله تعالى وقال : لم تَحضُرْني النية) .

وروي عن الشيخ سهل التستري أنه قال : (النيـة نـور لأن النـون نـور الله، الياء يد الله، والهاء هداية الله، وإن النيةَ نسيمُ الروح) .

وقال قدَّس الله سرَّه يوما لأصحابه : (ما الفقير ؟!) فما أجابه أحدٌ، فقال : (مَن باطنُه حربٌ وظاهره سلمٌ)، وقال قدَّس الله سرَّه : (إذا تكلّـمَ المريـد بحـالٍ ليس فيه حَرَّم الله عليه شرف الوصول إلى ذلك الحال) .

وأنشد مجنونٌ بيتاً بالفارسيّة في حضرته معناه :

كلُّ الورى تَهوى المِلاحَ وإنما　　　يَرقى العُلى مَن كان يهوى غيرَها

فقال قدَّس الله سرَّه : (إنّا قد استفَدْنا الطريق من هذا القائل)، ثم أمر المريدين بحفظه .

وقال رضي الله عنه : (إن أهلَ الله يتحمَّلون ثِقَلَ الخلق ليتهذَّبَ منهم الخلق ويتشرّفوا بالقرب من أولياء الله تعالى، فإنه ما من وليٍّ إلا و لله نظرٌ إلى قلبه، علم ذلك أم لا، فكل من لقيه نال بركة ذلك النظر الإلهي) .

وقال رضي الله عنه : (إذا أردت مَقام الأبدالِ فعليك بتبديل الأحوال)، وأنشد بيتاً بالفارسيّة مُعرَّبه :

من بُدّلتْ أوصافُه فهو البَدَلْ　　　بِخُلّة الله غدا خَمْرة خَلّ

وقال رضي الله عنه : (في العبادة طلب الوجود، وفي العبودية تلف الوجود، ولا يُنتج العمل ما دام الوجود باقياً)، وقال قدَّس الله سرَّه : (الطريق التي يصل بها العارفون إلى معروفهم ويجدونه دون غيرهم، مبنيّةٌ على ثلاثة أمورٍ : المراقبة والمشاهدة والمحاسبة.. فالمراقبةُ نِسيان المخلوق بدوامِ النّظر إلى الخالق، والمشاهدةُ وارداتٌ غيبيّةٌ تَرِد على القلب، ولما كان الزمان لا بقاءَ له، فلا يمكننا

إدراك ذلك الوارد بصفةٍ تقوم بنا، وإنما ندركه من القبضِ والبَسْطِ، ففي القبض نشاهد الجلالَ، وفي البسط نشاهد الجمالَ، والمحاسَبة هي أن نحاسبَ أنفسنا عن كل ساعةٍ تمرُّ بنا هل مرَّت بحضورٍ أو تفرقةٍ، فنَعُدُّ الكلَّ نقصاً ثم نستأنف العمل من أوَّله) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (السالكون في دفع الخواطر الشَّيطانية والنَّفسانية متفاوتون، فمنهم من يراها فيدفعُها عنه قبل أن تصل إليه، ومنهم من يطردها بعد وصُولِها إليه، ولكن قبْلَ أن تستقِرَّ وتستَحْكِمَ، ومنهم بعد أن تصِلَ إليه وتتمكَّن يسعى في صَرْفها وهذا لا يُجْدي نفعاً تامّاً، غير أنه إذا عَرفَ السالك منشأ ذلك وسببَ الانتقالاتِ إليه لا يخلو من فائدة)،

وقال قدَّس الله سرَّه : (معرفة كيفيّة التحوُّل والانتقال من حالٍ إلى حالٍ في غاية الإشكال)، وقال قدَّس الله سرَّه : (الوقوف الزَّماني الذي هو وظيفةُ السالك أن يكونَ ناظراً إلى أحوالِه، فيعلم لكل زمان من الشكر أو العذر ويعامله بما يليقُ به)، وقال قدَّس سرُّه : (ينبغي أن يكونَ تلقينُ الذكر من الكامل المكمِّل ليؤثِّر وتظهر نتيجته، فإن السهم إذا كان من كنانة السلطان يصلح للحماية) .

وقال قدَّس سرُّه لحضرة العزيزان، وهوسيدنا الشيخ علي الرامتيني : (طريقان في الذكر : سرٌّ وجهرٌ، فاخترتَ منهما السِّر لأنه أقوى وأولى)، وقال قدَّس

سرُّه: (الوقـوف العـددي أوّل مراتـب العلـم اللّدُنّـي)، وقـال قـدِّس سـرُّه : (لا يَتمكّن من الوصولِ إلى حبِّ الله إلا من خَرجَ عن نفسه)، وقال :(مَثَلُ أهل الله مَثَلُ الصيّاد الحاذق الذي يُدخل الحيوان الوحشيَّ في شبكته ثـم يوصلـه بحِكمتـه إلى مقام الاستئناس).

وقال قدِّس سرُّه : (لهذه الطريقة ثلاثة آدابٍ : أدبٌ مع الله سبحانه وتعالى، وهو أن يكونَ المريدُ في الظـاهر والبـاطن مُستكمِلاً للعبوديـة بامتثـال الأوامـر واجتناب النواهي، مُعْرِضاً عن سِواه بالكلية، وأدبٌ مع رسـول الله ﷺ، وهـو أن يستغرقَ في مقام (فاتّبعوني)، ويراعي ذلك في جميع الأحوال وجوباً، ويعلـمَ أنـه ﷺواسطةٌ بين الحقِّ والخلق، وأنَّ كل شيءٍ تحت تصرُّف أمره العالي، وأدبٌ مـع المشايخ وهو لازمٌ للطالبين، لأنهم سببٌ في متابعته ﷺ ووصلوا إلى مقام الدعـوة إلى الحق، فينبغي للمريدِ حضوراً أو غيبةً أن يكونَ مُراعِياً لأحوالهم مُقتَدِيـاً بهـم مُتمسّكاً بأذيالهم) .

وقال قدَّس ﷺ سرَّه : (على المرشد أن يَعلم أحوالَ المريد في الأزمنة الثلاثـة : الماضي والمستقبل والحال، حتى يمكنَه أن يربّيه، وعلى السـالك أن يكـون عنـد اجتماعه بأحدٍ من أحباب الله، حافظاً حال نفسه، ثم يزنَ زمن صُحبتـه وزمنَـه السابق، فإن وجد في حالـه انتقـالاً مـن نَقْصٍ إلى كمـال على حـد قولـه ﷺ: (أصَبْتَ فالزم)[1]، فليجعل صُحبة هذا العزيز فرضَ عينٍ عليه).

وقال قدَّس الله سرَّه : (كلُّ من مال إلينا أو انتسب إلى محبّتنا بعيداً كان أو قريباً لا بدَّ أن نَلْحَظَ نسبته كل يومٍ و ليلةٍ ونُمِدَّه من منبع عـين الشـفقة والتربيـة

---

١ – رواه البخاري والبيهقي في السنن والدارقطني وابن حبان وأحمد.

بالإمداد الدائم إن كان حافظاً لأحواله، مُنقِّياً لطريق الإمداد من أدناس التعلُّقات وأوساخها).

وقال رضي الله عنه في قوله في الحديث القدسي : (**أنا جليس من ذكرني**)[1] (إشارةٌ إلى بيان حال أهل الباطن)، وفي قوله فيه أيضاً : (**الصومُ لي أنا أجزي به**)[2] (إشارةٌ إلى الصوم الحقيقي وهو الإمساك عن السِّوى بالكُلِّيَّة).

وقال رضي الله عنه : (المراد من الأمة في قوله ﷺ : (**نصيبُ أمّتي من نار جهنمَ كنصيب إبراهيم من نار نمرود**)[3]، وفي قوله ﷺ : (**لا تجتمعُ أمتي على ضلالة**)[4]، (إنما هي أُمَّة المتابَعة، فإن الأُمَّة على ثلاثة أقسام : أُمَّة الدعوة، وأمَّة الإجابة، وأمَّة المتابعة).

وقال رضي الله عنه في قوله ﷺ : (**الصلاةُ معراجُ المؤمن**)[5]، (فيه إشارة إلى درجاتِ الصلاة الحقيقية وهي أن تكونَ أكْبَرِيَّةُ حضرة الحق حالاً للمصلي عند تَحَرُّمِه، ويَظهرُ الخضوع والخشوع على قلبه حتى يصلَ إلى مرتبةِ الاستغراق، وقد كانت هذه صفةَ رسول الله ﷺ، ورُوي أنه كان يظهر لصدره الشريف صوت يُسمع من خارج المدينة، وأنه كان له أزيزٌ كأزيز المرجل .

---

١ - رواه البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب .

٢ - رواه أحمد وابن عدي عن ابن عباس .

٣ - لم أقف على تخريجه

٤ - رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة في التاريخ عن أبي نضرة الغفاري .

٥ - لم أقف على تخريجه

وسأله رضي الله عنه أحدُ علماء بخارى عما يحصُل به الحضور للعبد في الصلاة، فقال له : بأكلِ الحلالِ ومراقبةِ الحقِّ تعالى خارجَ الصلاة وعندَ الوضوء وتكبيرةِ الإحرام)، وقال رضي الله عنه في قوله في الحديث الشريف: (**ما كرِهتَ أن يراه الناس منك فلا تفعلْه إذا خلوتَ**)[1]، إشارةٌ إلى أنه ينبغي للسّالك أن يكون الخلاءُ له مَلأً، وأنّ ما يفعلُه في الملأ رعايةً لنظرِ الخلق إليه يفعلُه بالخَلوة)، وقال رضي الله عنه : ورد في الأخبار والآثار وكلام المشايخ الكبار: إذا أحب اللهعبدا لم يضرَّه ذنبٌ.. ومعناه أن العبد المحبوبَ إذا عرف العُذر عن الذّنبِ واعتذرَ به لم يضرَّه)، وقال رضي الله عنه : (الصلاة والصِّيام والمجاهدة هي طريق الوصول إلى الله تعالى، ولكنّ نفيَ الوجود عندنا أقرب، وإن كان لا بد منه مع العبادة والمجاهدة أيضاً، إلا أنه لا يحصَلُ إلا بتركِ الاختيار وعدمِ رؤية الأعمال)، وقال رضي الله عنه : (كلُّ من وُفّقَ لمخالفة نفسه وإن كان هو في حدِّ ذاته عملاً قليلاً، يجب عليه أن يراه عظيماً ويشكرَ الله تعالى على توفيقه له، فإنّ مَن قال : إذا أردتَ مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال مرادُه مخالفةُ النفس) .

وقال رضي الله عنه في قوله ﷺ : (**الكاسب حبيب الله**)[2]، إشارة إلى كسب الرِّضا لا كسبِ الدنيا)، وقال رضي الله عنه : (الوصول إلى سِرِّ التوحيد ممكنٌ في بعض الأحيان، وأما الوصول إلى سر المعرفة فمُشكِلٌ).

---

١ - رواه ابن حبان عن أسامة بن شريك .

٢ - لم أقف على تخريجه

وقال رضي الله عنه : (إذا شاكتْ رجلَ الفقير[1] شوكةٌ فعليه أن يعلمَ من أيِّ وجهٍ وصلتْ إليه).

وقال قدَّس الله سرَّه : (إن طريقَنا من النوادر، وهي العُروة الوثقى، وما هي إلا التمسُّكُ بأذيال متابعةِ السُّنّة السَّنِيَّة، و اقتفاءُ آثار الصحابة الكرام، ولقد أدخلوني في هذا الطريق من باب الفَضل، فإني لم أشهدْ أوّلاً وآخراً إلا فضلَ الحق تعالى، والعملُ فيه يحصل منه فتوحٌ كثيرٌ، لأنّ رعايةَ السُّنة السَّنِيَّة من أعظم الأعمال) وبه يُعلم معنى قوله قدَّس الله سرَّه : (كل من أعرض عن طريقنا فهو على خطر من دينه)، وسُئل قدَّس الله سرَّه : بماذا يصل العبد إلى طريقكم؟ فقال بمتابعة سنة رسول الله ﷺ، وقال قدَّس الله سرَّه:(ينبغي للمتوكّل أن لا يرى نفسَه متوكّلاً وأن يُخفيَ توكلَه في الكسب)، وقال قدَّس الله سرَّه: (إنْ نظَرْنا إلى عيبِ الصاحب بقِينا بلا صاحب، فإنّ أحداً لا يخلو من الصِّفات البشريّة)، وقال قدَّس الله سرَّه:(إنّا تحمَّلنا في هذا الطريق الذّلة، فتفضَّل الحقُّ علينا من مَحض إحسانه بالعزة ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[2].

وكان يحب الفقراء والفقر، ويحُضُّ أصحابه عليه وعلى كسب الحلال ويستدلُّ بقوله عليه الصلاة والسلام : (**العبادة عشرة أجزاءٍ، تسعةٌ منها طلب الحلال، وواحدٌ سائر العبادات**)[3]، وكان يقول كل ما حصل لي فهو من ذلك .

---

١ - يعني الفقير إلى الله الذي حصّل بهذا الفقر أعلى درجات القرب من الله والغنى بالله .

٢ - سورة المنافقين الآية (٨) .

٣ - رواه الديلمي عن أنس بن مالك .

وكان إذا قُدِّم إليه طعامٌ صُنع في حال غضبٍ أو كراهيةٍ أو حصلَ فيه أدنى مشقةٍ، بل لو كان وَضع فيه أحدٌ ملعقةً على هذه الحالة لا يَمُدُّ يدَه إليه، ولا يدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً) .

وكان قدَّس الله سرَّه يصوم أكثر أيامه، فإذا جاءَه ضيفٌ وكان عنده ما يكرمه به يأكلُ معه ويقول سرّاً لأصحابه : (إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يتفرقون إلا عن ذَواق)، وقال الشيخ أبو الحسن الخَرقاني في كتابه (أصول الطريقة ووصول الحقيقة) : إن فَضْلَ موافقة الإخوان فيما ليس بمعصيةٍ، ليس أقلَّ ثواباً من صومِ النفلِ، ومِن آدابِ الصوم إخفاؤُه) .

وكان قدَّس الله سرَّه إذا زاره أحد أحبابه تولّى خدمته بنفسه، واعتنى به كل الاعتناء، وخَدم دابَّته أحسن خِدمةٍ وقدَّم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها، لقوله ﷺ : (**همُّ المؤمن دابته، وهمُّ المنافق بطنُه**)[1] ويقول : نُقل عن العزيزان قدَّس الله سرَّه أنه كان يبتدىء أولاً بخدمة دابةِ ضيفه ويقول : (إنها كانت سبباً لوصوله إليّ وتشرُّفي به) .

وكان قدَّس الله سرَّه إذا زار أحداً من أصحابه يَسأل عن أهله وأولاده ويلاطِفُ كل واحدٍ منهم بما يناسبه، ويبحث عن متعلّقاته ودوابِّه حتى دجاجاته، ويظهرُ الشفقة على كلٌّ بحسبه ويقول : (كان أبو يزيدٍ رضي الله عنه إذا رجع من الاستغراقِ يفعل هكذا) .

---

١ - لم أقف على تخريجه

وكان قدّس الله سرّه مع كمال تجرُّدِه وزهدِه دأبه البذْلُ والإيثارُ، فإذا أهدى إليه أحدٌ شيئاً على شرطه قبله وقابله أضعافه تأسّياً به ﷺ، وببركته سرَتْ هذه الأخلاق الكريمة إلى أصحابه قدّس الله أرواحهم، ودعاه بعض أصحابه في بخارى، فلما أذّن للمغرب قال للمولى نجم الدين دادرك : (أتمتثل كلَّ ما آمرك به؟) قال : نعم، قال : (فإن أمرتك بالسرقة تفعلها ؟) قال : لا، قال ولم، قال : لأن حقوق الله تكفرها التوبة، وهذه من حقوق العباد، فقال : إن لم تمتثل أمرَنا فلا تصحبْنا، ففزِع المولى نجمُ الدين فزَعاً شديداً وضاقت عليه الأرض بما رحُبت وأظهر التوبة والندم وعزمَ أن لا يعصيَ له أمراً، فرحِمَه الحاضرون وشفعوا له عنده، وسألوه العفو عنه فعفا عنه، ثم خرج سيدنا الشيخ رضي الله عنه وفي خدمته المولى نجم الدين ونفرٌ من أصحابه، وساروا إلى محلّة باب سمرقند، فأشار الشيخ إلى بيتٍ وقال : اخرِقوا جداره وادخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيساً مملوءاً أمتعة فأْتوا بها)، ففعلوا، ثم ساروا إلى زاويةٍ هنالك وجلسوا، فبعد ساعةٍ سمعوا نَبح الكلاب، فأرسل المولى نجمَ الدين وبعضَ أصحابه إلى ذلك البيت فوجدوا السُّرَّاق قد خرقوا جداراً آخر ودخلوا فلم يجدوا شيئاً، فقالوا لبعضهم جاء قبلنا سُرَّاقٌ وأخذوا ما فيه، فعجِب أصحابُ الشيخ رضي الله عنه من ذلك الأمر، وكان صاحب البيت في بستانٍ له، فأرسل الشيخ صباحاً إليه الأمتعة مع مريد وأمره أن يخبره أن الفقراء مروا على بيتك فاطّلعوا على هذه القضيَّة فخلّصوا الثياب من السارقين، ثم نظر إلى المولى نجمِ الدين وقال له : (لو امتثلتَ الأمر ابتداءاً لوجدتَ حِكَماً جمَّةً) .

وقال بعض أصحابه : سبب محبتي له وصحبتي معه رضي الله عنه، أني كنت يوماً في سوق بخارى في دكانٍ لي، فأتى رضي الله عنه وجلس إلى دكّاني

وشرَع يذكر بعض مناقب أبي يزيدٍ إلى أن قال : (ومما ذُكر في مناقبه أنه قال : لو مسَّ طرف ثوبي أحدٌ صار مُحبّاً لي ومشغوفاً بي ومشى خلفي، وأنا أقول : (لو حرَّكتُ كُمِّي لجعلتُ جميعَ أهل بخارى كبيرَهم وصغيرَهم والهين بي هائمين بِحُبّي، يذَرُون البيت والدُّكان ويتبعوني)، ووضع يده المباركة على كُمِّه، فوقع بصري حالتئذٍ على كُمِّه فاعتراني حالٌ غِبْتُ فيه عن نفسي ولبثت زمناً طويلاً كذلك، فلما فِقتُ استولتْ عليَّ سُلطته ومحبَّتهُ، وتركتُ البيت والدكان ولزِمتُ خدمته) .

وعن الشيخ عارف الديك كراني أحد أجلاء خلفاء السيد أمير كلال رضي الله عنه أنه قال : (ذهبنا يوماً لزيارة الشيخ بهاء الدين في قصر العارفان، فلما رجَعنا إلى بخارى كان معنا زمرةٌ من فقرائها، فتكلم شخصٌ منهم على الشيخ رضي الله عنه فنهيناه وقلنا له : إنك لا تعرفه ولا يجوز لك أن تسيءَ الظنَّ والأدبَ مع أولياء الله تعالى، فلَمْ ينتهِ، فجاء زنبورٌ ودخل فمه حالاً ولدغه فتألَّم ألماً شديداً لم يستطع معه صبراً، فقلنا له هذا من سُوء أدبك مع الشيخ، فبكى بكاءاً كثيراً ثم تاب وأناب فبرئ في الحال .

وحاصر عسكرُ صحراء قيجاق مدينةَ بخارى مرةً، فاشتدَّ البلاء على أهلها وهلَك منهم خَلقٌ كثيرٌ، فأرسل أميرُها إليه رضي الله عنه نفراً من خاصَّته بأنَّا عجَزنا عن مقاومة الأعداء بالكُلِّيَّة وفسَد كل ما دبَّرناه، وتقطَّعت بنا الأسباب، ولم يبقَ ملجأً نلتجيءُ إليه من هؤلاء الظَّلَمة إلا أنتم، فتضرَّعوا إلى الله تعالى أن يخلِّص المسلمين من أيديهم فهذا وقتُ المساعدة والأخذ باليد، فقال لهم : نتضرع إليه تعالى الليلةَ وننظرُ ما يَفعل ربُّ العِزَّة جل جلاله، فلما طلَع الفجر أخبرهم : بأني بُشِّرت بانجلاء البلاد بعد ستّة أيامٍ فبشِّروا أميرَكم بذلك، فسُرَّ

أهلُ بخارى سروراً تاماً وكان كما ذكر، فإنه بعد ستة أيامٍ رَفع عسكر الأعداء الحصار عن البلد وانجلَوا عن آخرهم .

وقال الشيخ علاء الدين العطار : (كنا نقرأ عند احتضار حضرة الشيخ رضي الله عنه سورة يس، فلما بلغنا نصفها شرَعت الأنوار تسطَع فاشتغلنا بالكلمة الطيِّبة، فتوفي رضي الله عنه، وذلك ليلة الاثنين ثالثَ شهرِ ربيعٍ الأول سنةَ إحدى وتسعين وسبعمائةٍ، وسِنُه أربعٌ وسبعون سنةً، ودُفن في بستانه في الموضع الذي أمر به، وبنى عليه أتباعُه قبّةً عظيمةً، ودَحُوا البستانَ وجعلوه مسجداً فسيحاً، وأجرى الملوك عليه أوقافاً جمّةً وبالغوا بالإعتناء به وترفيع شأنه، ولم يزَلْ كذلك إلى يومنا هذا يُستغاث بجنابه ويُكتحل بتراب أعتابه ويُلتجأ إلى أبوابه نفعنا الله به .

وله رضي الله عنه خلفاءُ حنفاءُ كثيروا العدد، ولكل واحدٍ منهم خلفاء كثيرون ذَوُوا كراماتٍ شهيرةٍ، وأعظمُهم من سرى إليه سِرُّ هذه النِّسبة العليّة من سيدنا النقشبند شيخِ هذه السِّلْسِلة الشريفة، سيدِنا الشيخ علاءِ الدين العطار رضي الله عنه.....



سيدنا الشيخ علاء الدين العطار قدّس سره

هو ثمرةُ شجرة العلم الربّاني، ونَضرةُ وجهِ العالم الإنساني، مُظهِرُ إرشاد الخاصِّ والعام، ومنهلُ إمداد الخاصِّ والعام .

توفي والده رضي الله عنه وترك ثلاثة أنجالٍ، فخرج من ميراثه لأخويه، واختار التجَرُّد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى تبَغَ في جميع الفنون وبلغ منها فوق ما تتعلّق به الظُّنون .

وكان لسيدنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّه العزيز بنتٌ صغيرةٌ، فقال لأمها: (إذا بلغَتْ فآذِنيني)، فلما بلَغتْ أخبرتْه، فتوجَّه من قصر العارفان إلى بخارى إلى المدرسة التي فيها الشيخ علاء الدين قدَّس الله سرَّه، فلما أن دخل حجرته، لم يجد بها غير خَلَقٍ[1] حصيرٍ ينام عليه، وآجُرَّةٍ يتوسَّدُها وإبريقٍ مكسورٍ يَتوضأ منه، فلما أبصر الشيخَ سيدَنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّهما أكبَّ على قدميه فقبّلها وجعل رأسه عليها، فقال له : (إن لي بنتاً قد بلغت اليوم، والله تبارك وتعالى قد أمرني أن أُنكِحك إياها)، قال له : (إن هذه لَسعادةٌ عظيمةٌ أسعدني الله عز وجل بها، غير أني لا أملك ما أنفق في ذلك، وحالي كما رأيتم)، فقال

١ - الخَلَق بفتح الخاء واللام هو الشيء البالي .

له : (ما كتب الله لكم من الرزق يأتيكم إن شاء الله تعالى، فلا تتفكَّرْ في ذلك)، ثم عَقَدَ له عليها، فلما بنى بها أمره بالخروج من المدرسة وأعطاه طبَقاً مملوءاً تفاحاً وأمرهُ أن يحمِلَه على رأسه ويجوبَ الأسواق والأماكنَ كلَّها حافِيَ القدمِ ينادي بأعلى صوته: يا تفاح.. حتى يبيعَه، فوضع الطَّبقَ على رأسه ودخل السُّوق وهو يقول يا تفاح فلما رآه أخواه، وكانا من أولي المكانة والاحترام، غضِبا لذلك أشدّ الغضب، فبلَغ سيدَنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّه العزيز خبرَ غضبِهما، فأمره أن يَذهب بطبقِ التفاح فيضعَه قريباً من محل أخَويه ويبيعَه، ففعل كما أمره، وأقام على ذلك مدةً حتى لقّنه الذِّكر الخفي .

ثم إن سيدنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّه أخذه يربِّيه أوْلى تربيةٍ ويُرقِّيه أعلى ترقيةٍ، ويهيئُه إلى حضرة القُرب والوصول والعُروج في بروج العِرفان والخروجِ من الفَرقِ[1] إلى مَقام الفُرقان[2]، إلى أن صار فرداً في بابه من بين سائِر خاصّة أصحابه الوارثين لأذواقه العالِية وأحواله الحالِيَة، وقد أمَره في حياته بتربيةِ بعضِ مريديه.

وقال قدَّس الله سرَّه في حقّه : (إنه خفّف أثقالي وظَهَر لي ما ظهرَ ببركةِ صُحبتِهِ وحُسنِ تربيتهِ كما ذكر سيدنا الشيخ عبيد الله الأحرار قدَّس الله سرَّه أنه بعد انتقال حضْرة الشيخ إلى حظيرة القُدْس تبِعه جميعُ أصحابه حتى الشيخ محمد بارسا إذعاناً لعلُوِّ رُتبته وقُوةِ تربيتِه) .

---

١ - الفرق عند الصوفية يعني الاحتجاب بالخلق عن الحق .

٢ - الفرقان هو العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل .

وقال قدَّس الله سرَّه : (المقصودُ من الرياضة إنما هو نفيُ العلائِق النَّفسانية، والتوجّهُ إلى عالَم الأرواح والحقيقة)، وقال قدَّس الله سرَّه : (المراد من السلوك أن يدع السالك باختيارٍ كلَّ علاقة دنيويّة تحجبه عن الله تعالى، ولا يتحقّقُ بذلك إلا إذا عرَض على نفسه هذه التّعلُّقات، فكل ما استوى عنده وجودُه وعدمُه فهو الذي لا تعلُّقَ له به، وما ليس كذلك يَعلم أنَّ له به تعلُّقاً فيعالجُ نفسه بصرفها عنه)، وقال قدَّس الله سرَّه : (كان سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه إذا أراد أن يلبَسَ ثوباً جديداً يهبُهُ لغيرِهِ ثم يستعيره منه ويلبَسه) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (قولُهم التّوفيقُ مع السّعي، هو عبارةٌ عن إمداد روحانيّة المرشد للطالب بحسَب طلبِهِ وقابليَّتِهِ وسعيِه على تطبيق أمر المرشد، فإنه إذا لم يكنْ للطالبِ سعيٌ فلِمَن يتوجّه المرشد ؟! ومِن عناية الله بي أن الشيخ دادرك، وهو من أقدم أصحاب سيدنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّهما أمرني بادئَ ذي بدءٍ بالسّعي والمجاهدة ، فمنَّ الله عليَّ بالتوفيق، حتى أني لم أتركْه في جميع أوقات صحبة الشيخ، ولم أرَ مَن ثابَر عليه من أصحابه إلا قليلاً) .

وقال : (ينبغي للمريد أن يُظهِرَ جميع أحواله للمرشد ويَتيقَّنَ أنه لا ينالُ المقصودَ الحقيقيَّ إلا برضائه وحبه، فيطلبُ رضاه، ويعتقدُ أنَّ كل الأبواب مسدودةٌ دونه ظاهراً وباطناً إلا ذلك البابَ الذي هو مرشدُه، فيفديَه بنفسه، وآية المريد الكامل أنه مهما كان عنده من علومٍ وعِرفانٍ وهمّةٍ عاليةٍ في السلوك والمجاهدة، لا يجد لها في نفسه أثراً ولا قدْراً، ولا يراها إلا بقدَر الذّرة بالنسبة إلى ما عندَ مرشده) .

وقال رضي الله عنه : (لا تُرجى الفائدةُ إلا لمن يشاهد دائماً قصورَ أعماله[1] ويَعُدَّ نفسه من الناقصين، ويلتجئَ إلى ألطاف رب العالمين).

وقال رضي الله عنه : (على المريدِ أن يُفوِّضَ أمورَه -إنْ دينيةً وإن دنيويةً كليّةً أو جزئيةً- لاختيار المرشد وتدبيرِه، بحيث لا يكون له أدنى اختيارٍ معه أصلاً، وعلى المرشد أن يَفحَص عن أحواله فيهتمَّ بإصلاحها ويأمرَه بما ينفعُه في معاشه ومعاده فيقتديَ به) .

وقال رضي الله عنه : (عليك بمراعاةِ أهل العلم وإخفاء أحوالك ومَقامِك عنهم، فقد ورد عنه ﷺ : (**أُمِرْتُ أن أكلِّمَ الناسَ على قدْرِ عقولهم**)[2] وإياك وإيذاءَ قلوب الصوفية وإغفالَ آدابِ مخالطتهم، فإذا أردْتَ صحبتَهم فتعلَّمْ أولاً آدابها ثم صاحبْهم تنتفعْ بهم، وإلا فتضرُّ نفسك، وقد قيل : لا طريقَ لمن لا أدبَ له، وكونُك مع الأدبِ خطأٌ، يعني أنّ رؤيتَك لنفسك أنك مؤدّبٌ خطأٌ في الأدب)، وقال رضي الله عنه : (المقصود من التوجّه إلى أسماء الجلالِ التذلّلُ والبكاءُ والمسارعةُ إلى التوبةِ والإنابةِ، وعلامةُ صحة التوبة الميلُ إلى العبادة والمناجاة لا إلى المعاصي ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾[3]، وثمرة ذلك أنه إذا وَجد ميلًا إلى مرضاته تعالى يشكرُه ويمضي، وإذا رأى ميلاً لمعصيته يبكي ويلتجيءُ أو يخاف من مقام ﴿ إنّ الله لغنيٌّ عن العالمين ﴾[4].

---

١ - أي نقصها .

٢ - رواه البزار عن ابن عباس

٣ - سورة الشمس الآية (٨) .

٤ - سورة العنكبوت الآية (٦) .

وقال قدّس الله سرّه : (الوِلاية لا تثبتُ إلا لمن لا تسَلُّطَ لنفسه عليـه، ولـو وقـع منه أدنى قصورٍ يُعفـى عنـه، قـال الله تعـالى ﴿ألا إنَّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] .

وقال قدَّس الله سرَّه : (أولياء الله تعالى لا يخافون مـن غلَبـة أحـوال الطبيعـة كما قيل : الفاني لا يردُّ إلا أوصافه)، وقال قدَّس الله سرَّه : (ينبغي للمريـد أن يكون في الظـاهر معتصمـاً بحبـل الله تعـالى، وفي البـاطن معتصمـاً بـا لله تعـالى، فالجمع بينهما لازم)، وقال : (النَّفعُ في زيارة قبور المشـايخ على قـدْر معرفتَـك بهم)، وقال قدَّس الله سرَّه : (القُربُ من قبـور الصـالحين لـه تأثـيرٌ كبـيرٌ، ومـع ذلك فالتوجّه إلى أرواحهم المقدَّسة أولى منه، إذ لا يتوقَّـف تأثـيرُه علـى القُـرب والبُعد بدليل قوله ﷺ : (صلوا عليَّ حيثما كنتُم)[2]، وشهود صور أهل القبـور المثالية عند زيارتهم لا يوازن معرفة صفاتهم، فإنَّ معرفتَها أقوى فـائدةً، ولذلـك قال سيدنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّه العزيز: لأنْ تكون جاراً للحق أولى من أن تكونَ جاراً لخلق الحق، وكثيراً ما أنشده :

حتَّامَ تعبُـدُ أرمـاسَ[3] الأكـابرِ قـفْ   واعملْ بأعمـالِهم تَخلَّصْ وتسـترِحِ

ثم الأدب في زيارة القبور أن تتوجّـهَ إلى الله تعـالى وتجعـلَ أرواحَ أصحابهـا وسيلةً إليه تعالى، ووهكذا في تواضُعك للخلق فتتواضعَ إليهم ظاهراً، وإليه تعالى

---

١ - سورة يونس الآية (٦٢) .

٢ - رواه ابن أبي شيبة وابن عساكر عن الحسن بن علي .

٣ - جمع رمس وهو الرفات

باطناً، فإنّ التواضع للخلق لا يجوز إلا إذا نظرتَ إليهم بأنهم مظاهرٌ للحقّ تبارك وتعالى، فيكونُ التواضعُ حينئذٍ إلى الظاهرِ بهم، لا إليهم) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (السُّكوت ينبغي أن لا يكونَ خالياً عن ثلاثة أشياء : حفظِ الخواطر، والتوجّهِ إلى الذكر، أو مشاهدةِ أحوال القلب)، وقال قدَّس الله سرَّه : (حِفظُ الخواطر متعسِّرٌ، واجتنابُها متعذِّرٌ، فإني حفظت خواطري عشرين سنةً ثم جاءتْ، ولكن لم تستقرَّ)، وقال قدَّس الله سرَّه : (أحسنُ الأعمال في التَّربية المؤاخذةُ على الخواطر) .

وكان قدَّس الله سرَّه يشكو آخر حياته من الاشتغال بتربيةِ الخَلق ويقول: (إنهم لا يُراعون ما يَحصلُ لهم) .

وقال : (دوام صحبة أهل الله عز وجل تَزيد في العقل المعادي) .

وكان مُدةَ مرضه يتكلّم بالوصايا تارةً، والحكمة تارةً، والدعاءِ للخلق آونةً، والرضا والمحبة والوجدان آونةً وينشد :

ذواتُنا القصبُ الزَّاوي وحبُّكمُ نارٌ فَمُنُّوا بها تَحرِق لِذا القصبِ

وتكلّم يوماً في أحوال سفر الآخرة والإقامة في الدنيا، وكان ذلك قبل مرضه بخمسة عشر يوماً فقال : (إني اخترت السفر للآخرة ولا أَرجع عنه) .

ابتدأه المرض ثانيَ يومٍ من شهر رجب، وانتقل إلى بحبوحةِ الفردوسِ عِشاءَ ليلة الأربعاء لعشرين خلت منه، سنة اثنين وثمانمائةٍ، ودُفن في جغانيان[1] .

---

١ - بلدةٌ من أعمال بخارى .

وكان قدَّس الله سرَّه قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ومعه زُمرةٌ من أصحابه، فرأى أحدُهم في المنام خيمةً كبيرةً قد ضُربت، قال : وعلمتُ أن هـذه الخيمـة لرسـول الله ﷺ، فجاء سيدنا نقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمةِ لزيارته ﷺ، وخرجا بعد ساعةٍ فرحَيْن شاكرَيْن وسيدُنا شاه نقشبند يقول: أكرمَني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهاتِ قبري الأربع، والشيخَ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً وأحبائي وأتباعي إلى فرسخٍ .

وله قدَّس الله سرَّه خلفاء كثيرون أجِلاء .. ثم تلقّى منه سرَّ هذه النِّسبة المطهَّرة سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدَّس الله سرَّه ...



سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدّس سرُّه

هو مَن أحيا الحقيقة بالشريعة، والشريعة بالحقيقة، وسلَكَ في طريقةِ القوم أقوم طريقةٍ، وورِث علومَ الغيوب كما ورِث النبوّة يعقوبُ.

وُلد قدَّس الله سرَّه في جرخ[1]، ورحل لتحصيل العلوم إلى هَراة ثم إلى مصرَ المحروسةِ، وتلقّى العلوم الشرعية والعقلية عن علمائها، ثم عاد إلى وطنه وصحِب سيدنا شاه نقشبند قدَّس الله سرَّه العزيز لإرادة تحصيل علم الباطن، قال قدَّس الله سرَّه: (كنت مخلصاً في المحبّة لحضرة الشيخ قبل التشرُّف بلقائِه، فلما فرَغْتُ من تحصيل العلوم وأُجيزَ لي الفتوى وعزمت على الانصراف إلى الوطن، أتيت لزيارته قدَّس الله سرَّه العزيز فقلت له مع الخضوع: أرجو دوام ملاحظتي بإكسير أنظاركم، فقال: (جئتني وقتَ التوجُّه إلى الوطن!)، فقلت له: إني محبُّك وخادمُك، قال: (ولِم؟)، قلت: لأن عظيمَ الشأن مقبولٌ عند الناس، فقال: ائتني بدليلٍ أحسنَ من هذا، فإنه يَحتمل أن يكون هذا القَبول شيطانياً، فقلت: ورد في الحديث الصحيح: (**إذا أحب الله عبداً ألقى محبّته في**

---

١ - جرخ بجيم فارسية تقرأ كالجيم المصرية، ولذا يكتبها البعض بالكاف، وهي بلدة من بلاد ما وراء النهر

قلوب عِباده)[1]، فتبسّم قدّس الله سرَّه ثم قال : (نحن العزيـزان)، فلما سمعتُ هذه الجملة منه دُهشت لأني كنت رأيتُ في المنام قبل ذلك بشـهر قـائلاً يقـول لي : كن مريد العزيزان، ونسِيت الرُّؤيـا، فـانتبهتُ مـن كلامـه وتذكّرْتُهـا، ثـم استأذنته) .

وقال قدّس الله سرَّه : (لما جَدَّ بـي الطلـب للتحقُـق بهـذا المشـرب جعلتُ أختلف إليه كثيراً، وهو يـزداد رحمـةً بي وشـفقةً عليَّ، وأنـا أزداد اعتقـاداً بـه وإخلاصاً له، حتى تيقّنت أنه ليس أحدٌ أفضلَ منه في وقته، وفتحـت المصحـف يوماً للتفاؤل فخـرج قولـه تعـالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهـم اقتده)[2]، وكنت وقتئذٍ مقيماً في بلدةٍ فتح آباد، فتوجَّهْتُ آخِرَ النهار لزيارة ضريح الشيخ سيف الدين الباخرزي قدِّس سـرُّه، فـورد عليَّ وأنـا متوجّـه إلى الضريـح واردٌ أزعجني، فقصَدتُ حضرة الشـيخ قـدَّس الله سـرَّه العزيـز، فلمـا وصَلـتُ عنـده وجدتُه كأنه ينتظرني، وكانت الصَّلاة قد حضَرت، فبَعْد أداء الصلاة أقبَل عليَّ بوجهِهِ الكريمِ فوجدتُ له هيبةً في نفسي، وعظَمةً في قلبي، وجلالـةً في نظـري، حتى لم أُطقِ الكلام في حضوره، فقال لي قدِّس سـرُّه : (ورَد في الأخبـارِ العلـمُ علمان : علمُ القلب وذلك العلم النافع، عُلْمَهُ الأنبياء والمرسلون، وعِلم اللسـان وذلك حُجّةَ الله على خلقه، وأرجو الله تعالى أن يكـون لـك نصيـبٌ مـن علـم الباطن[3]) .

---

١ – رواه أبو نعيم عن أنس .

٢ – سورة الأنعام الآية ٩٠ .

٣ – ورد في الحديث الشريف : (**العلم علمان، فعلم في القلب وذلك العلم النافع، وعلم على اللسان وذلك حجة الله على ابن آدم**)، رواه ابن أبي شيبة والحكيم عن الحسن مرسلاً والخطيب عن جابر .

ثم قال لي : (ورد في الخبر إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب يدخلونها وينظرون إلى هممكم)، ثم قال : (أنا مأمور من جانب الحق تعالى فإن أذن لي قبلتك)، فما مضى من عمري ليلةٌ أشدُّ علي منها، أُذِبْتُ خائفاً قلِقاً من أنه هل يفتح لي باب القبول أو لا، فلما طلَع الفجر وصلّيتُ خلفَه انصرف من صلاته وقال لي : (بارك الله بك لقد قبلك الله فقبلتك)، ثم عَدَّ مشايخ سلسلةِ طريقهِ إلى حضرة الشيخ عبد الخالق الغجدواني رضي الله عنه، ولقّنني الوقوفَ العدديَّ وقال : (هذا أوّل العلم اللَّدُنّي وصَلَ من سيّدنا الخضرِ عليه السلام إلى الشيخ عبد الخالق رضي الله عنه)، فلم أزَلْ في خدمتهِ وصدقِ صحبتهِ حتى أُذِن لي بإرشاد الخلق إلى الله تعالى وقال: (إنَّ ذلك سيكون سبباً لسعادتك) .

توفي قدس الله سره في قرية هُلْغَتُو[1]، وله قدَّس الله روحَه خلفاءُ عظماءُ، وأصحابٌ بلا حسابٍ.. وأعظمُ من سَرى سرُّ هذه النِّسبة المطهَّرة إليه شيخ هذه السِّلسِلة المبجَّلة سيدنا الشيخ عبيد الله الأحرار قدَّس الله سره ....



١ - من قرى الحصار .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا عبيد الله الأحرار قدِّس سره

هو قطب دائرة العارفين، وبحرُ علمٍ لا تُنقِصهُ كثرةُ الغارفين، وسَعى وُسعَه في إنقاذ القلوب مما مسَّها في غمارِ الأغيار من اللُّغوب، إذْ أصبح شمساً تُرشد السالكين إلى طريق حقِّ اليقين، والاطلاع على كُنوز المعارف الخفيّة، ومخدَّرات الحقائق اللَّدنيَّة .

وُلد قدِّس سرُّه في شاش[1] سنةَ ستٍّ وثمانمائةٍ في شهر رمضان، نُقِل أنه حصل لوالده جَذْبةٌ عظيمةٌ صرَفتْهُ عن أعمال الدنيا بالكُلِّيَّة فصار يميل للرياضة الشاقة وتقليل الطعامِ والمنامِ وترك الاختلاطِ مع الخواصِّ فضلاً عن العوامِّ، واستمرَّ كذلك أربعة أشهرٍ، ففي أثنائها حمَلتْ به أمه فسَكَن ما به وعاد لحاله .

نَقَل بعضُ أقاربه الكرام أنه قدَّس الله سرَّه لم يَقبَلْ حين وُلد ثديَ والدته حتى طَهُرت من النِّفاس .

وكان قدَّس الله سرَّه يقول : (إنِّي أحفظُ كلاماً كنت سمعتُه وأنا ابن سنةٍ)، وقال قدَّس الله سرَّه : (إني منذ كان عمري ثلاثَ سنين وأنا في الحضور مع الله تعالى، حتى كنت أذهب إلى المكتب وأقرأ عند الشيخ وقلبي معلق مع الله تعالى، وكنت أحسِب أنَّ جميع الناس كذلك، ولقد خرجتُ زمنَ الشتاء إلى الصحراء

---

١ - بلد في الشمال الشرقي من سمرقند .

فغاصتْ قدمايَ مع النعل في الطينِ، وكان الوقت شديدَ البرودة، فاهتمَمْتُ بنزعِ قدميَّ فغفِلتُ عن الله تعالى بهذا المقدار، وكان ثَمَّ رجلٌ يحرثُ على بقرٍ، فجعلت ألوم نفسي وأقول لها : انظري إلى هذا الحرَّاث مع ما هو عليه من العملِ لم يَغفَلْ عن الله عزَّ وجلَّ.

... ولا غَروَ .. إذ كان جدُّه الأعلى لأبيه الإمامَ الجليلَ الشيخ محمد النامي، وهو من أعظم أصحاب القُطْبِ الكبير أبي بكر محمد اسمعيل القفّال الشاشي، وتربَّى في حِجرِ علامة وقته وبركة عصره الشيخ ابراهيم الشاشي قدس الله أسرارهم، وقال قدَّس الله سرَّه: أولُ ما كَتبَ لي خالي للتعليمِ هذا البيتَ :

بواطنُ أهلِ الله مِثلُ ظواهرٍ   فطوبى لمن أبدى الخَفِيَّات تحقيقا

ثم لم يَألُ جهداً في أن أتعلَّم حتى أرسلني من تاشكندَ[1] إلى سمرقندَ، فكنتُ كلما ذهبتُ إلى الدّرس أصابني مرضٌ يمنعني عنه، فذكَرتُ له حالي وإنك إن كلّفتني بالتّحصيل ربما أموتُ، فتوقّفَ وقال : (يا ولدي أنا أعلم حقيقة حالك فاذهبْ وافعلْ ما تريد)، وأردتُ أن أقرأ يوماً فرمَدت عيناي، ولم أزَلْ كذلك خمسةً وأربعين يوماً، فحينئذٍ تركتُ ولم أصِلْ في القراءة إلى المصباح في النحو .

وقال قدَّس الله سرَّه : رأيتُ في البداية سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ليلة قد جاء وتصرَّف في باطني، ثم ذهبَ فتبعته، فلما أدركتُه التَفتَ وقال :بارك الله بك .

---

١ - وتكتب بالطاء (طشقند) وهي الآن عاصمة أوزبكستان .

رحل قدّس الله سرَّه من تاشكند إلى سمرقند، فصحِب بها الغوث الأكبر الشيخ نظام الدين الخاموش مدةً، ثم قصد بخارى وكان وقتئذ سِنُّه اثنتين وعشرين سنةً، فلقيَ خلال طريقه العارف الكبير الشيخ سراج الدين البيرمسي في بيرمس[1] .

يقول قدّس الله سرَّه : (لما زرتُه التفتَ إلي كثيراً، ولكن لم يمِلْ قلبي للبقاء عنده فاستأذنته بالسفر إلى بخارى.. ولقد رأيته يشتغل كل نهاره بالفخار فإذا أقبل الليل جلس في مصلاه جلوس التشهد فلا يتحول من جهة إلى جهةٍ أصلاً إلى الفجر، وكان من المتضلعين في العلوم كلها).

ثم بعد أن أقام عنده أيام قدم بخارى، فصحب بها الإمام الكبير الشيخ حميد الدين الشاشي والقطب الشهير الشيخ علاء الدين الغجدواني، وكان من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرَّهما العزيز.

يقول قدّس الله سره: (وذهبت مرة لزيارة ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ماشياً، فلما رجعت استقبلني الشيخ في نصف الطريق فقال : (حسبت أنك تبيت ثمَّ فأتيت لأجلك)، فعدت معه إلى الزيارة حتى إذا صلينا العشاء قال لي : (هلمَّ نحي هذه الليلة)، ثم جلس متوركاً إلى طلوع الفجر لم ينتقلْ من جنبٍ إلى جنبٍ، ولا يتأتّى مثل هذا الثبات إلا بحضورٍ تامٍّ ومشاهدةٍ كاملةٍ وإلا ليس هذا في طوق البشر لاسيما مع كبر السن، وأما أنا فقد تعبت من كثرة المشي ولم يسعني إلا موافقته في الجلوس، فأقمت مثله إلى نصف الليل ثم عجزت فقمت وجئت عنده، فجعلت أهمزه ليزولَ عني النوم والكسل، فلما

---

١ - قرية من قرى وابكن من قرى بخارى .

شرعت بذلك قال : (أتخفيفا لأثقالي ؟) فقلت : (بل لم أطقْ الجلوس فأردت أن أخفف عن نفسي وأستريح)، وكنت في بداية أمري على غايةٍ في الاضطراب حتى صحبْتُه فتبدّل الاضطراب بالتمكين .

ثم ذهب إلى هراة فلقي بها كبير العارفين السيد قاسم التبريزي قدّس الله سرَّه، وهو من كبار أصحاب سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ... يقول قدّس الله سرَّه : (صحبت مشايخ كثيرين فلم أرَ أعظمَ حالاً منه ولا أكبَرَ، فإن كل ما حصلته من غيره فلم أجدْ شيئا بالنسبة إلى ما نلتُ منه، وكنت إذا رأيته أشهد جميع الكائنات تطوف به ثم تدخل في باطنه وتتلاشى، فكنت آتي كل يومٍ إلى بابه ولا أدخل عليه إلا كل يوم أو ثلاثة مرة فكان الناس يعجبون لذلك ويقولون لي : كيف يكون قد أذن لك بالدخول ولا تدخل ولو أنه أذن لنا لما خرجنا من عنده ؟! وكان يحتجب[1]، فلما وصلت إليه أمر حاجبه أن لا يمنعني في أي وقت أتيت .

ونقل عن الشيخ فتح الله التبريزي أنه قال : (صحبت حضرة الشيخ قاسم قدَّس الله سرَّه وبي ميل عظيم لتحصيل علم التصوف حتى كنت أتفكر في بعض الأوقات في مسألة واحدة من العشاء إلى الفجر، فبينما أنا جالس عنده يوماً إذ جاءه الشيخ عبيد الله فتوجَّهَ إليه بكليته وبدأ يذاكره بالمعارف ودقائق الحقائق، فلما انصرف قال لي : (ذكر كلام القوم وحكاياتهم وإن كان فيه فوائد جمة إلا أن باب المقصود لا يفتَحُ بمجرد القيل والقال والسماع بل هو موقوف على الخدمة والرياضة والمشقة والهمة، فإن شئت أن تناله الأولياء

١- أي يجعل على بابه حاجبا حتى يأذن للناس .

فتمسك بأذيال هذا الشاب - وأشار إلى الشيخ عبيد الله - فإنه أعجوبة الزمان وعن قريب يستنير العالم كله بنور سره وتحيا القلوب الميتة حياة أبدية ببركته... فما زلت أترقب ذلك حتى أتى في عهد السلطان أبي سعيد إلى سمرقند فذهبت لزيارته غير مرة وشاهدت منه أكثر مما قاله رضي الله عنه) .

ولقي في هراة أيضا الإمام الجليل الشيخ بهاء الدين عمر الخرساني قدَّس الله سرَّهما ... يقول : (ما أعجبني من بين أحوال مشايخ خراسان إلا حال الشيخ عمر وطوره، فإنه كان يجلس لملاقاة الناس يومه كله وكل من أتى عنده كلمة بما يوافق ساعته وعلته وصناعته ولا يميز نفسه عن إخوانه إلا في الرياضة فقط) .

ثم صحب سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدَّس الله سرَّه، يقول نوَّرَ اللهُ مَرْقَدَهُ: (لَمَّا سمِعتُ به وأنا ذاهبٌ إلى بخارى عزَمْتُ مَصْرِفي منها على زيارته، فوصلت إلى حغانيان، فمكثت بها مريضاً عشرينَ يوماً وكان أهلها يُنكرون على الشيخ، فصاروا يغتابونه عندي، فضَعُفَ اعتقادي به من كلامهم، ثم قلت في نفسي : إني جئت من مسافةٍ بعيدةٍ فلا ينبغي أن أرجِعَ قبلَ لقائه، فذهبت إليه فالتفتَ إليَ التفاتاً تاماً، ثم ذهبت في اليوم الثاني فغضبَ غضباً شديداً، ففهمت تلويحاً أن ذلك من الإصغاء لكلام المنكِرين والعزمِ على ترك زيارته، فلما سكَتَ عنه الغضب عاد إلى التفاته السابق وجعل يَذكرُ سبب اجتماعه بسيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه ومَدَّ يده إليَّ فقال : (بايِعْني!) فتوقفتُ عن أخذها لبياضٍ كان في جبهته كالبَرَص، فلما شعَر بذلك قبضَ يده ثم ظهر على طريقة الخلع واللبس بصورة حَسنةٍ مُهابةٍ فزال عني اختياري، ثم مَد يده وأخذ يدي وقال : (قال لي الشاه نقشبند حين بايعَني : يدُك يدي فمن أخذها فقد

أخذَ يدي، فأنت آخذ بيد الشاه نقشبند فبايِعْ ولا تتوقّفْ)، فبايعْتُه ثم علّمني طريق الخواجان بالنّفي والإثبات وهو المسمّى بالوُقوف العدديّ وقال: (هذا ما وصل إليّ من حضرة الشاه نقشبند، وإن شئتَ أن تربّي الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار) .

ورُوي أن بعض أصحاب الشيخ يعقوب قدّس الله سرّه قال له : (الآن لقّنه الطريقَ وتَخيَّرْهُ في تربيةِ السالكين بين الجَذْبةِ والذّكرِ فكيف هذا ؟! فقال : (هو رجلٌ كاملٌ لا يحتاج إلا إلى الإذن، فإنَّ الله أعطاه غاية القوّة، ومن أراد أن يجيءَ عند الشيخ فليكنْ مِثلَ هذا، فإن الأسباب فيه موفّرةٌ، والمُعِدَّات مُستحضَرةٌ، هيَّأ السراج والفتيلة والزيتَ وترقّبَ الكبريت) .

وكان قدّس الله سرّه لا يقبل هدية أحدٍ أصلاً حتى أن الرجل الصالح العديم النظير الشيخ أحمد الكاريري أهدى إليه بعد انتقال الشيخ جبةً من صوفٍ أبيضٍ رقيقٍ، وكانت من مالٍ حلالٍ فقال : (هذه هديّة رجلٍ صالحٍ كان ينبغي أن ألبسَها، غير أني إلى هذا اليوم لم آخذْ من أحدٍ شيئاً ولا قبِلتُ هديّة أحدٍ فاعتذِروا لي منه)، ثم ردها مع هديّةٍ منه إليه .

إن السادات الخواجكان ينظرون إلى الوقت فيعمَلون بمقتضاه فيشْتَغلون بالذكر والمراقبة حيث لم تكن خدمةٌ لأحدٍ، فإذا احتاج مسلمٌ الخدمة آثَروها، وذلك أن الخدمة سببٌ لقَبول القلوب مقدَّمٌ على الذكر والمراقبة، وظن بعض الناس أن الاشتغالَ بالنوافل أولى من الخدمة، وليس كذلك، فإن نتيجة الخدمة المحبةُ وميلُ القلوب لأنها جُبِلتْ على حبِّ من أحسنَ إليها، وفرقٌ بين ثمرة النوافل وثمرة الخدمة، ولهذا كان سيدنا شاه نقشبند وأتباعُه رضي الله عنهم لا

يقبَلون خدمة أحدٍ بسهولة لأن الخدمةَ والتواضعَ من الإحسان، وحبُّ المحسن أمرٌ جبلّيٌّ، وعلى قدْر حبه يكون التعلّق به، والتعلق حجابٌ، فلا يريدون التعلقَ بأحدٍ بوجهٍ من الوجوه بل كانوا يسعون في أن يخدموه ولا يستخدموه .

نُقل أنه توجّه بأصحابه أيام الربيع إلى بلاد كشّ[1]، فلما أقبل الليل نزل قربَ جبلٍ و لم يكن معهم إلا خيمةٌ واحدةٌ فضُربتْ له، فما لبثوا أن جاءت السماء بماء منهمرٍ وذلك بعد العشاء، فخرج رضي الله عنه من الخَيمة وقال لأصحابه : (ادخلوها فإن لي شَكّاً في طهارتها)، وشدَّد عليهم، فدخلوها وبقي رضي الله عنه ظاهرَ الخيمة والمطرُ تصُبُّ فوق رأسه حتى طلَع الفجر، فبعد صلاة الفجر أسرَّ إلى بعض أصحابه أني استحيَيْتُ أن استظِلَّ في الخيمة وأصحابي تحت المطر .

وخرج يوماً في شِدَّة القيْظ إلى مزرعةٍ له، وما كان عند الزراع إلا خيمةٌ واحدةٌ، فنُصبت له، فقبْل أن يشتدَّ الحر خرج فركِب فرسَه وقال لأصحابه : (اجلسوا إني أُريد أن أنظر إلى الأرض وزرعِها)، فجعل يدور هكذا وهكذا وإذا اشتدَّ عليه الحر جداً يأوي إلى بعض المغارات وربما كان رأسُه في الظل وجسده في الشمس، ولم يزل كذلك حتى برَد الهواء فرجَع إلى أصحابه وقد علِموا أنه لم يقصدْ بذلك إلا راحَتهم وإيثارَهم) .

---

١ - هي الآن مدينة شهري سبز أو المدينة الخضراء في الاتحاد السوفيتي .

وقال قدّس الله سرّه في قوله تعالى : ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[1] : (هذه المعيّة إمّا حسّيّةٌ : وهي مصاحبتُهم ومجالستُهم، فمن داوم على ذلك نوَّر الله قلبه بأنوار باطنِهم، وأنعم عليه بالتحقّقِ بأخلاقهم، وإمّا معنويةٌ : وهي أن يكونَ متوجّهاً لروحانياتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضِراً لهم غَيبةً وحضوراً، فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبي، انعكس عليه جميعُ أسرارهم، أو المرادُ من هذا الأمرِ الواجبِ الامتثالُ، أن الطالب ينبغي أن يربط قلبه بالصادق، وهو من تَنزَّه عن الغير والسِّوى، يقال : رمحٌ صدوقٌ، أي لا انحرافَ فيه ولا اعوجاجَ، أي فلا ينبغي أن يلتفِتَ إلى شيءٍ آخر حتى التجليّات الأسمائية والصفاتية، أو المرادُ كنْ عاشقاً واصحب العشّاق لا غير .

لأن الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثُّر بالصُّحبة، ولهذا أمَرَ بها، فلا عمل أنفعُ ولا أجذبُ للأحوال منها، بدليل : جذْبةٌ من جذْبات الحق توازي عملَ الثقلين .

وقال في لا إله إلا الله : (قال بعض الأكابر : هي ذِكرُ العوامّ، والله ذكر الخواصّ، وهو ذكرُ خواصّ الخواصّ، وعندي لا إله إلا الله ذكر خواصّ الخواصّ، لأنه لا نهايةَ لتجلياته تعالى ولا تكرارَ فيها، ففي كل آنٍ ينفي صفةً ويثبت صفةً، فلا يخلو أبدَ الآبدين من نفيٍ وإثباتٍ) .

---

١ - سورة التوبة الآية (١١٩)، وتعتبر هذه الآية الكريمة أحد الأدلة النقلية على مفهوم الرابطة، ويساندها عدة أدلة قرآنية أخرى، وكفانا من السنة الشريفة حال صحابة الرسول ﷺ مع معلمهم ومزكيهم .

وقال قدَّس الله سرَّه في قوله تعالى ﴿ قل الله ﴾[1] : (المراد أن يكون العبد متوجهاً إلى الذات البحْتِ لا إلى الصّفات) .

وقال قدَّس الله سرَّه في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا ﴾[2] : (أي يا أيها الذين ربطوا قلوبهم با لله تعالى آمِنوا أنّ هذا مِنْه تعالى لا منكم) .

وقال رضي الله عنه يوماً لأصحابه : (لِمَ لا تدخلون الأسواق وتعملون عملاً ينفع الناس، فاسعوا ليحصل لكم شهود الأحدية في الكثرة، فقد قال بعض المشايخ في معنى قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ : أي أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة .

وقال رضي الله عنه في معنى حديث : (**سُدُّوا كل خَوخةٍ في المسجد إلا خوخةَ أبي بكر**)[3] : (قال المحقِّقون إنه كان لأبي بكرٍ الصديق رضي الله عليه كمالُ النِّسبةِ الحُبِّيَّة مع رسول الله ﷺ، فأشار بهذا الحديث إلى أن جميع الطرق مسدودةٌ لا توصِل إلى طريق الحبِّ، والمراد من الرابطة محبةُ الشيخ المستحِقِّ للمشيخة، وطريقُ السادة النقشبندية المتّصلُ بأبي بكرٍ رضي الله عنه بُنِيَ على هذه، المحبَّة فما هو إلا حَفِظَ هذه النسبة .

---

١ - سورة الأنعام الآية (٩١) .

٢ - سورة النساء الآية (١٣٦) .

٣ - رواه الطبراني عن ابن عمر، وفي رواية لابن عدي عن أنس : (**سدوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب أبي بكر**) .

وقال قدَّس الله سرَّه في معنى قول أحد الأكابر : (لو أقبل صديقٌ على الله ألف سنةٍ ثم أعرضَ عنه لحظةً، فما فاتَهُ أكثرُ مما نالَه) : (إن هذه الطّائفة تَصِلُ إلى مقامٍ تَتضاعفُ فيه كمالاتُها السابقةُ كلَّ نفَسٍ) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (قال بعض الأكابر : إن بعد العصر ساعةً هي أفضل الساعات، فينبغي الاشتغال فيها بأفضل الأعمال، فقال قومٌ : أفضل الأعمال المحاسبة، وهي أن يحسِبَ العبد أعمالَه كلّها فما وجد من طاعةٍ شكر الله تعالى عليه، وما وجد من معصيةٍ استغفر الله تعالى وتاب، وقال آخرون : أفضلُ الأعمال أن يصحَبَ شيخاً ينتفي ببركة صُحبتهِ عنه كلُّ ما سوى الله تعالى، ويميلُ إلى الله تعالى وينجذبُ) .

وقال قدَّس الله سرَّه في معنى قولهم : (صُحبة الأضداد[1] موجبةٌ للتفرقة[2]) أنَّ أبا يزيدٍ رضي الله عنه وَجد يوماً تفرقةً فقال لأصحابه : انظروا هل في مجلسي أجنبيٌّ ؟ فنظروا فما وجدوا أحداً، فقال: دقِّقوا النظر فإنه إذا لم يكنْ أجنبيٌّ فكيف حصلتْ لي التفرقة ؟! فلما بالغوا بالتفتيش وجدوا عصا رجلٍ أجنبيٍّ فرموها فعادت له جمْعِيَّتُه .

وقال : (قال الشيخ أبو سعد رضي الله عنهما : تكلّم سبعُمائةٍ من المشايخ على ماهيّة التصوف وأحسنِها وأتمِّها:التصوف صَرف الوقت فيما هو أولى به)، وقال قدَّس الله سرَّه : (لا أقدر أن أسكن بلدةً فيها شريفٌ، إذ لا أقدِر على أداء حق تعظيمه، فقد روي أن الإمام الأعظم رضي الله عنه قام يوماً في خلال درسه

---

١ - الأضداد هي كل ما يشغل عن الحضور .

٢ - التفرقة ضد الجمعية فهي تشبه إلى حد ما الغيبة .

وقعَد غير مرةً وما علم الحاضرون ما سببُ ذلك حتى سأله بعضهم فقال : غلام من الشرفاء يلعب بين هؤلاء الأطفال، فكنت كلما وقع بصري عليه أقوم إجلالاً له وإذا غاب عني أجلس) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (المكر[1] مكران : مكرٌ بالعوام وهو أن يُنعمَ الله على العبد مع استغراقهِ في القصور، ومكرٌ بالخواص وهو إبقاء الوَجد[2] والأحوال عليه مع تركهِ للأدب) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (لو أن صوفيّاً صاحِبَ وجدٍ وحالٍ مشى في طريقه فوجد فيه كلباً فأقامَه حتى يمشيَ مستريحاً ولم يتغيَّر حاله بعد هذا الفعلِ، فليعلمْ أنّ هذا مكرٌ من الله تعالى) .

وقال رضي الله عنه : (متى وجدتَ من صحبةِ أحدٍ جمعيّةَ الخاطر والتوجُّهَ إلى الله تعالى فدَعِ الذكرَ، إذِ المقصودُ منه حصولُ النسبة وقد حصَلتْ) .

وقال : (إن حصل لك حضور بصحبة أحد فطريقُ حِفظهِ أن تجتنبَ ما يكرهُه)، وقال : (ينبغي لمن أراد المَجْنَى عن هذه الطائفة أن يجيْءَ بالإفلاس التامِّ ظاهراً وباطناً لا بالغنى، لِئَلا يُحرمَ من بركاتهم).

وقال : (حاصلُ هذه الطريقة العليّة الإقبالُ على الله تعالى دائماً إقبالاً لا تكلُّفَ فيه)، وقال رضي الله عنه : (دفعُ الخواطر الرّديئة والمقتَضيات الطبيعية لا يحصل إلا بأحد أمورٍ ثلاثةٍ : أولُها: أن يشتغل بما قرّره السادات في الطريقة العليّة مع اختيار رياضةِ طريقتِهم ومجاهدتهم، ثانيها: ان لا يرى لنفسه حولاً ولا

---

١ - قال فيه الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي : هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب.

٢ - هو ما يصادف القلب من الأحوال المغيِّبة .

قوةً بحيث يتحقّقُ أنْ لا يقدرَ أنْ لا يُزيلَ حجاباً ما لم يُزِلْه عنه تعالى، فيتضرعَ إليه سبحانه حتى يخلّصَه من الحُجُب، ثالثها: أن يكون متوجّهاً إلى شيخه يستمدُّ منه ويعتمد أنه لا يقدر أن يتوجّه إلى الله تعالى إلا بواسطته، وهذا أقرب الطرق وأسهلها وأحسنها، ولا بد أن يصلَ من هذا الطريق إلى المقصود الأصليّ الحقيقيّ) .

وقال صاحب الرشحات : (إن الله تعالى أعطى الشيخ رضي الله عنه من تسخيرِ الملوك له وإطاعتِه ما لم يعطِ أحداً من قبل، حتى أنه قال مرةً : لو أني تصدّرتُ للمشيخة ما أبقيتُ لأحدٍ من مشايخ العصر مريداً، ولكنَّ الله أمرني بأمرٍ آخرَ، وهو إنقاذ المسلمين من شرِّ الظّلَمة وأيدي المخالفين، ولهذا خالطتُ السلاطين ابتغاء تسخيرهم لنفع المسلمين) .

وقال رضي الله عنه أيضا : (أعطاني الحق تعالى في التصرف قوةً عظيمةً بحيث لو أرسلتُ ورقةً إلى ملك الخطا وهو يدَّعي الألوهية لجاءَ حافياً بلا توقّفٍ، ومع هذا لا أتصرَّف في ملكه تعالى بقدْر ذرةٍ، بل أقفُ عند حدِّ أمْره عزّ وجلّ، فإنّ من آداب هذا المقامِ أن تكونَ إرادتُك تابعةً لإرادتِه جلّ وعلا لا العكسُ) .

قال: ويشهد لذلك ما وقع منه عند مصلحته للملوك الثلاث، وذلك أنه ورد إلى سمرقند خبر بأن السلطان محمود والسلطان عمر شيخ تحالفا على منازلة أخيهما السلطان أحمد في سمرقند وخرجا بعسكر كثيف جدا حتى نزلا في ضاحية شاه رخية محل منسوب لشاه رخ، وخرج السلطان احمد وعسكر بها أيضا وسأل الشيخ رضي الله عنه الصحبة فأجابه رجاء أن يصلحَ الله به بين

هاتين الفئتين العظيمتين، فأقاموا أربعين ليلة يرقب كل منهم الآخر، فقال للسلطان أحمد : (لِمَ أتيتم بي إلى هنا؟! إن كان مرادكم الحرب فإني لست من أهله.. فلِمَ هذا التأخير ؟!) فقال له : (يا سيدنا ومولانا الرأي رأيكم، فقد فوضت أمري إليكم فافعلوا ما تشاؤون فإني لا أخالف لكم أمراً)، قال : فتوجه رضي الله عنه إلى معسكر الفئة الثانية، فخرج الملكان في استقباله وبالغا في تكريمه وإجلاله، فالتفت إليهما بكليته وألجأهما إلى الصلح فامتثلا أمره غير متوقفين، فلما كان من الغد أمر أن يتهيَّأ جيش الملوك الثلاثة ويبقى كل جيش محله وينصب خباء وسط الجيوش، واستدعى الملوك الثلاثة إليه فحضروا فلما تلاقوا تعانق ميرزا أحمد مع أخيه ميرزا محمود وأخذ بيد ميرزا أحمد فمسح بها وجه أخيه ميرزا عمر شيخ فبكوا بكاء كثيراً حتى أبكوا الجمَّ الغفير، ثم أجلسهم تحت الخباء، وكان لمجلسهم هيبة عظيمة ترتعد منها فرائص الجبال، والعساكر من حولهم وقوفاً صفوفاً مترقبين أن لو حصل ما يوجب الحرب لانقضوا على بعضهم كالسيل الجارف، قال : فوضعوا المائدة وأكلوا جميعاً؛ ثم طلب الشيخ رضي الله عنه ارتجالا من ميرزا أحمد أن يتنزل لأخيه ميرزا محمود عن مدينة تاشكند، فأجابه في الحال لذلك، فختم المجلس بالتبرك بفاتحة الكتاب، ثم انصرف كل منهم بجيوشه إلى حاضرة سلطنته شاكرين أياديه وبره رضي الله عنه .

وتوجه يوماً إلى بلدة القرشي، فأتاه أحد خدام أبله وهوقره أحمد العربي وهو يبكي ويقول : إن السيد أحمد سارد آذاني كثيراً وظلمني، فتأثر رضي الله عنه تأثراً كلياً ولم يتكلمْ، فلما رجع إلى سمرقند استقبله الأمراء وفيهم السيد

أحمد المذكور فلما اجتمعوا عنده توجه إليه وقال لـه : (أنـت تضـرب خـادمي وتوذيه، فاعلم أني أنا كذلك أعرف طريق الضرب والأذى) .

وطرده من مجلسه ولم يزلْ مغضبـاً إلى وقـت العصـر لا يكلّـم أحـداً، فبعد أسبوع مرض السد أحمد، فلما اشتدَّ مرضه أرسل إلى السلطان يخبره بـأني وقع مني سوء أدب من جانب سيدنا ومولانا فاعتذروا لي منه واسألوه أن يعفوَ عـني، فأرسل بعض أمرائه المقبولين عند الشيخ رضي الله عنه إليه في ذلك فقـال لـه : (يطلب مني السلطان إحياء الموتى، أنا لست عيسى، فمات ذلك اليوم) .

توفي رضي الله عنه وقتَ العشاء ليلة السبت سلخَ[1] شهرِ ربيع الأول سنة ثمانمائةٍ وخمسةٍ وتسعين في قرية كمان كران بعد أن حُمَّ تسعةً وثمانين يوماً، قال بعض الأكابر : (وحكمةُ مرضِه هذا المقدارَ، أن سنَّه الشـريف تسـعةٌ وثمـانون سنةً، وفي الحديث الشريف : (**حُمّى كل يوم كفارة سنة**)[2].

وذكر نجله الشيخ محمد يحيى وجمٌّ غفيرٌ من أصحابه الحـاضرين أنه خـرج عند نفَسِه الأخير من بين حاجبَيْه نورٌ باهرٌ طمَس ضوءَ الشـمس، وقـد زُلزلـت سمرقند وقت صلاة الجمعة عند اشتدادِ مرضـه، فعلِـم النـاس أن الشـيخ قـد آنَ احتضارُه، وكان وقت العشاء عند خـروج روحـه الزكيَّـة أيضـاً، وكـان قـد حضر السّلطان أحمد بعسكره بعد الغروب.

---

١ – سلخ الشهر آخره .

٢ – لم أقف على تخريجه

ثم يوم السبت حُمِلَ نعشُه المبارك، ودفن في محوطة ملايان[1] جمع مـلا أي مدفن العلماء، وبنى عليه أنجالُه قبّةً عظيمةً هي محطّ رحـال الرَّحَمـات العميمـة، وسنه الشريف نحو تسعٍ وثمانين سنةً.

من أعظم أصحاب سيدنا أحرار، شيخُ هذه السلسلة وأعلى من سرى إليـه سرٌّ هذه النسبة المبجّلة سيدُنا الشيخ محمد القاضي الزاهد رضي الله عنه ...



١ - أي مدفن العلماء، وملايان هي جمع ملا .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا الشيخ محمد القاضي الزاهد قدّس سره

هو خُلاصة المتّقين، وصَفوة الأولياء الزاهدين، كان رضي الله عنه من أولياء أصحابه، وعيبةَ[1] أسراره، وقبلةَ خطابه، ووارث علومه وأنواره

صنّف كتاباً في ذكر فضائله وخصائصه وشمائله سمّاه (سلسلة العارفين وتذكرة الصادقين) يقول فيه رضي الله عنه : (إنّي انتظمتُ في سلك خَدَمِهِ[2] سنةَ ثلاثٍ وثمانين وثمانمائةٍ و لم أزَلْ، حتى انتقلَ سنة خمسٍ وتسعين، فكانت مدةُ تشرُّفي بخدمته اثنتي عشرة سنةً والحمد لله على ذلك، وكان سببُ اتصالي بجنابه أني خرجتُ مع رجلٍ لطلب العلم اسمه الشيخ نعمة الله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم، فلما وصَلْنا إلى قرية شادمان أقمنا فيها أياما من شدة الحر، فبينما نحن كذلك إذ حضر إليها سيدنا الشيخ رضي الله عنه وقت العصر، فذهبنا لزيارته، فسألني : (منِ أين أنت ؟)، فقلت : (مِن سمرقند)، فطفِقَ يحدثنا أجمل الحديث، وذكر خِلال كلامه جميع ما أكننته في سرّي فرداً فرداً، حتى أخبرني عن سبب سفري إلى هراة، فلما وجدتُ ذلك تعلّق قلبي به كلَّ التعلُّق، ثم قال لي : (إن كان مقصودَك طلبُ العلم فهو متيسِّرٌ هنا)، فتيقّنت أنه ما من خاطرٍ إلا وقد اطلع عليه هذا، و لم يَخرُجْ من قلبي محبةُ السفر إلى هراة، فلما كوشف بذلك قال لي أحد أتباعه إنه مشغولٌ بالكتابة، فترَبَّصتُ قليلاً، فلما فرَغَ قام من مقامه وأقبل نحوي، ثم قال : (أخبرني بجَلّيَةِ[3] أمرك، هل مرادك من

---

١ – إما أن تعني موضع السر وإما أن تعني الخزينة أو الصندوق .

٢ – يقصد الشيخ عبيد الله .

٣ – أي بكل أمرك .

هراة تحصيل الطريقِ أو العلمِ ؟!)، فذهشتُ من جلالتهِ وسكتُّ، فقال له رفيقي: (بل الغالب عليه الطريق، وإنما جعل طلبَ العلم تستُّراً)، فتبسَّم وقال: (إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن)، ثم أخذني إلى جهةِ بستانٍ له، فلم نزلْ نسيُر حتى غِبنا عن أعين الناس، ثم وقف، ومنذ أخَذَ بيدي جاءتني غَيبةٌ امتدَّت معي حتى استغرقتْ زمناً طويلاً، فلما أفقتُ رجع يحدثني رضي الله عنه، ثم قال: (لعلك تَقْدِرُ أن تقرأ خَطي)، وأخرج من جيبهِ ورقةً فقرأها وطواها ودفعها إليَّ وقال : (احفظها)، وإذا فيها :

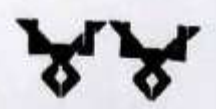
..حقيقة العبادة خضوعٌ وخشوعٌ وانكسارٌ يظهر على قلب ابن آدم من شُهودِ عظمةِ الله تعالى، وهذه السعادة موقوفةٌ على محبَّة الله تعالى، وهي موقوفةٌ على اتِّباع سيِّد الأولين والآخِرين عليه من الصّلوات أكملُها ومن التحيات أتمُّها، وهو موقوفٌ على معرفة طريقه، فلزِم لذلك بالضرورة مصاحبةُ العلماء الوارثين لعلوم الدين، وتلقِّي العلوم النافعةِ عنهم حتى تظهرَ المعارف الإلهية المَنوطة بمتابعته ﷺ ومجانبةُ علَماءِ السوء الذين اتخذوا الدين وسيلةً لجمع الدنيا، وسبباً للجاه، والمتصوفةِ والرقاصين وأهلِ السماع الذين يتناولون ما يجدون من حلالٍ وحرامٍ وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السُّنة والجماعة من مُشكلات علم الكلام والتصوّف والاسلام..... ثم رجع إلى مجلسه فقرأ الفاتحة، ورخّص لي بالسفر إلى هراة) .

وكُتب فيه أيضاً : (إن سيدنا ومولانا مرض مرةً فأمرني أن آتيه بطبيبٍ من هراة، فجاءني مولانا قاسم رضي الله عنه، وقال : يا مولانا محمد أسرع في ذَهابك وإيابك، فإني لا أستطيع أن أرى سيدَنا ومولانا مريضاً)، وحرَّضني تحريضاً تامّاً، فلما جئتُ بالطبيب وجدت الشيخ رضي الله عنه قد شُفي

ومولانا قاسم قد توفي، وكانت مدةُ غيابي عنـه خمسةً وثلاثين يوماً، فسألت الشيخ عن سبب وفاته فقال : (إني قد فديتـك نفسـي)، فقلـت لـه : (لا تفعل هكذا، فإن المتعلقين بـك كثيرون وأنـت رجـل شـاب)، فقـال : (مـا جئتـك مستشيراً في هذا الأمر، بل قرَّرْتُهُ في نفسي وصمَّمْتُ عليه وجئـت وقـد قبـل الله مني ذلك)، ولطالما راجعته في ذلك ونهيته عنه فما قبلَ، ومـا زال مُصِراً على جوابه الأول وانصرف، قال : ففي اليوم الثـاني انتقـل مـرض الشـيخ بعينـه إلى مولانا قاسم وتوفيَ به، وذلك يوم الاثنين لستٍّ خلتْ من شهر ذي الحجـة سـنة إحدى وتسعين وثمانمائةٍ، وبرىء الشيخ بُرأً تاماً فلم يَحتجْ للطبيب الـذي أتيـت به .

ولما احتَضرَ سيدنا ومولانا رضي الله عنه اجتمع عنده جميعُ أولادِه وأحفـادِه وأصحابُه الخاصةُ والعامةُ، فقال لهم : (لِيَختَرْ كلٌّ منكم إمّا الغنى وإمّا الفقر[1])، فقال له الشيخ محمد رضي الله عنه : (اختياري اختيـارك) فقـال : (أنـا أختـار الفقر)، ثم التفتَ لخازنِهِ وقال له : (أعطِه أربعـة آلاف شـاهرخية ليستعينَ بهـا على مُؤنة الفقراء الذين يجتمعون عنده ويتفرغَ لخدمتهم) .

وله أصحاب كالنجوم في هداية الخُصوص وبركة العموم، ومـن أعظـم مـن تلقّى سرَّ هذه النسبة المبجَّلةِ ابنُ أخته سيدُنا الدرويش محمّد قدّس الله سره.....



١ - لا يعني بالفقر العوز والحاجة لأن النبي ﷺ يقول : (**كـاد الفقـر أن يكـون كفـراً**) [رواه أبو نعيم عن أنس]، وإنما يعني الفقر إلى الله تعالى بأن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ويتكل عليه حق الاتكال .

سيدنا الدرويش محمد قدس سره

هو غَوثُ الأولياء الأعلام، وغَيثُ علماءِ الإسلامِ المُشرق في المَغرب والمَشرق، ونوُر بركتهِ المشرف على دولةِ الإرشادِ وإرشادِ دولته.

تربَّى في حِجر خاله، ونالَ مزيدَ فضْلهِ وأفضالهِ بما تضلَّع من العلوم الشرعية، وارتضع من ثدي التَّربية الرَّبيَّة إلى أن ارتوى من الحقائق الإلهية والمعارف الغيبية. وصار بما أوحي إليه هو المعول عليه، واشتهر مِن بعدِه بالولاية العُظمى والعلمِ الأسمى والقَدْرِ العليِّ والفَضلِ الجليِّ، حتى عُرفَ في أيامه بالدّرويش وليّ، ولمّا حوى من الهدى ما حوى، ومال على مَحوِ الضلال كالسيل إذا انهال، والنجمِ إذا هوى، ما ضلَّ صاحبهُ وما غوى، بل جمع من الخواطر شِتاتَها، ووصل من العزائم بَتاتَها، وأحيى من النفوس أمواتَها، وقدَّر فيها من الخير أقواتَها، حتى غدا بركة زمانه، وإنسانَ عينِ الإرشاد وعين إنسانهِ.

وله أصحابٌ كثيرون كلُّهم هادون مهديّون، وأعظمُ من سرى إليه سرُّ هذه النّسبة المطهَّرة شيخ هذه السلسلة نجلُه سيدنا محمد الخواجكي الأمكنكي رضي الله عنه ....



سيدنا الشيخ محمد الخواجكي[1] الأمكنكي[2]

قدس سره

خُلاصة خاصة الأولياء، وارثُ علوم الأنبياء، فهو الإمام المتّفَق على جلالة منزلته، والمرجوُّ فضلهُ وفضلُ بركتِهِ .

تخرَّجَ على حضرة والده، وفاز بطارِفِ[3] مجدِه وتالدهِ[4] إلى علومٍ كالبحر الزاخِر، ومعارفَ كمْ تركَها الأولُ للآخر، ولم يزلْ في بدايته بعين هدايته ملحوظاً، وفي ظلِّ سَلطنة تربيتِهِ محظوظاً، لا يدعُ فضيلةً جليلةً إلا أحصاها، ولا ضَيعةً[5] وضِيعةً إلا أقصاها[6]، ولا مقاماتٍ عاليةً إلا طواها، ولا أسراراً غاليةً إلا حواها، ولا أذواقاً غامضةً إلا حلاها، فكان يَتلوَ والده كالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، جلس في دَسْتِ[7] الخلافة بعده وبذل في إحياء القلوب جَهدَه، ولَبِس خِلعة القبطانية، فلا ذرةَ في العالم إلا وهو يمدُّها بالرَّوحانية، فأشرق

---

١ – الخواجكي اسمه الكريم وهو نسبة إلى خواجة .

٢ – نسبة إلى إمْكنة وهي قرية من قرى بخارى .

٣ – الطارف كل كثير وفير أو هو العيون .

٤ – التالد ما تولد عن قديم .

٥ – الضيعة هي الأرض المغلة .

٦ – أي بلغ أقصى نقطة فيها .

٧ – هو المجلس الذي فيه مكان الصدارة .

في هِمَّته بدرُ هذا الطريق، وصار فريقٌ خيره خيرَ فريقٍ، وصار صيتَ إرشاده ووفورَ إمداده وبُعدَ مَداه، فهُرِعَ الناس إلى اقتباس هدي أنوارِهِ وأنوارِ هداهُ، حتى صار بابُه محطَّ رِحال العارفين، وقِبلةَ الصُّلحاء المتّقين، ومستغاثَ الطالبين، عليه من هيبة الكرامات والكشف أكبُر حلاله، ومن عظَمة التجلّيات الذاتيَّة ما يدلُّ على سموِّ مَقامه في الحضْرة الإلهية أكملُ دلاله .

وله خلفاء كاملون أولياء، وأكملُ من سرى إليه سرُّ هذه النِّسبة العَلِيَّة منهم شيخُ هذه السلسلة الشيخ محمد الباقي رضي الله عنه وعنهم .



سيدنا الشيخ محمد الباقي قدِّس سره

هو العارف الفاني با لله، والباقي بذاته في أَوْجِ الشُّـهود إلى أَوْجَـهِ مقاماتـه، وكان سرّاً من أسرار الله وآيةً من آياته، جمع بين شرَفَي العلوم والمعارف، وجـرَّ على طرفَي مجرَّة العَلاء المطارفَ، آتاه الله منَ العِلمَيْن والتصرُّف في العـالمين مـا يدلُّ على سموِّ قدره عنده، وأنه يُحشر يوم القيامة أمةً وحده، وما أقصـرَ لسـاني وأصغرَ بنانِ بياني في ترجمةِ من قال في شأنه سيدُنا الإمام الربـانيُّ مجـدد الألـف الثـاني مـا نصّـه : (القـائم مقـام المشـايخِ العليّـة، والنـائبُ مَنـاب[1] الأكـابر النّقشبندية، الواصل إلى نهاية النّهاية، البالغُ أقصى درجات الولاية، قطـبُ مِـداد الخلائق، كاشفُ أسرار الحقائق، الفرد الكـامل في المحبّـة الذاتيّـة، المحقّـق الجـامع لكمالات الولاية المحمّدية، مَسندُ أهل الإرشاد والهدايـة، مُرشِـد طريـقِ دَرَجِ[2] النهاية في البداية، زُبدة العارفين، قُدوةُ المحققين، شيخُنا وملاذُنا ومولانـا الشـيخ الأجلُّ والعارف الأكمل محمد الباقي أبقاه الله تعالى) .

ولد قدَّس الله سرَّه في نواحي مدينة كابل[3] من بلاد العجم التابعـة لسَـلطنة الهند، ونشأ بها، ثم قدِم الهند لأمرٍ مـن الأمـور الدنيويّـة، فأدركتْـه جذْبـةٌ مـن جذْباتِ الحق قوية، فأعرَضَ عن الدنيا وأربابِها وجدَّ في تلقّي العلوم عن سـاداتِ

---

١ - مناب اسم المكان من ناب

٢ - أي درب، يقال : رجعت أدراجي أي في الطريق الذي جئت فيه .

٣ - بلدة في الهند .

العصر وفُضلاء كل مصرٍ، والأخذِ عن العارفين، والاستفاضَةِ من قلوب الأولياء وروحانيَّةِ المرشدين، حتى صار في المعقولِ بحراً، وفي المنقول حِبراً، وفي كلّ فضيلة فرداً، ولم يألُ في السِّياحة[1] جَهداً، إلى أن وصل إلى مدينة سمرقند واتّصل بحضرة الخواجكي قدَّس الله سرَّه، فتلقّى منه طريقَ حضرة النّقشبند، فرقَى في أقرب أوقاته إلى أعلى درجاتهِ.

وكانتْ تُربِّيه روحانيةُ غوثِ الأبرار سيدِنا الشيخ عبيدِ الله الأحرار قدَّس الله سرَّه، وشرَّف في الملإ الأعلى قدْرَه، ثم أجاز له تربية المريدين وإرشاد المسترشدين، وأمره بالعود إلى الهند، وبشَّره بتربية شمس سرهند[2]؛ فرجع إليها وتوطن مدينة دهلي جهان آباد، فملأها بالإيمان والعِرفان، والأسرار والأنوار، والإمداد والإرشاد، وما انتشرتْ في جميع الأقطار الهنديَّة عوارفُ معارفِ الطريقة النقشبندية إلا من أرَجِ[3] رياضِ فضلِه، إذ ما كانوا يعرفونها مِن قبلِهِ، فأبَلَتْ[4] إليه الأمم بما جذبهم به من علُوِّ الهِمَم وقوة التصرّفات الإلهية والخصائص المحمّدية حتى صار كلُّ من يقعُ بصرُه الشريف عليه أو يحضرُ مجلس ذكره، أو يجلسُ بين يديه ويحصل له الغَيبة والفناء من أول وهلةٍ، وإن لم يحسِبْ في الظاهر أهلَه، وربما انكشف له عن عالم الملك والملكوت بلا مهلةٍ.

---

١ – التنقل في الأرض لنشر دين الله.

٢ – يعني به الإمام الرباني الإمام أحمد الفاروقي السرهندي.

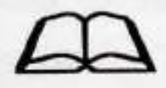
٣ – عطر وعبير.

٤ – أي ساقت إبلها.

وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنةَ أربعَ عشرة وألفٍ في مدينة دهلي وله أربعون سنةً وأربعة أشهرٍ، وقبره الشريف بها على غربيها عند أثرِ قدم النبي ﷺ يُستغاث به .

وخلفاؤه أكثر من أن تُذكَر، مِن أكملهم خُلاصة الأولياء العارفين الشيخ تاج الدين العثماني الهندي معرِّب الرَّشحات والنَّفحَات قدِّس سرُّه، والعارف با لله تعالى المير حسام قدِّس سرُّه.

وأعظم من تلقى سرَّ هذه النسبة المطهَّرة عنه شيخ هذه السلسلة الإمام الرباني أحمد الفاروقي رضي الله عنه .....



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي قدِّس سره

وهو درَّةُ إكليل الأولياء العارفين، وغرّة جبين الأصفياء الغرِّ المحجَّلين، ومرشد الأكمَلين، داعي الخلق بالحقِّ إلى الحقِّ، القطبُ الأوحد، والعَلَمُ المفرد، الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني .

ولقِّب بالفاروق لأن نسبه ينتهي إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه .

وُلد قدَّس الله سرَّه يوم عاشوراء سنةَ إحدى وسبعين وتسعمائةٍ، في بلدة سهرند[1] .

تلقَّى العلوم كلَّها معقولَها ومنقولَها عن والده وعن غيره من مُحقِّقي زمانه، واشتغل بالطُّرق الثلاثِ : القادريةِ والسهرورديةِ والجشتيةِ على والده قدَّس الله سرَّهما حتى أَذِن له بالإرشاد والاستخلاف في الطرق المُنوَّه بها وهو ابنُ سبعَ عشرةَ سنةً .

---

١ - كذا أوردها حفيده الشيخ محمد مظهر في ترجمته، غير أنها مشهورة بسرهند وهو الأولى، وهي بلدة كبيرة من أعمال اللاهور في الهند .

ما زال مشتغلاً بنشر العلوم والمعارف، وتربية السّالكين، وهداية المريدين، وإرشاد الطالبين، وفي نفسه شَغَفٌ عظيمٌ وميلٌ قويٌّ لتحصيلِ نِسبة الطريقة العليّة النقشبنديّة لعِلْمِه بفضلها على سائر الطّرُق وعُلوّ نِسبتها على كلّ النّسب، حتى اجتمع بغوث الزمان العارفِ با لله تعالى سيدنا الشيخ محمد الباقي قدَّس الله سرَّه، وقد كان أرسله شيخه القطب الكبير والإمام الشهير سيدنا محمد الخواجكي الأمكنكي قدَّس الله سرَّه من بخارى إلى الهند، فأخَذَ عنه الطريقة النقشبندية، ولازمه ففازَ بأعلى المَرامِ بمدةِ شهرين وبضعة أيام، حتى شَهِد له شيخه قدَّس الله سرَّه بالمُرادية والمحبوبيّة والكمال والتكميل، وفوَّض إليه تربيةَ مريديه .

ولقد خصه الله تعالى بفضيلة نشر العلوم الدينيّة، والكشفِ عن أسرار العلوم اللّدُنّيّة، وبيانِ مراتب الولاية والنبوّة والرسالة، وكمالات أولي العزم ودرجات الخِلّة والمحبّة، وإظهارِ أسرار الذّات والشؤون الإلهية، ولو لم يكنْ منها إلا رتْبةُ تجديد الألف الثاني لكفى .

وقال قدَّس الله سرَّه : (روى أبو داورد عنه ﷺ أنه قال : (**إنّ الله يبعث على كلّ مائة سنةٍ من يُجدِّد لهذه الأمة أمر دينها**)[1]، لكنْ بين من يُجدد المائة ومن يجدد الألف من الفرقِ كما بين المائة والألف، بل أعظمُ من ذلك) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (كُشِفتْ لي خفايا المتشابهاتِ القرآنية، وأسرارُ المقاطَعات الفُرقانيّة، فوجدتُ تحت كلّ حرفٍ منها بحراً من العلوم الدّالّة على الذّات العليّة، لو أظهرتُ شيئاً منها لقُطع مني الحُلقوم).

---

١ - رواه أبو داوود والحاكم عن أبي هريرة .

وقال قدَّس الله سرَّه : (أطلعني الله على أسماء من يدخلون في سلسلَتِنا من الرجال والنساء إلى يوم القيامة، وإنّ نِسبتي هذه تبقي بواسطة أولادي إلى يوم القيامة، حتى إن الإمام المهدي سيكون على هذه النسبة الشريفة)، وقال قدَّس الله سرَّه : وقال قدَّس الله سرَّه : (أُريتُ الكعبة المطهَّرة تطوفُ بي تشريفاً منه تعالى وتكريماً لي) .

وقال : (إن الله تعالى أعطاني قوةً عظيمةً في أمر الهداية بحيث لو توجَّهتُ إلى خشَبةٍ يابسةٍ لاخْضرَّتْ) .

وكتب إليه بعض المشايخ : أن المقاماتِ التي تدَّعيها هل نالتْها الصحابة أولاً، وعلى الأول هل ناولوها دفعةً واحدةً أم تدريجاً ! فأرسل إليه : (الجواب موقوفٌ على حضورك)، فحضرَ فتوجَّه إليه بجمعيَّة المقامات،فترامى في الحال على قدميه، و قال : آمنت أن جميع المقامات كانت تحصل للصحابة رضوان الله عليهم بمجرد نظره ﷺ .

وقصد زيارته رجلٌ من بلاد شاسعةٍ فأتى سهرندَ ليلاً، وبات عند أحد المُنْكِرين على الشيخ قدَّس الله سرَّه وهو لا يَشعرُ، فسأله عن سببِ شُخوصهِ إلى سهرندَ، فقال له : جئتُ لزيارة الشيخ فجَعل يطعَنُ فيه، فلما رأى الرجل ذلك خاف وصار يستغيث به قدَّس الله سرَّه ويقول في سره : يا سيدي إني جئتُ لطلب الحق، وهذا يصدُّني عنه ثم نام، فلما كان وقتُ الفجر إذا بصاحب البيت قد مات ليلاً، فأسرع الرجل إلى الشيخ وأراد أن يعرِضَ عليه الخبر فنظرَ إليه وتبسَّم وقال : (ما مضى في الليل لا يُذْكَرُ في النهار) .

وقال نجله الأكبر خازنُ الرحمة، سيدُنا الشيخ محمد سعيد قدَّس الله سرَّه : (كثيراً ما كان يخبرني الشيخ نفعَنا الله به بالأمر خيراً كان أو شرّاً قبل وقوعه، فيقع كما يقولُ بلا تفاوتٍ أصلاً)، وقال : (وربَّتني رَوحانيَّة حضَراتِ السادات النقشبنديّة والقادريّة والجُشتية والسُّهرَوَرْدِيّة، فتحلّيْتُ بنسبتهم الخاصة، حتى صرتُ لو أردت أن أربّيَ السالكين بنسبةٍ كل واحدٍ منهم لفعلت) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (اعلم يا أخي أن الذي لا بد منه وكلّفَنا الله به امتثالُ الأوامر واجتنابُ النواهي لقوله تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1]، وإذا كنا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لا يُتصوَّر بدون الفناء وبغير المحبّة الذاتيّة، وجب علينا أيضاً سُلوكُ طريقِ الصّوفيةِ الموصِلةِ للفناء والمحبة الذاتيّة حتى تتحقّق حقيقةُ الإخلاص، ولمّا كانت طُرق الصوفية متفاوتةً بالكمال والتكميل، كان كل طريقٍ تُلتزِم فيه متابعةَ السُّنّة السَّنِيَّة، وأداءُ الأحكام أولى وأنسبُ بالاختيار، وذلك الطريق هو طريق السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم العليّة، فإن هؤلاء الأكابر التزَموا بهذه الطريقة متابعةَ السُّنة واجتنابَ البِدعة، لا يُجوِّزون العملَ بالرُّخصة، ولو وجدوا ظاهراً أنّ له نفعاً في الباطن، ولا يتركون الأخذ بالعزيمة، ولو عِلموا صُورةً أنه مُضِرٌّ بالسيرة، ويجعَلُون الأحوال والمواجيدَ تابعةً للأحكام الشرعية، والأذواقَ والمعارفَ خادمةً للعلوم الدينيّة، ولا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعيّة مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال، هذا حالهم على الدوام مُحيَتْ نقوشُ السِّوى من بطونهم، بحيث لو تكلّفوا ألفَ سنةٍ أن يتذكّروها لا يتيسَّر لهم،

---

١ - سورة الحشر الآية (٧) .

التجلّي الذّاتي الذي هو لغيرهم كالبرقِ، دائمٌ لهم، والحضورُ الذي يعْقبهُ غَيبةٌ لا اعتبارَ له عند هؤلاء الأعِزَّة، ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] حالُهم، ومع ذلك فطريقُهم أقرب الطرق قطْعاً وموصلةٌ البتّة، نهايةُ غيرهم مندرجةٌ في بداية هؤلاء الأكابر، ونِسبتُهم منسوبةٌ إلى الصِّدِّيق الأكبر رضي الله عنه فوق نِسَب جميع المشايخ، لا يصل إلى ذوق هذه السادة فهْمُ كلِّ أحدٍ .

أولئك آبائي فجِئْني بمثلِهم إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المجامعُ

ولو مُلئت الدفاتر في بيان خصائصِ أولئك الصّفوة وكمالاتِها، لكان كقطرةٍ من بحرٍ لا نهاية له .

وقال قدَّس الله سرَّه : (اعلمْ أنَّ أصلَ كل بلاءٍ إنما يكون من الابتلاء بالنفس، ومتى تخلَّص الإنسان منها تخلّص من الابتلاء بما سِواه تعالى، فإنْ كان يعبدُ الأصنام فإنما يعبدُ نفسَه بالحقيقة، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[2]، خلِّ نفسك وتعالَ، وكما أن الخروجَ عن النفس والمرورَ عنها فرضٌ، كذلك الدخولُ إليها والغوصُ فيها لازمٌ[3]، فإنّ الوِجدان إنما يكون فيها، فإن كان

---

١ – سورة النور الآية (٣٧) .

٢ – سورة الفرقان الآية (٤٣) .

٣ – يقول رسول الله ﷺ : (من عرف نفسه عرف ربه) .

هناك شهودٌ ففي النفس، أو معرفة فكذلك، أو حَيرةٌ فكذلك، وليس في خارج النفس موضعَ قدمٍ) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (اعلم أن فيضَ الحقِّ تعالى على الدوام للخواص والعوام، سواءً كان من قسم الأموال والأولاد أو من جنس الهداية والإرشاد من غير تفاوتٍ، وإنّما نشأ التفاوتُ من القَبول وعدمه، ﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1]، فالشمس تُشرق على الثوب وعلى القَصَّار[2] إشراقاً واحداً، فيسوَدُّ وجه القصّار ويبيَضُّ الثوب، وعدم القَبول هذا بسبب الإعراضِ عن جَناب الحقِّ تعالى، فإنّ المُقبل يُقبل عليه كما قال ﷺ في الحديث القدسي : **(من تقرَّب إلي شبراً تقرَّبْتُ منه ذراعاً)**[3]، والمُعرض يعرض عنه كما قال رسول الله ﷺ : **(فأعرَضَ فأعرضَ الله عنه جزاءً وِفاقاً)**، قال تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾[4]، ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾[5]، وفي الحديث: **(إنما هي أعمالكم أحصيها لكم من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، كما تدين تُدان ، فمن وجد خيراً فليحمدِ الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)**[6].

---

١ - سورة آل عمران الآية (١١٧) .

٢ - القصّار أو المقصّر هو العشيُّ الذي أصيب بمرض العشا فساء بصره واسودَّ .

٣ - رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، ورواه الترمذي وابن ماجة عنه بلفظ آخر : **(وإن اقتربت منه شبراً اقتربت منه ذراعاً)** .

٤ - سورة البقرة الآية (١٥٢) .

٥ - سورة التوبة الآية (٦٧) .

٦ - رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري .

وقال قدَّس الله سرَّه : (إن إزالةَ المرض القلبِّي في هذه الفرصة اليسيرة بالذِّكر الكثيرِ من أهَم المُهِمّات، وعلاجُ العلة المعنوية في هذه المُهلَة القليلة من أعظم المقاصد، والقلبُ المبتلى بالغير لا يُرجى منه خيرٌ، لا يقبلون هناك إلا سلامةَ[1] القلب وخُلاصة الروح، ونحن هنا دائماً في تحصيل أسباب ابتلائهما، هيهات هيهات ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[2].

وقال قدَّس الله سرَّه : (ورد في الحديث الشريف : (**العلماء ورثة الأنبياء**)[3]، فالعلم الذي بقي عن الأنبياء نوعان : علمُ الأحكام وعلمُ الأسرار...

والوارث الذي يكون له من كلا النوعين نصيبٌ، والذي يكون له نصيبٌ من نوعٍ واحدٍ فليس بوارثٍ، إذِ الوارثُ له نصيبٌ من جميع الأنواع تَرِكَة المورِّث لا من بعضٍ دون بعضٍ، والذي له نصيب من نوعٍ واحدٍ داخلٌ في الغرماء[4] الذين تعلَّق نصيبُهم بجنس حقِّهم.

إنّ الوارث بواسطة القرب والجنسية يقال أنه مثلُ المورِّث، بخلاف الغَريمِ فإنه خالٍ عن هذه العلاقة، فالذي لا يكون وارثاً لا يكون عالماً إلا أن نَخُصَّ علمَه بنوعٍ واحدٍ فنقول : عالِم بعلمِ الأحكام.

---

١ - يقول الله تعالى : ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [سورة الشعراء الآية ٨٩].

٢ - سورة النحل الآية ٣٣ .

٣ - رواه ابن النجار عن أنس .

٤ - الغريم هو المدين الذي له حق معلوم من مدينه .

والعالم المطلق هو الذي يكون وارثاً، ويكون له من كلا نوعي العلم نصيبٌ وافرٌ، وأكثر الناس يظنّون أن عِلم الأسرار عبارةٌ عن علم توحيد الوجود، وشهود الوَحدة في الكَثرة، ومشاهدةُ الكَثْرة في الوَحدة، وكنايةٌ عن معارف الإحاطة، وسرَيان الوجود والقربِ، ومَعيتُه تعالى على النهج المكشوف والمشهود لأربابِ الأحوال، حاشا وكلا أن تكونَ هذه العلومُ والمعارفُ من علم الأسرار وتليقَ بمرتبة النبوة، فإن مبْنى هذه المعارف سُكْرُ الوقتِ[1] وغَلَبَةُ الحال المنافي لحضور علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، سواءً كان علمَ الأحكام أم علمَ الأسرار، فكلُّه صَحوٌ في صَحوٍ، ما مازجَهُ شمَّةٌ من السُّكر، بل إنما هذه المعارفُ من أسرار ولاية الذين لهم قدمٌ راسخةٌ في السكر، لا من أسرار النُبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإن كان لهم أيضاً ولايةٌ ولكنّ أحكامها مغلوبةٌ ومضمحلّةٌ في جنْب أحكام النبوة) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (اعلمْ أنَّ كلَّ مسألةٍ يكون فيها خلافٌ بين العلماء والصوفيّة إذا تأمَّلْتَ ودقّقتَ النظر تجدُ الحقَّ مع العلماء، وسرُّ ذلك أن نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نافذٌ إلى كمالات النّبوَّة وعلومها، ونظرُ الصوفيّةِ مقصورٌ على كمالات الوِلاية ومعارفها، فتكون العلوم المأخوذةُ عن مشكاة النبوة أصوبَ قَطعاً من العلوم المأخوذة عن رُتبة الوِلاية) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (أيها الأخ.. رأسُ هذه الطريقة العليّة، ورئيس هذه السلسلة السَّنِيَّة الصِّدِّيقُ الأكبرُ الذي هو بعد النبين أفضلُ البشر رضي الله عنه،

---

[1] - يقصد به الغَيبة في الوقت .

وبهذا الاعتبار قال أكابر هذه الطريقِ : إن نِسبتَنا فوقَ جميع النِّسب، إذ نسبتُهم عبارةٌ عن الحضور الخاص، ونِسبتُهم وحضورُهم نسبةُ الصِّدِّيق وحضورُه الذي هو فوق جميع النِّسب والحُضورات) .

وقال قدَّس الله سرَّه في بيان الفَرقِ بين قُربِ الصحابةِ والأولياء ومَنشأِ كلٍّ منهما : (اعلموا أن القُرْبَ المنوطَ بالفناء والبقاء والسلوك والجذْبة هو قرب الولاية الذي تشرَّف به أولياء هذه الأمّة، والقربُ الذي تيسَّر للصحابة الكرام في صحبته عليه الصلاة والسلام قربُ النبوة الذي حصل لهم بالتبَعِيَّة[1] والوِراثة..

.... وليس في هذا القرب فناءٌ ولا بقاءٌ ولا جذبةٌ ولا سلوكٌ، وهذا أعلى وأفضل من قربِ الولاية بمراتبَ، فإنّ هذا القربَ قربُ أصلٍ، وذلك قرب ظلٍّ، وشتّان بينهما، ولكن لا يَصِلُ فَهمُ كل أحدٍ إلى ذوق هذه المعرفة، ربما شارك الخواصُّ العوامَّ في فهمها، نَعم إن وقع السير والعروج إلى ذِروة كمالات قرب النبوّة من طريق قُرب الولاية فلا بدّ من الفناء والبقاء والجذْبة والسلوك، فإنّ هذه مقدماتُ ذلك القرب ومَباديه، وإلا إنْ وقعَ مِن جادّة قُرْب النبوة فلا يُحتاج فيها إلى المقدّمات المذكورة، والصحابةُ الكرام ساروا من جادّة قرب النبوة الذي لا تعلُّقَ له بتلك المقدمات .

---

١ - أي الاقتداء والتأسي .

وقال قدس الله سره : (اعلمْ أن الشـريعة والحقيقـة متّحـدان في الحقيقـة، لا لاتغـايُرَ بينهمـا ولا فـرقَ إلا بالإجمـالِ والتّفصيـلِ، فالشـريعةُ إجمـالٌ والحقيقــةُ تفصيلٌ، وبالاستدلالِ والكشف، فالشريعة استدلالٌ والشريعة كشفٌ، وبالغيب والشهادة، فالشريعة غيبٌ والحقيقة شهادةٌ، وبالتعَمُّلِ وعدمِـه، فالشـريعة تعَمُّلٌ وتكلّف"[1]، والحقيقة لا تعمُّلَ ولا تكلّفَ، فالأحكامُ والعلوم التي تَثبّتتْ وتبيَّنتْ بموجبِ الشريعة الغراء هي التي تَبيِّن بعينها بعد التحقّق بحقيقة اليقين، وتنكشفُ بالتفصيل، وتَظهرُ من الغيب إلى الشهادة، ويَرتفع تَمحُّـل[2] العمـل مـن البَيـن، وعلامةُ الوصول إلى حقيقة حقِّ اليقين مطابقـةُ علومـه ومعارفـه لعلـوم الشريعة ومعارفها، وما دامت المخالفة موجودةً ولو بأدنى شَعرةٍ فذلك دليـلٌ علـى عـدمِ الوُصول، وكلُّ خلافٍ وقَع من كافّة مشايخ الطُّرقِ للشريعة فهـو مبنيٌّ على سُكْرِ الوقت، وهولا يكونُ إلا في أثناء الطريق، والمُنتهون إلى نهاية النّهاية كلُّهم في الصَّحو، والوقت مغلوبٌ لهم، والحالُ والمقامُ تابعٌ لكمالهم، فتحقّقْ أنّ مخالفةَ الشريعة علامـةٌ علـى عـدم الوصـول إلى الحقيقـة، ومـا وقـع في عبـاراتِ بعض المشايخ من أنّ الشريعة قِشرٌ والحقيقةَ لُبٌّ، فهذا الكلام وإن كان مُشـعراً بعـدم استقامة قائلـه، ولكـن يمكـن أن يكـون مـرادُه أن المُجمـل بالنّسبة إلى المفصّل حكمُه حكـمُ القِشـر بالنسـبة إلى اللُّب، وأنّ الاسـتدلالَ بالنسبة إلى الكشـف كالقشـر بالنسـبة إلى اللـب،وأمـا الأكـابرُ أولـو الأحـوال المسـتقيمةِ فـإنهم لا يُجَوِّزون الإتْيان بمثلِ هذه العبارات الموهِمة، ولا يفرِّقون بينهما إلا بما ذكَرنا .

---

١ - أي يسعى المرء فيها إلى مجاهدة النفس ليؤدي العبادة بجهد وتكلـف راغبـاً في الثـواب وإسـقاط الفريضـة دونما استشعارٍ بالقرب والخشوع .

٢ - التمحل هو التكلف والاحتيال في طلب الشيء .

سئل الشيخ النقشبند قدَّس الله سرَّه ما المقصود من السَّير والسُّلوك ؟ فقال: (أن تصيرَ المعرفةُ الإجماليَّة تفصيليّـةً، والاستدلاليُّ كشفيّاً)، رزقنا الله سبحانه الثبات والاستقامة على الشريعة عِلماً وعملاً .

وتآليفُه الحافلةُ كافلةٌ لنشرِ عـوارفِ معارفـه والبرهنـةِ على عظَمـة مواهـب مشاربه، أجلُّها (مكتوباتُه القدسيّة)، وهي تحتوي على مجلّديـن ضخمَين باللغـة الفارسية، وتقدَّمت الإشارة إليها، (والرسالة التهليليّة)، (ورسالة إثبات النبـوّة)، (ورسالة المبدأ والمَعاد)، (والمكاشفاتُ الغيبيّـة)، (وآداب المريديـن)، (والمعـارفُ اللّدُنيَّة)، بيَّن فيها أحوالَـه ومقاماتِـه الخاصـة، (ورسـالةٌ في الـردِّ على الشّيَعة)، (وتعليقاتٌ على عوارف المعارف)، (وشرحُ الرباعيّـات لعبـد البـاقي) وغيرهـا، فمن له لوعةٌ على عِزّة المطلوب فليرجع إليهـا، فإنـه يجد فيهـا مـا تسـجد لـه القلوب .

توفي رضي الله عنه سابعَ عشرَ صفرِ الخير، سنةَ أربعٍ وثلاثـين وألـفٍ وسنُّه ثلاثٌ وستون، ودفن في مدينة سهرند.

وله خلفاءُ كثيرون كاملون، وأكمل من سرى إليه سرُّ هذه النسبة المحمدية سيدنا الشيخ محمدٌ المعصوم قدَّس الله سرَّه .



سيدنا الشيخ محمد المعصوم قدّس سرّه

هو العروة الوثقى، والقدوة الأتقى، الجامع بين الشريعة والحقيقـة، والفارِق بين الضلالة والهداية، والمرشدُ الوارث بالفرضِ والرَّدِّ، مجدِّد المجدَّد .

ولد قدَّس الله سرَّه سنة سبعٍ وألفٍ، وارتضع ثدي العِرفان من والـده المرفَّع الشّان حتى تضلّع من علوم الخواصِّ وخواصِّ العلـوم، مـا أوجـب نفعُـه عمومَ الإخلاص وإخلاصَ العموم، ثم جلس من بعد المجدِّد قـدَّس الله سرَّه في دَسْـت الإرشاد وإمداد العباد، وكان سنُه حالتئذٍ ستّاً وعشرين سنةً، فطار صِيتُ فضلـه كل مَطارٍ، وانهلّت بركاته على الأقطار كالأمطار، فحَجَّـتِ الأرواح إلى حـرَم قُدْسِه الأحمـى، ولبَّـت الألبـابُ دعـوة توجُّهـهِ الأسمى، ووقَفـت النّفـوس على عرفاتِ عِرفانه آمنةً بالإحرام عن السّوى من حِرمانه، وحلّت برمي جمـرة عقَبةِ الأغيار في مُنى إحسانهِ مستفيضةً بطواف كعبته من فَيض امْتنانه .

كان الشيخ رضي الله عنه ولياً منذ الولادة، فإنه لم يَقبل الثّدي في رمضـان، وتكلم بالتوحيد وهو ابن ثلاث سنينَ، فصار يقول أنا الأرض، أنا السـماء، أنـا كذا أنا كذا، هذا الجدار حتـى هـذه الأشـجارُ حـقٌّ، وحفِـظ القـرآنَ في ثلاثـة

أشهرٍ، واشتغل بتحصيل العلم والطريق فبلَغ فيها درجاتِ الكمالِ وسِنُه سبعةَ عشر سنةً، فتصدّر للإرشاد والإفادة مع كمال الاستقامة ونهاية الورع والتقوى، والتمسكِ بالسنّة المطهَّرة، والأخذِ بناصية العزيمة، واجتنابِ سُبل البِدع ووجود الرُّخَص، وشَهد له والده رضي الله عنهما في صِغره بعلوِّ الاستعداد، وقال : (كان قُدومُ محمدِ المعصوم كثيرُ البركة، فإني تشرَّفت بعد ولادته بخدمة شيخي[1]، فنِلتُ هذه العلومَ والمعارفَ، وإنه من المحبوبين ومستعدٌّ للوِلاية المحمدية) .

وقال يوماً لوالده قدَّس الله سرَّهما : (إني أرى نفسي نوراً سارياً في كلِّ ذرّةٍ من ذرّات العالَم، والعالم يَتنوَّر به كالشمسِ)، فقال : (يا ولدي أنت تَصير قُطبَ وقتِك فاحفظْ ذلك عني)، وقال رضي الله عنه : (أجِدُ نفسي وهذا الولدَ من زُمرة السّابقين الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ثُلَّةٌ من الأولين وقليلٌ من الآخِرين﴾[2]، وقال رضي الله عنه : (إنّ خِلعةَ القيّوميّة[3] التي كانت عليَّ لقد أُفرغَتْ على محمدِ المعصوم)، وقال له : (يا ولدي إن علاقتي وارتباطي بهذا الجمْعِ - يعني به العالَمَ - كان بسبب القيوميّة وقد أُعطِيتَها، فتُوَجَّهُ إليك المكوِّنات بالشّوق التامِّ، وقرُبت رحلتي) .

---

١ - يعني الشيخ محمد الباقي قدّس سره .

٢ - سورة الواقعة الآية (١٣-١٤) .

٣ - القيوم قد يقصد به ما هو مرادف للإنسان الكامل أو قد يقصد به القطب، لأن والده قد بشره وقال له : (أنت تضير قطب وقتك)، وقد زاد في تفصيل معنى القيومية الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي في فتوحاته المكية /ج٢/ .

وقال قدَّس الله سرَّه : (القيّومُ في هذا العالم خليفةُ الله تعالى ونائبٌ منابَه، والأقطاب والأوتاد والأبدال والأفراد مُندرجون تحت ظلالهِ، وأفرادُ العالم كلُّها متوجّةٌ إليه، وهو قِبلة توجُّهِهم .

وقال قدَّس الله سرَّه : (ينبغي أن يُعلَمَ أن الأقدامَ في فَناءِ النفس متفاوتةٌ تفاوتاً كلّيّاً، وقلّما يوجد صاحبُ دولةٍ يصل إلى حقيقة ذلك، وإن كان أكثرُ أهل السلوك يتوهَّمون ويتعلّقون هذا المعنى ويغوصون في بحارهِ عند المراقبة، فيستخرجون منها دُرراً، ويَستكثِرون عند غَلَبة الشوق والمحبة قليلَ التّخلُّص والنجاة الحاصلَ لهم، وذلك بطريق اندراج النهاية في البداية وبانعكاسِ أشعَّة أنوارِ الشيخ الكامل) .

وسئل قدَّس الله سرَّه : هل يتعرَّض الشيطانُ لسالكي هذا الطريق أولاً ؟ فقال: (قال الشيخ عبد الخالق الغجدواني رضي الله عنه : إن لم يَصلِ السالكُ إلى حدِّ فَناء النفس، يجد الشيطان إليه سبيلاً عند الغضب، وأما السالكُ الواصل إلى فناء النفسِ فلا يكون له غضبٌ بل غِيرةٌ، وعند الغِيرة يفِرُّ الشيطان) .

وقال رضي الله عنه في الولاية الصغرى : (لِيُعلم أن العُمدة في حصول كمالات الولاية الصغرى المراقبةُ والأذكار القلبيَّةُ من ذكر اسم الذّاتِ والنفي والإثبات) .

وقال رضي الله عنه : (فناءُ النفس على وجه الكمال يتضمّن فناءَ الروح والسرّ والخفيّ والأخفى، لأن النفس رأسُ هذه اللطائف سواءاً قبل الفناء أو بعدَه، قال ﷺ :.(**خِيارُكم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام إذا فَقِهوا**)[1] .

وقال رضي الله عنه في كمالات النبوة : (المرتبة الرابعة إفرادُ الذات تعالتْ وتقدّست عن الأسماء والصفات، لأن محبّة الذات لا تَرضى بشِرْكةِ الصّفات، وإن لم يُتصوَّرُ انفكاكُ الصفات عن الذات ولا عكسُه أبداً، لكن بمقتضى قول النبي ﷺ : (**المرءُ مع من أحب**)[2] للمحب مع الذات معيَّتُه بحيث لا يلاحِظ الصفاتِ ثَمّةَ أصلاً، فانفِكاك الذّات عن الصفات إنما هو في الشُّهود والمحبة المثمِرة للمعيَّة المذكورة، لا في الخارجِ ونفْسِ الأمر، وهذا الكمال ناشىءٌ من كمالات النبوة، وحصولُه بالأصالة للأنبياء عليهم السلام وبالتبعيّة والوراثة للخواصّ من أتباعهم، ولا يَلزَم من حصول كمالات النبوة لبعض الأفراد مِن الأمة بالتبعيّة والوِراثة أن يكون ذلك البعضُ نبياً أو مُساوياً للنبيّ، لأنَّ حصول كمالات النبوة غيرُ حصول مَنصِب النبوّة، كما حقّقَهُ شيخُنا المجدِّد[3] رضي الله عنه) .

وقال رضي الله عنه : (الشهود والمشاهدة حيث يوجد الظّلُّ والادراكُ، والوصلُ من معاملات الأصلِ، فإذا ترقّى من الظّلال وبقي الأصلُ كالظلّ في الطريق، واتّصلْتَ بالغيب المغيَّب، فحينئذٍ تكون المعاملات السابقةُ هباءاً منثوراً،

---

١ - رواه البخاري عن أبي هريرة .

٢ - تعود هذه المعية إلى الاتصاف والتخلق والتأسي بعد أن صارت كَلَفاً لا تكلُّفاً، والحديث رواه الطبراني عن علي ورواه أحمد والبيهقي عن أنس ورواه البيهقي من طريق آخر عن ابن مسعود .

٣ - هو الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي رضي الله عنه .

فيتبدل الإيمان الشُهوديّ بالإيمان الغيبيّ، وينقلب ما كان من اللّذة والحلاوة والذّوق والشّوق إلى المرارةِ والألِم والحُزن، فقد كان ﷺ متواصلَ الأحزان، دائمَ الفكْر، ولذةُ هؤلاء الأكابر مقيدةٌ بالطاعات، مقصورةٌ على العبودية والعبادات، فإنْ كان غيرُهم متلذّذاً بالشهود، مغروراً بخيال الوصال، فأولئك الأكابر قد غضُّوا أبصارهم عن الشهود وتصوروا أنّ هذا الوصال خيالٌ، واطمأنوا بالغيب الذي له على الشهود آلافٌ من المزيّة، وشَدُّوا حِزام الهمّة للعبودية، فيرون إدراك تكبيرةِ الإحرام مع الإمام أحسنَ من التّجليات وأوقعَ من الظُّهورات والخُشوعِ، والنظرَ إلى محل السُّجود ألذّ من المشاهدة والشهود، ثم يأتي بعد ذلك مقامٌ ليس للعمل فيه نتيجةٌ، ولا للاعتقاد فيه أثرٌ، فالترقّي هناك بمجرد الفضل والإحسان).

ثم قال : (وهذا المقام بالأصالة مخصوصٌ بالأنبياء من أولي العزم، وللأفراد من أُممِهم نصيبٌ من ذلك، ثمْ فوق هذا كمالٌ يُترقّى فيه من التفضل إلى المحبة، فالترقي في حصول هذا الكمال منوط بالمحبّة المحضَة، وفي المحبة كمالاتُ المحبةِ والمحبوبيةِ، فظهورُ كمالات المحبة الذاتية بالأصالة مخصوصٌ بالكليم عليه السلام، وظهورُ كمالاتِ المحبوبية مخصوصٌ بالحبيب الأعظم ﷺ، ولغيرهما تطفلٌ رجاءً في هذين الكمالين) .

وهذه ذرةٌ من سعةِ أذواقه وأخلاقه، وشذْرةٌ من معادن أقواله وأحواله، وضعتُها نموذجاً لبيان علوّ قدْره، وبرهاناً لإثبات عظمةِ شأنه وفخامةِ أمره، وإلا فالفكرُ أحصرُ مِن أن يحيطَ بفضائله، واللسانُ أقصرُ من أن يمتدّ إلى عدّ شمائله .

* * * *

وله كراماتٌ، منها أن الشيخ محمد صدّيق المشارَ إليه وقع في البحر ولم يكنْ يعرف السباحة، فكاد أن يغرقَ، فناداه مستغيثاً به فحضَر وأخذ بيده وأنقذهُ من الغرق؛ ومنها أنه رضي الله عنه كان جالساً يوماً مع أصحابه في رِباطه إذ ابتلّت يده الشريفة وكمُّه إلى إبطه، فعجبوا من ذلك وسألوه عنه، فقال رضي الله عنه: (استغاث بي رجل من المريدين تاجرٌ كان راكباً في السفينة وقد كادت أن تغرق فخلّصتها من الغرق فابتلَّ لذلك كُمّي ويدي، فوصل هذا التاجر بعد مدةٍ وحدّث بهذا الأمر كما أخبر الشيخ رضي الله عنه، ومنها أنه ظهر في زمانه ساحرٌ مجوسيٌّ يوقِد النار ويدخلُها هو ومن يُطيعه فلا تحرقُهم، فافتتَن الناس به فتنةً عظيمةً، فأمر حضرة الشيخ رضي الله عنه بإيقاد نارٍ عظيمةٍ، وأمر أحد مريديه فدخَلها واشتغل بالذكر، فصارت عليه برداً وسلاماً فبُهِتَ الذي كفر .

ومنها ما ذكره الشيخ عبد الرحمن التّرمذي أحدُ أصحابه، قال : (جئت مع إخواني لزيارة جنابه العالي، فأعطى كل واحدٍ منهم أثَراً من لباسه تبَركاً إلا أنا، فلما انصرفت إلى وطني غلَب علي الحزن والغمُّ لحرماني من هذا الفضل الجزيل، وإذ قد شاع في البلدة خبَر قدومه رضي الله عنه إليها فخرج الناس لاستقباله، وخرجتُ معهم فرِحاً فرَحاً شديداً، فلما بارحت البلدة رأيت حضرة الشيخ راكباً على فرسٍ أبيضٍ فقال لي : (لا تحزن يا عبد الرحمن وخذ قُلنسوتي تبركاً، فلما أخذتُها غاب هو والناس عن عيني وبقيَتِ القُلنسوة في يدي .

وقال قدَّس الله سرَّه : (كُشف لي أنّ سائرَ الممكناتِ من العرش إلى الثّرى محتاجٌ إلى الحبيب ﷺ، وهو بكمال استيفائه اللازمة للمحبوبية يفيض على كل فردٍ على حِدة) .

وقال رضي الله عنه : (ولما تشرَّفت بزيارة أهل البقيع رأيت من آل البيت والأزواج والأصحاب رضي الله عنهم عنايةً خاصةً وخِلعةً مخصوصةً، وظهرتْ نسبتي ثَمَّ ظهوراً عجيباً للغاية) .

وقال قدَّس الله سرَّه : (غَلَبَ عليَّ وقتُ الوداع والحزن والبكاء، فرأيتُ سيد المرسلين ﷺ قد خرج من حُجرته المطهَّرة وخلعَ علي خِلعةً فاخرةً وتاجاً مثل تاج الملوك مكلَّلاً بأحسن الجواهر، وظَهرَ لي أن هذه خلعةٌ خاصةٌ من ألبسة ذات المُقدس لا كالخِلع السَّالفة، شرَّفني بها من كمالِ كرمِهِ ﷺ) .

وبالجملة فقد كان قدَّس الله سرَّه آيةً من آيات الله العظام، نوَّر الله به العوالم وهدى به الخلائق .

قيل أنه تلقى الطريقة العليّة النقشبندية منه تسعمائة ألفٍ، وبلغ عدد خلفائه سبعةُ آلافٍ كلهم أولياءُ عظماءُ، لأنه كان يوصل الطالب في أسبوعٍ واحدٍ إلى الفَناء، وفي شهرٍ إلى كمالات الولاية، وأوصل بعضَهم بتوجُّهٍ واحدٍ إلى جميع المقامات .

توفي قدَّس الله سرَّه تاسعَ شهر ربيعٍ الأول سنة تسعٍ وتسعين وألفٍ في سهرند .

ومن أجَلِّ خلفائه عالِمُ زمانه وبركةُ أوانه، من سرى إلى سرُّ هذه النِّسبة الباهرة سيدُنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي قدَّس الله سرَّه ....

* * * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سيدنا الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي قدّس سرُّه

هو الكريم ابنُ الكريم، محيي الطريقِ القويم، والصراطِ المستقيم بعزيمةٍ عظيمةٍ عُمَريّةٍ، وهمّةٍ أحمديّةٍ مجدّديّةٍ، الإمام الجليل، والسيف الرّباني الصّقيل .

وُلد سنة خمسٍ وخمسين وألفٍ في سهرند، وتربّى في حِجْرِ والده المعصوم، وتغذّى بألبان تلك المعارف والعلوم، حتى أربى الفرعُ على الأصلِ في الفضلِ، وتأهّل لتربية أبناء العصر، فقد استمسك بالعروة الوثقى، ورقَى على معراجها الأرقى، وفي حياة أبيه النّبيه جلس على عرش الهداية وتربّع، واقتفى أثره الصالح وتتبّع، فشاد أركانَ الإرشاد، وألقى إليه العبادُ مقاليدَ الانقياد، فأصبحتْ أعتابُ بابه محطَّ رحال الوافدين، وموارِدُ إرشاده سائغةً للواردين .

وقدم بأمر والده العزيز، بل بأمر الله تعالى، إلى مدينة دهلي لترويج الشريعة الغراء، ونشر أنوار الطريقة الزهراء، فتَلمِذَ له السلطان محمد عالمكير بإرادةٍ صادقةٍ واعتقادٍ صحيحٍ، وانتظم الوزراءُ والأمراء العظامُ في سِلك خَدَمه، وطفِق يُحيي السنّةَ المطهّرة، ويؤيّد الشريعة المقرّرة، ويَنصرُ أعلام الإسلام، ويمحو آثار الظلم والعدوان، وببركة صحبته وفق الله تعالى السلطان المشار إليه إلى تنفيذ ما دأب الشيخ عليه من صَون المحارم، ودفع الظالم عن المَظالم، وصلُح حاله كلَّ الصلاح، فحفِظ الكتاب المجيدَ في سنِّ الشيخوخة، ولازمَ إحياء الليالي والاشتغالَ بالطريقة العليّة، فغلَبتْ عليه نسبةُ لطيفةِ[1] الأخفى،[2] واطّلع على

---

١ - اللطيفة هي الإشارة الدقيقة التي تحمل معنىً لا تسعه العبارة .

أن مبدأ تعينه صفة العلم، فكتب الشيخ إلى والده العزيز أحوالَ السلطان، ففرح بذلك فرَحاً عظيماً، وصدَّق بنظره الكشفي على ذلك وسلَّمه .

وكان قدَّس الله سرَّه يبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغةً عظيمةً، بحيث ما نُقل عن أحد من المشايخ الغابرة مثلُها حتى لقَّبه والده رضي الله عنه بمحتسِب الأمة، فإنه كان لا يَسمع بمنكرٍ في الهند كلِّها إلا أزاله، وما صبرَ لحظةً واحدةً عليه، فعظُم جاهُه، وفَخُل أمرُه، وكبُر شأنُه، وشرُف قدرُه، وبلغ من سُمُوِّ مقامه أن السلاطين والأمراء كانوا لا يجلسون في مجلسه بل يقفون بين يديه بالأدبِ التامّ .

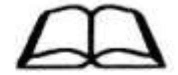
وله كراماتٌ وافرةٌ وخوارقُ باهرةٌ، منها أن رجلاً من الواقفين لديه خطَر بباله أن الشيخ متكبِّرٌ فالتفت إليه وقد كوشف بخاطره فقال له : (تكبُّري من كبرياء الحق تعالى)، ومنها أنه أنكر عليه ذلك منكِرٌ آخر، فرأى في منامه أن جماعةَ العيس أخذوه وجعلوا يضربونَه ضرْباً أليماً ويقولون له : أنت تُنكِرُ على حضرة الشيخ وهو محبوبُ الحقّ سبحانه !، فاستيقَظ من شدّة الضَّربِ وتاب وانْغمَر في جماعة الشيخ .

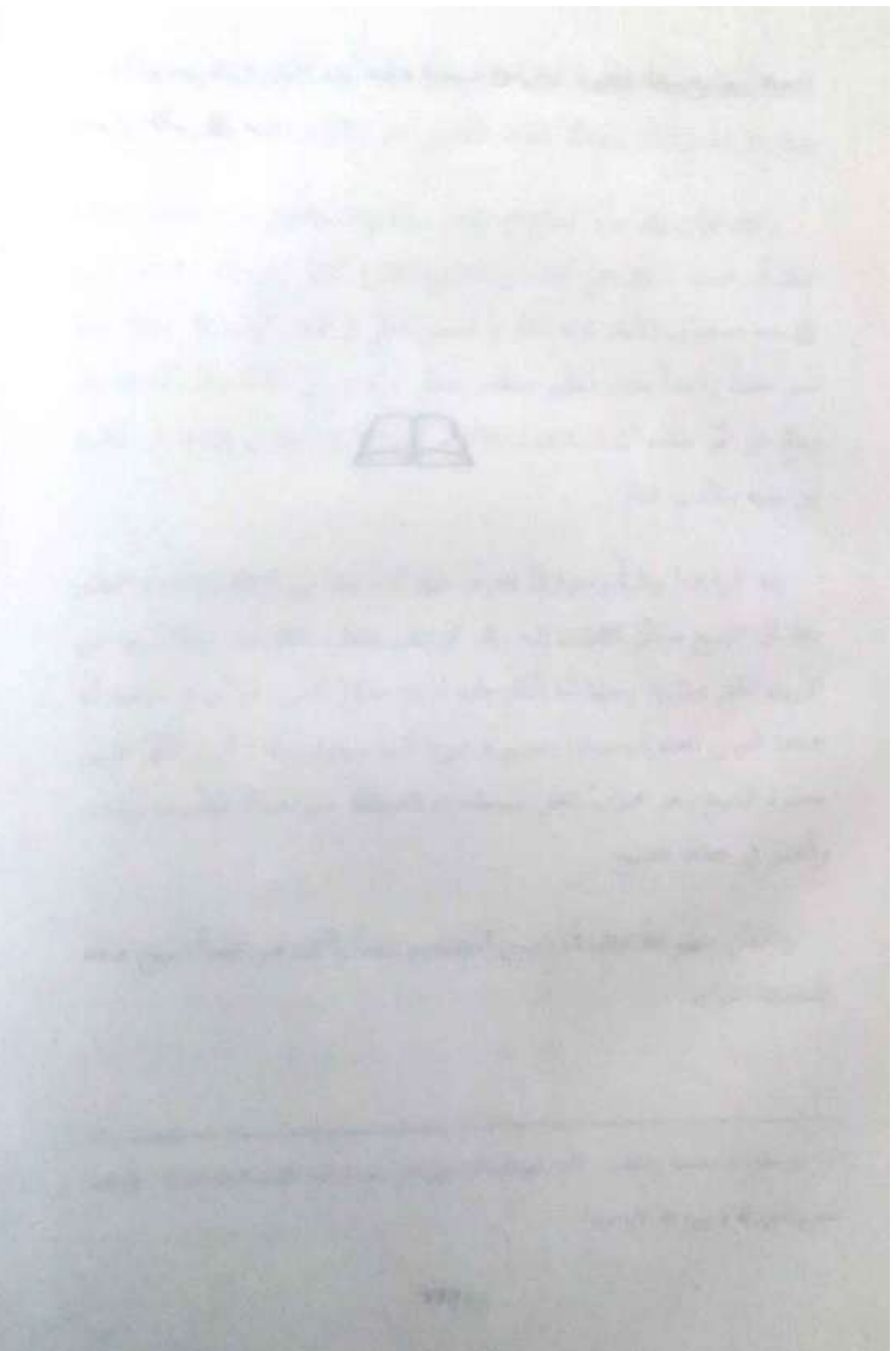
وتكمَّل منهم فئةٌ عظيمةٌ، ومن أعظمِهم نفعاً وأكثرِهم جمعاً شيخ هذه السلسلة الغرّاء.

---

٢ - من مقامات الجمعية والحضور، يكون فيها السالك على قدرٍ من المراقبة عظيم لقوله تعالى : ﴿يعلم السر وأخفى﴾ [سورة طه الآية ٧].

وأكبر من سرى إليه سرُّ هذه النِّسبة العلياء، سيدنا الشيخ نور محمد البدواني قدَّس الله سره....





سيدنا الشيخ نور محمد البدواني قدّس سرُّه

وهو سيدٌ مَلأَ الملأَ الأعلى نوراً وذكراً حميداً مأثوراً، والعالَم الأدنى عملاً مبروراً وسعياً مشكوراً، حيث أفرغَ على السرائرِ الحائرة سروراً، والقلوبِ الغافلة حضوراً، فأصبح مَظهر كل فضيلةٍ جليلةٍ ووسيلةٍ إلى الله تعالى، ونِعم الوسيلةُ، تحِنّ أرواح السالكين لتوجُّهِهِ الأقدس، وتحنو إلى استنشاق نفَسِهِ الرحماني الأنْفَس، أظهر الله الشريعة والحقيقة في أيامه ظهورَ البدر ليلةَ تمامه، فكم أحيا من سُنّةٍ دَرستْ، وقطعَ من بدعةٍ غُرستْ .

وتربّى في مهد أشرف مهديّ، سيّدِنا السيف الصقيل الهنديّ[1]، ناهلاً من ناهل فيضه النقشبنديّ، فشبَّ على ما تربى، ونال ببركته أعلى المقامات قُرْباً، وافتخر به فريقُ الطريق شرقاً وغرباً، فانظرْ كيف سلّم نفسه للسيف لِيَنالَ شهادة السعادة، وسعادة الشهادة، ويحيا الحياةَ الأبديّة .

جلس من بعد سيده خير مؤيد لطريق إرشاده ومرشده، وجدد ذكره الجميل وخلده، ولا غرو فهو نور محمد ﷺ .

هُمامٌ إذا ما فارقَ الغمدَ سيفُه   وعايَنْتَهُ لم تدْرِ أيُّهما النّصلُ

---

١ – يعني الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي قدس سره .

وإذا كان فرع الشجرة النبويّة الزاهرة، وطرازُ عصابة آل البيت الطاهرة، فلا عَجَبَ أن أمسى بابُه قبلةً للأولياء وأعتابهُ رحلةً للأتقياء، وأنظارُه جَلاء قلوب الراغبين، ووجوده مَظهر تجلّيات حضرة الغنّي عن العالمين .

وكان قدّس الله سرَّه كاملَ الورع والتقوى، مُلازِماً لمطالعة كتبِ السِّيَر والشمائل والأخلاق النّبوية، متأسّياً بها.. أدخل مرةً رجله اليمنى إلى بيت الخلاء قبل اليسرى فانقبضَ ثلاثة أيامٍ من مخالفته للسُّنة، فجعل يتضرَّع ويلتجيء إلى الله تعالى حتى بُدِّل قبْضُه بَسْطاً، وكان يحتاطُ أشدّ الاحتياط في أكل الحلال، حتى أنه كان يَخبزُ بيده الشريفة أقراصاً ويأكل عند شدة الجوع منها كسراتٍ، ويشتغل بالمراقبة، فإذا فرغَتْ خبزَ غيرها وعاد للمراقبة، ولكثرة مراقبته، تقوَّس ظهرُه .

وكان يقول : (منذ ثلاثين سنةً لم يخطرْ ببالي شيءٌ من أمرِ الأغذية، بل الحاجةُ ما تيسَّر، وكان لا يتناول من طعام الأغنياء، ويقول إنه لا يخلو من ظُلْمةٍ، وكان إذا استعار كتاباً من غنيٍّ لا يطالع فيه إلا بعد ثلاثةِ أيامٍ ويقول : (إنَّ ظُلْمة الأغنياء قد تلبَّسَت بغلافِهِ ودفّتِه) .

ورد عنه كلماتٌ قدسيَّةٌ تثبِت جلالةَ رُتْبتِه العليَّة، وظَهر على يديه المباركة كراماتٌ جلَّت في بابها عن المشاركة، منها ما نُقِلَ عن أجلِّ أصحابه سيدِنا حبيبِ الله المظهر قدّس سرُّه أنه كان إذا ذَكَره يبكي ويقول لأصحابه : (يا حسرةً عليكم أنتم ما رأيتم حضرة السيد قدّس الله سرَّه، لو أدركتموه لجدَّدتم إيمانكم بكمال قدرة الله تعالى حيث خَلَق مثل هذا العزيز)، وكان يقول عنه

أيضاً : (إنَّ كشْفَ حضرة السيد كان على غايةٍ من الصحة، يدرِك بالبصيرة ما لا يدرِكه غيره بالبَصر، فإنه وقع بصري في الطريق على امرأةٍ أجنبيّة، فلمّا وقفتُ بين يديه قال : (إني أجدُ منك ظُلْمة الزّنا)؛ ولقيتُ شارب خمرٍ يوماً فلما جئته قال : (إني أجد منك رائِحةَ الخمْر) .

توفي قدّس سرُّه سنة خمسٍ وثلاثين ومائةٍ ألفٍ، وقد تكمَّل عنده فئةٌ عظيمةٌ هُمْ من كيد النفس وقيد الهوى أُتم تميمةٍ، من أكملهم شيخ هذه السلسلة المبجَّلة، وأول من سرى إليه سرُّ هذه النِّسبة المفضَّلة الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان المَظهر قدَّس الله سرَّه ....



[illegible]

الشيخ شمس الدين جان جانان المظهر قدّس سرُّه

كان شمسَ السعادة الأبدية، وحبيبَ الله جل جلاله، ونجيبَه، روحَ أرواح أهل اليقين، وروحَ أرواح الذائقين، وكعبةَ آمال المقرَّبين، وعلَماً من أعلام النبوَّة، إذ أظهر في إعلاء الدين المحمديّ، وإحياء الطريق النقشبنديّ المجدّديّ، غايةَ العناية والقوة، فأعلى الله أعلامه، وشرَّف في الدارين مقامه .

وُلد قدَّس الله سرَّه عام ثلاثة عشر ومائةٍ وألفٍ، فهبَّتْ عليه نسائمُ جذْبةٍ من جذْبات الحق، وصَلَتْهُ بمراحم صفوةِ أشرف الخَلق السند المؤيد السيد نور محمد، ففتح عيون صيرته ببركة أنوار سريرَتِهِ، وسقاه من سرِّ العُلوم المكتوم كأسَ الرحيق المختوم .

كان قدَّس الله سرَّه، منذ ولد، تتلألأ أنوار الهداية وآثار النَّجابة في ناصيَتِهِ، فاعتنى والده بتربيته، وبالغ في تعليمِهِ فنونَ العلوم وعلومَ الفنون، فما بلغ في السنِّ ثماني عشرة سنةً إلا وفاق وبرِع في كل فنٍّ، فجذَبه الحق تعالى إلى خِدمة حضرة السيد نور محمد قدَّس الله سرَّه، فتلقَّى عنه الطريقة العليَّة النقشبندية، فلازم خدمتَه مع كمالِ الصدق والاشتغالِ بالرياضيات الشاقَّة والخلوة في

الصحارى والبراري، والاقتصارِ على التغـذي بورق الأشـجار، والاكتفاء من اللباس على ساتر العورة مدّة أربع سنين .

ونظر يوماً في المرآة فرأى صورة شيخه بَـدَلَ صورتـه، ثـم لما تـوفي حضـرة السيد قدّس الله سرّه جعل يَختلف إلى قبره الأنورِ، ويستفيد منه ويستفيضُ مدّة سنتين، ثم أذن له بالروحانية أن يرجع إلى مرشدٍ حيّ .

وصحب شيخ الشيوخ حضرة الشيخ محمد عابد السـنامي الصدّيقـي، أجلّ خلفاء الشيخ عبد الأحد المومي إليـه قـدّس سرُّه، وأتمّ السـلوك الأحمـديّ على يده، وهذا العزيز تتصل سلسلته بسيدنا الشيخ محمد سعيد خازن الرحمـة، أحد أنجال المجدِّد المار ذكره قدّس الله سرّه، فلذلك صار حضرةُ المَظْهرِ جامعاً لفيـض الطريقين المعصومي والسعيدي، فكان يُكتَب في سلسلة النقشبنديّة اسمُ حضـرة سـيد نـور محمـد ومشـايخِه المعصوميّـة، وفي السلاسـل الأخـرى القادريّـة والسُّهروردية والجُشتية اسمُ الشيخ محمد عابد المشار إليه ومشايخِهِ السعديّة .

وكان يقول : (حصَّلتُ الولاياتِ الثلاثةَ وكيفياتِها وعلومَهـا وإرادتَهـا مـن حضرة السيد نور محمد، ونلت الكمالات الثلاثة والحقائقَ السـبعة وغيرَهـا مـن حضرة الشيخ محمد عابد في مدة سبع سنين، ثم رقّاني سنةً كاملة من أولها إلى آخرها بالسير المُرادي، فصارتْ لي قوةٌ عجيبةٌ في حـالات كـل مقـام، وشـرَّفني بخلافةِ الطريقة القادريّة والجُشتية والسهروردية، وخصَّـني بضماناتِـه ورقّـاني مـن الولاية الإبراهميـة إلى الولايـة الخاصّـة المحمدية، فرأيـت حـالتئذٍ رسـولَ الله ﷺ تلقائي، ثم رأيتُه جالساً في محلي وأنا في مجلسه، ثـم رأيتـه في المحلّين ثـم رأيـتُ نفسي جالساً في المحلّين .

وبقي في دَسْت الهداية أكثر من ثلاثين سنةً على أتمّ حالٍ من الاستقامة على اتّباع السُّنة السَّنيَّة وإحياءِ آثار الطريقةِ الأحمديَّة والزهد والورع وعدمِ الركون إلى الدنيا وأهلها، وكان يَختار الفقر على الغنى، ويحبُّ الكفاف لنفسه ولأصحابه، ويدعو الله لهم بذلك، ولم يَقبلْ من غنيٍّ شيئاً من الدنيا، بل كان يأخذ أحياناً من خُلّص مريديه، وكان له مَحبّةٌ عظيمةٌ في المشايخ، لا سيما الإمام الربانيّ، وكثيراً ما يقول: (ما وجدتُ شيئاً إلا بمحبّة المشايخ).

وقال قدَّس الله سرَّه: (اختيار الطريقة لِغَلَبة حبِّ الله تعالى، وقد يوهَب المريد ذلك بمحضِ فضله سبحانه، وإلا فدوامُ الذكر بشرائطه فرضٌ، ولا تنفتح عين القلب إلا بكَثرة الذكر، فإنْ ورَدَ حالٌ أو استغراقٌ خلال الذكر وجبتْ المحافظة عليها، فإذا ذهبتْ يَشرَع في الذكر مع التضرُّع التامِّ ويلازم ذلك مدّةً حتى يحصلَ له دوامُ الاستغراق وهو المطلوب).

وقال قدَّس الله سره: (حاصل هذه التكلفات كلّها تهذيبُ الأخلاق على وفق مكارم أخلاقه ﷺ إذ قال: (**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[1] وقال: (العملُ بالعزيمة صعبٌ جداً لفساد المعاملاتِ وعدمِ إمكان تطبيقِها على قواعد الشريعة، فالأخذُ بظاهر الفتوى مع اجتناب البِدعة غنيمةٌ عظيمةٌ).

وله نفعنا الله به كراماتٌ عظيمةٌ، وتصرُّفاتٌ جسيمةٌ، وكُشوفاتٌ صحيحةٌ عن الأمور الكونية وأحوال أهل القبور والحقائق الإلهية مما لا يمكن حصره، وقد جمّعها سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله الدهلوي رئيسُ خلفائه العظام قدَّس الله سرَّه في كتاب مخصوصٍ رأيتُه وطالعتُه وهو باللغة الفارسية).

---

١ - رواه الحاكم عن أبي هريرة ورواه البيهقي عنه بلفظ مختلف: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**).

من كراماته العالية أنه كان له جارٌ يحبه فاحتُضر فغلَبَتْه الشفقة، فقال قدَّس الله سرَّه : (يا ربِّ لا طاقةَ لي على فِراقه فاشفهِ شفاءً عاجلاً)، فكأنما نشِط في الحال من عِقالٍ؛ وكان في جواره رجلٌ يبيع الأفيون في دكّان له، فقال يوماً لأصحابه : (قد كدّرتْ ظُلمةُ الأفيونُ صفائي)، فتبادر أصحابه إلى تلك الدكان فهدّموها بعنفٍ، فلما بلَغهُ قال : (الآن زاد تكدُّري بسبب هذا الاحتِساب، إذْ من أجْلِنا جرى هذا الأمر المخالِف للشرع، فإنه كان الأولى بحقنا أن ندعوَه برِفْقٍ للتوبة من هذا العمل، فإن أبى نَمنعُه بشدةٍ، ثم أمَرهم بإحضاره على حضرته فبَعد فحصٍ طويلٍ، أظهر له تمامَ اللطف واعتذر إليه مما فُرِّط من أصحابه، وطلب منه العفو عن تلك الجَراءة وأنعم عليه، فلما رأى الرجل منه ذلك تاب إلى الله في الحال وصار من مُخلِصي جنابه .

وقال قدَّس الله سرَّه : (زرتُ مرةً الشيخ الحافظ محمد محسن قدَّس الله سرَّه فحصلتْ لي غَيبةٌ، فرأيت جسده المبارك بحالِه وأكفانهِ كلّها صحيحةً لم يؤثّرِ الترابُ فيها إلا بطرف جهةِ أسفلِ قدميه، فسألتُه عن ذلك فقال : كنت أتيتُ بحجرٍ من غير إذن صاحبه ووضعتُه مكان الوضوء ناوياً أنه متى جاء صاحبُه أُعيده إليه، فوضعت قدميَّ عند الوضوء عليه، فأثّر التراب من شُؤم هذا العمل في قدميَّ كما ترى، قال : والحق انه بقدر ما ترقّى القدمُ في التقوى ترقّى في الولاية) .

وكان كثيراً ما يبشّر أصحابه ببشائرَ عاليةٍ، فأنكر بعضُ القاصرين ذلك، فكوشف بإنكارهم، فقال لهم : (إن لم تُصدِّقوني فاختاروا حكَما من الأولياء المتقدمين يَحضُر ويُصدِّقني، فقالوا : الحكم الأعظم هو رسول الله ﷺ، فقال :

مرحبا، فتوجَّهوا، ثم قرأ الفاتحة وراقبَ هو والمنكِرون فرأوا رسول الله ﷺ وهو يقول لهم : بشائرُ المظهر صحيحةٌ، وزجر المنكرين عليه .

وقال سيدنا الشيخ محمد أفضل قدَّس الله سرَّه : (أُعطي حضرةُ المظهر مقامَ القطبية، فهو في هذا الوقت مدارُ الطريقة العليّة) .

وقال قدَّس الله سرَّه يوماً مُظهراً لِنعم الله تعالى الموجبة للشكر عليه : (إني لم يَبقَ في قلبي أمرٌ رجوت الحصول عليه إلا وقد نِلتهُ بتفضُّلات الله تعالى شرَّفني بالإسلام الحقيقيِّ، ووهبني حظّاً وافراً من العلم والاستقامةِ على العمل الصالح، وكلُّ ما يَلزم في مشيخة الطريقة من التصرُّف والكرامات والكشف، إلا الشهادةَ الظاهريّةَ التي لها في مقام القرب الإلهي درجةٌ عاليةٌ، فإنّ أكثر مشايخي قد شربوا كأسَ الشهادة، وأنا الفقير فإني كثيرُ العَجْز والضَّعف، فلا قوّةَ لي على الجهاد، فحُصول هذه المرتبة في الظاهر متعسِّرٌ، والعجَب ممن لا يحبُّ الموت، والموتُ موجبٌ لِلقاء الله تعالى، الموتُ سببٌ لزيارة فخر العالم ﷺ، الموتُ يوصل إلى مشاهدة الأولياء، الموت يجلِب السرورَ بملاقاة الأعزّاء، فجلّى الله تعالى له عروسَ هذا الرجاء على منصّة الإجابة والإجراء، وبلّغه درجة الشهادة حتى جمع بين شهادةِ الظاهر وشهادةِ الباطن[1]، وارتقى في درجات القرب إلى أعلى علّيين، وذلك أنه بعد ما مضى قِطَعٌ[2] ليلة الأربعاء سابع عشر محرمِ سنة خمسٍ وتسعين ومائةٍ وألفٍ صفّقَ جماعةٌ على باب حضرته، فأخبره الخادم بأنّ نفراً أتَوا لزيارتكم، فأمره أن يُدخلهم فدخل ثلاثةُ أشخاص من

---

١ - وهي في اصطلاح الصوفية عبارة عن مرتبة الفناء بالله تعالى .

٢ - القِطع هو جزء من الليل .

المُغْل[1]، فقام من مَضجَعه ووقف معهم، فقال له المُغْل : أنت ميرزاجان جانان؟ قال : نعم، قال له رفيقاه أيضاً : بلـى هـو ميرزاجـان جانـان، فـأخرج خِنجَـراً وطعنه به فأصابتْ خاصرتَه قريـبَ قلبـهِ، فنظـرا لكِبَر سِنّه وعَجْزِهِ لم يتحمَّلْ ذلك، ووقع على التراب، فلما كان وقتُ الفجر أرسل له الحاكم طبيبـاً إفرنجيـاً وأمره أن يقول له إنَّ مرتكبَ هذه الجنايةِ العظيمةِ لم يُعلمْ، ومتى يُحقَّـق يجري قصاصُه، فردَّ الطبيبَ وأرسلَ إليه أنه إذا قضى الله بشفاء هـذه الجراحـة تُشفى على كل حالٍ، فلا حاجة إلى طبيبٍ آخرَ، وإنْ عُلم مرتكبُ هذا الأمر فهـو في حِلٍّ مني، واعفوا عنه أنتم أيضاً، فبقي ثلاثة أيامٍ وهو يزداد ضَعفاً حتى صـار لا يُسمع صوتُه.

ثم في صبح اليوم الثالث وهو يوم الجمعـة قـال لي : إنه قـد فـاتني إحـدى عشرة صلاةً وجسدي كلُّه مُضرَّجٌ بالدم، ولا أَقدِر أن أرفع رأسـي، وقـد قـالوا إذا عجَـز المريـض عـن أن يَرفـع رأسـه لا يُكلَّـف لأداء الصـلاة بالإيمـاء بطرْفـهِ وحاجبِه، ويجوز له تأخيرُها فماذا تعلمون في هذه المسألة؟)، فقلت له : الحكـم كما ذكرتم، فلما انتصف النَّهار رفع يديه وهو يقرأ الفاتحـة كمـا قرأهـا سـيدنا شاه نقشبند في مثل هذا الوقت، فلما كان وقت العصر قال لي : (كم بقي مـن النهار ؟) فقلت : أربعُ ساعاتٍ، فقال: إذاً المَغرب بعيدٌ، فلما كان المغـرب مـن ليلة عاشوراء تنفّس الصُّعداء مرتين أو ثلاثاً ثم لحِق بـالرفيق الأعلى، رضـي الله تعالى عنه وجزاه الله عن المسلمين خيرَ الجزاء آمين .

---

١ - أي المجوس .

وقد استخرج الأدباء لوفاته تواريخَ كثيرةً، أحسنُها تاريخان : الأول قوله تعالى : ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾[1] والثاني قوله ﷺ في حق أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم : (**عاش حميداً ومات شهيداً**)، ورأى أحدُ السّادات بعد انتقاله في منامه أنّ القرآن المجيد قد ارتفع نصفُه إلى السماء ووقع في الدّين المتين فتورٌ، قال سيدنا الشيخ عبد الله الدهلوي قدّس سرُّه : (فعبّرتُها بأنها مصدِّقةٌ لقول الشيخ قدّس سرُّه، يَتوقّفُ العروجُ إلى مقامات الطريقة بعدنا، ومهما تَرَقّى أهلُ هذا الطريق لا يصلون إلى مقام الولاية، فإنه بعدَ وفاته بستّةَ عشرَ سنةً رأيت مُريدِي خلفائهِ، وسمعتُ عن أحوال أصحاب هذه الطريقة الموجودين في البلاد البعيدةِ أنهم يحسَبون الوصول إلى أحوالِ وكيفيّاتِ الولاية القلبية غنيمةً، والوصولَ إلى أحوال المقامات العالية بعيداً جداً عن الإدراك، بل حتى يرَون الوصولَ إلى الولاية القلبيَّة متعسِّراً والله أعلم .

والحق أن وجودَه المباركَ كان آيةً من آيات الله تعالى، وعلى طَبَقِ اسمِه الكريمِ فإن جان جانان هو روح الأرواح أرشد الله ببركته الوفاء .

وتكمَّلَ منهم فئةٌ عظيمةٌ ومن أعظمهم نفعاً وأكثرهم جمعاً شيخُ هذه السلسلة الغراء، وأكبر من سرى إليه سرُّ هذه النِّسبة العلياء، سيدُنا الشيخ عبد الله الدّهلوي قدس الله سره ....

---

١ - سورة النساء الآية (٦٩) .

سيدنا الشيخ عبد الله الدهلوي قدّس سره

هو شاه العارفين، ومليك المرشدين الكاملين، مُظهِر علوم الدين، ومُظهِر سرِّ الهداية واليقين، المحقّق بمقام التّلوين في التّمْكين، شيخُ مشايخ الديار الهنديّة، ووارثُ المعارف والأسرار المجدّديّة، سَبَّاح بِحار التوحيد، سَيَّاح قِفار[1] التجريد، قطبُ الطّرائِق، وغَوثُ الخلائِق، ومعدِنُ الحقائُق، نال قدَّس الله سرَّه من العلوم الإلهيّة ما نال، ومن المقامات العليّة ما لا يخطر ببال، وذلك أن العزيزَ بعد ما بلغ سنَّ التمييز، أكبَّ على تحصيل الفضائل، والتحلّي بأحسن الشمائل، حتى صعَد بهِمَّتهِ إلى سماء علوم الرُّسوم، فتناولَ من ثُريّاها أعظمَ النجوم إلى أن أصبح في كل علمٍ إماماً، فزاد إقداماً على الترقّي في المعالي واهتماماً، فصعَّد النظر إلى قمَر المعارف، فرأى نوره مستمَداً عن شمس أستاذه العارف، فقُصِد على جانبِ العزم جَنابُه، ويَمّم الكبارُ رحابَه، فأقبلتْ به نسْمة القَبول على حَرَم مراحم الوُصول، إلى ذلك المقام المأمول، ومقامِ المرشد العظيم، فحنا عليه بقلبه السّليم، حُنوَّ المرضعات على الفَطيم، وجَعلَ يُمدُّه بمدده الرّوحاني، ويربّيه بنفيس

---

١ - جمع قفر وهو الخلاء من الأرض.

نفَسِه الرَّحْمـاني، ويرقّيـه إلى مـدارج الأخيـار، ويَقِيْـه أغْيـارَ الأغيـان، وأغيـانَ الأغيـار، حتى إذا جذَبَهُ إلى مقـام حـق اليقـين، وانتهـى بـه إلى سِـدرة مُنتهـى المقرَّبين، عاد إلى عالَم الشهادة وقد خَلعَ عليه خِلَعَ السيادة، وأصبـح مـن غَيـثِ إحسانه غوثَ زمانه، وعَهِدَ إليه بعده بإرشاد المسترشِـدين عنـده فوفّـى عهـدَه، وصدَق وعدَه، وكان خير خَلَفٍ لأشرفِ سلفٍ، قام بتـأييد الشريعة المحمديـة، وتجديد معالِمِ السُّنة السَّنِيَّة، وأداءِ حقوق الحقائق، وإحياء جميع الطرائق القادريّة والسَّـهرورْدِيّة والكُبْرَوِيّـة والجُشْـتية والنَّقشـبنديّة، رافعـاً لوائَهـا بـين الخلائـق، فأقبلتِ القلوبُ تستظلُّ بظلِّه، ولبّـتْ الألبـاب نـداء فَضْلـه، وانتهـت إليـه رتبـة الإرشاد، ورحَلتْ إليه الأبدالُ والأوتادُ، فنال ببركته كلُّ مريدٍ أقصى المراد .

وُلد قدَّس الله سرَّه عام ثمانٍ وخمسين ومائةٍ وألفٍ في قصبة بتالة[1]،وهو مـن آل البيت الكرام، وكان والدُه الشريفُ الشاه عبد اللطيـف عالمـاً عارفـاً صالحـاً زاهداً كبيرَ الشأن، قادريَّ الطريقة، تلَقّاها عـن العـارف الكبـير الفـائز بصُحبـة الخضِر عليه السلام، الشاه ناصر الدين القادري قدّس سرُّه، واشتغل بالرّياضـات الشاقّة والمجاهدات التامّة، وكثيراً ما كان يخرج إلى الصحـراء فيذكـر الله تعـالى ويتغذى بالنبات، بقِيَ مرةً أربعين يوماً لم يَكتحِلْ طرفُه بنومٍ ولم يذُقِ الطعامَ إلا قليلاً قليلاً، ومع ذلك لم يَنْوِ الصيام، مقاومةً لرُعونة نفسـه، وكـان لـه انتسـابٌ أيضاً للطريقة الجُشتية والشّعارية . ورأى في منامه قبل ولادة الشيخ قـدّس سـرُّه سيدنا علياً كرم الله وجهه، فقال له : (سمِّ وَلَدَك باسمي)، فلما وُلد سماه عليـاً ، إلا أنه لما بلغ قدَّس الله سرَّه سنَّ التمييز سمى نفسه تأدُّباً (غلام عليٍّ) .

---

١ - بلدة من ولاية بنجاب وهي من آسيا الجنوبية تتقاسمها الهند وباكستان .

وكان قدَّس الله سرَّه في الذكاء آيةً باهرةً، حفِظ القرآن المجيدَ في شهرٍ واحدٍ، وأكبَّ على تحصيل العلوم معقولِها ومنقولِها، حتى أصبحَ عالِمَ عصره، ولما كان والده في خدمة شيخه مولانا ناصر الدين قدّس سرُّه، أرسل إليه يطلبه من الوطن ليتلقّى الطريق القادريَّ عنه، ففي ليلة وصوله توفي الشيخ، فقال له والده : كنا طلبناك لتأخُذَ عنه الطريق فما قَدَّر الله ذلك، فالآن أيَّ محلٍّ تنسَّمْتَ منه عُرف الإرشاد فاقصُده، فلقيَ أكابر مشايخ الطريقة الجُشتية وقتئذٍ في دهلي، ولازم حضورَهم حتى إذا بلغ سنة اثنين وعشرين سنةً أتى من نفسه إلى خانقاه حضرة ميرزاجان جانان قدّس سرُّه، وسأله الدخول في الطريق المجدِّدي فقال له : عليك بالمحلِّ الذي فيه الذَّوقُ والشَّوقُ، وأما هذا المَحَلُّ فما فيه إلا لَحْسُ الحجَر بلا ملحٍ، فقال له : هذا أقصى مرادي، فقال له: بارك الله بك، ثم تقبَّلَه .

وكان له في القرآن الكريم ذوق عظيم، كثير التلاوة له، كثير المحبة لسماعه، ويتأثر تأثّراً بليغاً فإذا ازداد من السماع اضمحل وتلاشى له وقال: حسبي لا طاقة لي بأكثر .

وكان يحب سماع أشعار القوم والمثنوي، ويحصل له من ذلك وَجْدٌ، غير أنه كان لثباته وكمال تمكنه لا يظهر عليه وبلغ من نزاهة الطبع أنه لو دخل عليه شخصٌ يشرب التنباك يتأذّى منه ويأمره بالمجمرة فيطيِّبُ المحل، وكانت تفوح رائحةٌ زكيةٌ في مجلسه .

وقال رضي الله عنه : (الطريقة النقشبندية عبارة عن أربعة أشياء : عدم الخطرات [1] ، ودوام الحضور، والجذبات [2] ، والواردات [3] ، وقال : (ينبغي للطالب أن يميزَ كل وقتٍ ماذا يرِد عليه من العبارات كلَّ واردٍ على حدة، فيعلم أي كيفيةٍ حصلت له من الصلاة، وأي نسبةٍ ظهرت من التلاوة، وما الذي ناله من الذّوق في درس الحديث الشريف والذكر الجهري، وكذلك ماذا حصل له من الظلمة في الطعام المشبوه، وعلى هذا القياس في بقية الأغيار .

وقال رضي الله عنه : (من الطعام ما فيه رضاءٌ للنفس ومنه ما فيه أداءٌ لحقّها، فما فيه رضاؤها الغذاء النفيس الكثير، وما فيه حقُّها هو ما تقوى به على أداء الفرائض والسنة)، وقال : (الصوفي هو التارك للدنيا والآخرة وراء ظهره والمتوجه إلى الله تعالى)، وقال : (الخطرات تضرُّ في الولاية لا في كمالات النبوة، فإن عمر رضي الله عنه يقول : إني لأجهزُ الجيش وأنا في الصلاة، فلا تمنع خطرات القلب مشاهدة الشمس) .

وقال : (لا يخفى أن رسول الله ﷺ هو الجامع لجميع الكمالات .

وقال : (لما كانت الأنوار والبركات تفيض عند الدعاء تعسَّرت معرفة علامة أثر الإجابة، فقال بعضهم : إن حصل في اليدين ثِقَلٌ فهو علامةٌ على الإجابة، والذي أراه على أن انشراح الصدر هو علامة عليها)، وقال : البيعة

---

١ - الخطرة هي داعية تدعو العبد إلى ما يصرفه عن حضوره بحيث لا يتمالك دفعها .

٢ - الجذبة هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له حسب استعداده بلا كلفة ولا سعي منه .

٣ - الوارد هو كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمد من العبد .

على ثلاثة أوجهٍ : بيعةٌ لأجل التوسل إلى المشايخ الكرام، وبيعةٌ لأجل التوبة من المعاصي، وبيعةٌ لأجل كسب النسبة) .

وقال : (كل الكمالات الممكنة في الإنسان دون النبوة ظهرت في حضرة المجدد)، وقال : (الرجال على أربعة أنواعٍ : النوع الأول ليسوا برجالٍ وهم طالبو الدنيا، والثاني رجالٌ وهم طلاب الآخرة، والثالث شُبّان الرجال وهم طالبو الآخرة والمولى، والرابع أفرادٌ وهم طالبو المولى) .

وقال : (من أحب لقاءنا لبس لباسنا واختار طورنا)، وقال : (العقل النورانيُّ هو الذي يستدل على المقصود بلا وساطةٍ، والظلمانيُّ هو الذي يحتاج في طريقه إلى مصباح هداية المرشد)، وقال : (ينبغي للطالب أن لا يغفلَ لحظةً واحدةً عن ذكر مطلوبه) .

وقال : (الطريقة المجدِّدية تستمد من أربعة أبحرٍ : النسبة النّقشبندية والقادريّة والجُشتيّة والسّهروردية، لكن الأولى هي الغالبة).

وله قدَّس الله سرَّه رسائل متعددةٌ نافعةٌ جداً كشف فيها للطالبين مسائل مهمةً في الحقائق والمعارف، ومكتوباتٌ شريفةٌ مشتملةٌ على نصائح ومواعظ جمةٍ، منها أنه قال : (إن التّخلّقَ بالأخلاق الحسنة واجبٌ على كل أحدٍ، وهي : الحلم والتواضع والشفقة والنصيحة والموافقة للأصحاب والإحسان والمدارة والإيثار والخدمة والإلفة والبشاشة والكرم والمروءة، والتودّد والمودة والجود والعفو والصفح والسخاء والحياء والوفاء بالعهد، والسكينة والوقار والثناء والدعاء إلى الله تعالى دائماً، وحسن الظن وتصغير النفس واحتقار ما عندك واستعظام ما عند غيرك، وأما المقامات فأوّلها الانتباه ثم التوبة ثم الإنابة

ثم الورع ثم محاسبة النفس، ثم الإرادة ثم الزهد ثم الفقر ثم الصدق ثم الصبر، ثم الرضا ثم الإخلاص ثم التوكل، وأما الأحوال فمن ذلك المراقبة ثم القرب ثم الرجاء ثم الخوف ثم الحياء، وهو حَصْرُ القلب عن الانبساط، ثم الشوقُ ثم الأنس ثم الطمأنينة ثم اليقين ثم المشاهدة وهي آخر الأحوال، وإليها الإشارة بقوله ﷺ : (أن تَعبدَ اللهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

وكَتبَ هو في بيان أحواله قدِّس سرُّه قال : (إني بعد تحصيل علمِ الحديث والتفسير تشرَّفتُ في أعتاب حضرة الشهيد قدِّس سرُّه، فبايَعَني على الطريقة العليّة القادريّة بيَدِه المباركة، ولقَّنني الطريقةَ العليّة النقشبنديّة، فتشرَّفتُ بالحُضور إلى حِلَق الذِّكر والمراقبة عنده خمس عشرة سنةً، حتى تفضَّل على هذا الحقيرِ بالإجازة المُطْلقة في الإرشاد العامّ، وقد تردَّدتُ أول الأمر في أنه هل يَرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن أشتغلَ في الطريقة النقشبندية أو لا ، فرأيتُه في واقعةٍ[1] جلس في مكان وحضرة الشاه نقشبند في مكان تلقاءَه، فخَطَر لي حينئذٍ أن أحضُر عند شاه نقشبند، فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فاذهب فلا مضايقةَ، وكان لي جهةُ تعيُّشٍ[2]، فتركتُها فاشتدّت عُرى الفاقة عليَّ، فاعتصمتُ بالتوكل واتخذتُه سَجيّةً، ولم يكن يومئذٍ عندي غيرُ خَلَقِ حصيرٍ افترشتُها، ولَبِنةً أتوسَّدها، فبلغ بي الضّعف أقصاه، فلِفَرط ما نالني أغلقتُ بابَ حُجرتي وقلت : هذا قبري حتى يأتيَ اللهُ بالفتح أو بأمرٍ من عنده، فما لبثتُ أن فتح الله تعالى على يد من لا أعرفه، فمكثتُ في زاوية القناعة خمسين سنةً .

---

١ - الواقعة هي ما يرد على القلب من عالم الغيب بأي طريقكان كالخطاب أو المثل .
٢ - أي عملٌ أتكسّب منه .

ولما تـوفي حضـرة الشـهيد[1] قـام مَقامَـه في مُسْنَدِ تربيـة المريديـن وإرشـاد الطالبين، فأكبَّ الناس عليه وشدّوا الرِّحال إليه من أماكنَ بعيدةٍ، بعضُهم بـأمْرِ رسول الله ﷺ، كحضرة مولانا خالدٍ، والشيخِ أحمد الكـرديّ، والسـيد اسماعيل المدنيّ، وبعضُهم بإشارة السادات كالشـيخ محمـد جـان، والبعـضُ برؤيتهـم في المنام .

وكان موصوفاً بأعلى مراتبِ الأخلاقِ الحميدة، فمِـنَ السـخاء بحيـث كـان يوجَد في رباطه دائماً ما لا يَنقُص عن مـائتيْ مريـدٍ إلا قليـلاً، وكـان يقـدِّم لهـم كفايتَهم على أتمِّ وجه، ولم يدَّخرْ لغدٍ قطّ، ومن الحياءِ والتواضعِ أنه لم يضطجعْ مادّاً رجليه أبداً، ولم يَنظُـرْ وجهَـه في المـرآة، وإذا دخـل إلى داره كلـبٌ ليُطعَـم شيئاً يقول : إلهي من أنا حتى أكونَ واسطة بينك وبين أحبّائك، فأسألك بحُرمة مخلوقك هذا وكلٌ مـا قصدنـي إلا مـا رحِمتـني وقرّبتـني إليـك، ومـن التمسُّك بالسُّنة المطهَّرة ما لا يُدرَك شأوُه، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر مـا لا يُهاب معه الأمراء والملوك، كما يعلم ذلك من مطالعة مكتوباتـه، حتى أنـه لما حضر سيد اسمعيل المدنيُّ بأمْرِ رسول الله ﷺ إلى رحابِهِ وأحضر معه بعـضَ آثـارٍ نبويّةٍ بإشارة منه عليـه السـلام أن يضعهـا في الجـامع الـذي في دلهـي فوضعهـا، عَرَض ذلك على حضرة الشيخ فقال له : (إنه وإنْ تكُنْ بركاتُ فخـرِ العـالم ﷺ في ذلك المكان محسوسةً، ولكنْ لا يخلو من ظُلمة الكفر، ففتِّشوا ذلك المكـان)، فإذا هو فيه صور بعض الأكابر فرَفعوا الأمر إلى السلطان وأزالوا التصاويرَ منه .

---

١ - يعني شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدِّس سرُّه .

ومِنَ التجرّد والزّهد أنه عَرَض عليه السلطان مِراراً أن يُعيِّن لرباطه ما يفي بنفقته فلم يَقبلْ، وكثيرا ما يقول: (قد قبَض على أذِمَّتنا الوعدُ الإلهيّ في قوله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[1]، فقد أخبرنا تعالى بأنه كفانا مُهمَّات الدين والدنيا)، فكانت نفقاتُ الرِّباط من وجهِ الغيب، وكان قليل النوم جداً، فإذا قام إلى التهجّد أيقظ النُّيَّم، ثم يتهجَّد ويَجلسُ للمراقبة، ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء، وكان وِردُه كلَّ يومٍ عشرةَ أجزاءٍ، ثم يصلّي الصبح جماعةً في وقت الغَلَسِ، ثم يلتفت إلى حلَقة الذكر والمراقبة إلى وقت الإشراق، وكان رباطُه لا يستوعب المريدين لكَثرتهم فلذلك كان يكرِّر الأذكار بطائفةٍ بعد طائفةٍ، ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير إلى قُرْب الزّوال فيتناول الغَداء.

وكان إذا أرسل إليه أحد الأغنياء طعاماً نفيساً لا يأكلُه، بل يَكره أن يأكل منه المريدون، وإنما يُهديه لجيرانه ومن كان حاضراً عنده من أهل البلدة، وربما ترك أواني الطعامِ في مكانها يأخذُها من شاء فيأكلُها.

وقد سرَق شخصٌ له كتُباً، ثم أتاه بكتابٍ يبيعه إيّاه فأثنى عليه، ونقَدَه الثمنَ، فقال له أحد أصحابه: يا سيدي هذا من خِزانتكم وعليه علامةٌ، فتأذّى منه وأسكتَه وقال: (هلا يَكتب الكاتبُ أكثرَ من كتابٍ واحدٍ).

وكان حريصاً على إخفاء الصدَقة فإذا فُتح عليه بشيءٍ يَقسِمُه على الفقراء وهم في المراقبة لِئَلا يَشعُرَ أحدٌ بالآخر، وكان يلبَس الخشِن من الثياب، ولو أُهدي إليه ثوبٌ نفيسٌ باعه واشترى عدةَ أثوابٍ وتصدّق بها، وهكذا في غير

---

١ - سورة الذاريات الآية (٢٢).

ذلك، ويقول : (لأن يكتسيَ جماعةٌ خيرٌ من واحدٍ)، فعن عائشة رضي الله عنها أنها أخرجتْ يوماً إزاراً ورداءاً خشِنين وقالت : (قُبض رسول الله ﷺ في هذين)[1]، وكان شديدَ الشفقة على المسلمين، يُكثرُ من الدعاءِ لهم، وأكثرَ ما يكونُ في جوف الليل .

وكان عاشقاً لرسول الله ﷺ، فانياً فيه بحيث إذا سمع اسمَه الكريمَ اضطرب وغاب، وكان شديدَ الحِرص على اتّباعهِ ﷺ في أقواله وأفعاله، قويَّ التمسُّك بالسنّة، دَؤوباً على مطالعة حديثه .

ومن أعظم كراماته تصرفه في باطن المريدين وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم، وما صدر عنه من ذلك لا يسعه التحرير وتضيق عنه حوصلة التقرير فكم أوصل إلى مقام التكميل من الرحال مئين، صاروا من أهل الواردات والجذبات والتمكين، ونال بتوجهاته الأحمدية المقامات الإلهية والأحوال العالية أمم لا تحصى .

وأما تصرفاته وكشوفاته وحل لمشكلات وقضاء الحاجات فإنها كثيرة جداً طالما بها فرجت كرب وحلت عقد وقد كانت كراماته وإلهاماته وخوارقه مقتبسة من نور معجزاته ، وكثيراً ما رآه في المنام جماعة أنه يلقّنهم الطريق، فحضروا إلى أعتابه، وبلغوا المقامات العالية، عادوا إلى أماكنهم، وكان ينقل كل واحد من المريدين مع كثرتهم المفرطة من قام إلى مقام ويرقيه من حال إلى حال ويوصله بقوة توجهاته في أيام قليلة إلى ما لا ينال بسنين كثيرة .

---

١ - رواه الشيخان .

أما من تاب على يده من العصاة فصاروا من أهل الاستقامة، ومن أسلم من الكفار فجمٌّ غفير .

وكان أحد أصحابه الكرام الشيخ أحمد يار قدّس سرُّه مسافرا في تجارة له، رأى منصرفه من سفره حضرة الشيخ قدّس الله سرَّه قد دنا من دابته وقال له: أسرعْ واسبقْ القافلة، فإن في الطريق قُطّاعاً يريدون أخذ القافلة، ثم غاب قال فأسرعت حتى سبقت السيارة فجاء القطاع فنهبوا القافلة ونجوْتُ ولم أزلْ حتى دخلت داري سالماً.

وذكر حضرة زلف شاه قدّس الله سرَّه أنه أتى قاصداً زيارة ضريح الشيخ نوَّر الله مرقده من مكان سحيق، فضلَّ عن السبيل فرأى رجلاً مهاباً فأرشده، وقال له : أنا ذلك الرجل الذي تريد زيارته، ووقع لي ذلك مرتين .

وعاد قدَّس الله سرَّه يوماً الحكيم نامدارخان فوجده في حالة النزع أغمضت عينا وذهب شعوره، فسأله أهله أن يتوجَّهَ إلى الله بدفع مرضه، فنظر إليه قدَّس الله سرَّه فعاد إليه إدراكه وفتح عينيه كلمه برهة بكلام كثير ثم قام، فلما وضع قدمه المبارك في باب داره قضى الحكيم نحبه رحمه الله تعالى .

ولما تولى الحكيم ركن الدين خان الوزارة العظمى رسل إليه يوصيه بأحد أعزائه، فلم يحفلْ بوصيَّته فتغيّر خاطرُه الشريف عليه، فعُزِل ولم يتولَّ بعد قط وتغير خاطره الكريم على والي دهلي فعزل حالا . ووقع في دهلي قحط فخرج قدَّس الله سرَّه إلى صحن مسجده فجلس فيه وكان شديد الحرارة من الشمس وقال : (يا رب لا أبرح جالساً حتى تسقيَنا)، فمُطِرَ الناسُ من ساعتهم .

وطلب من جارةٍ له، وكانت رافضيّة، مكاناً لتوسعة الرِّباط، فما رضيت البيع وأطالت اللسان في شأنه، فرفع طرفه إلى السماء وقال : (يا رب سمعت كلامها)، فلم يلبثْ أن وقع في أقاربها وذريتها الموت حتى لم يبقَ إلا واحد منهم، فوهبت ذلك المكان لحضرته وكان قدّس الله سرَّه يقول : (إني أُحب الشهادة في سبيل الله تعالى، ولكن أتذكر ما حصل للناس في شهادة شيخنا ميرزاجان جانان رضي الله عنه من البلاد إذ قحطوا ثلاث سنين ومات ذلك خلق كثير ووقع قتل وحروب لا تعد .

وقد غلب عليه البواسير آخر مرضه، وكان من عادته المستمرة أنه إذا حصل له شائبة مرض أوصى، وقلما أكد لساناً بمداومة الذكر وتحسين الأخلاق وتقوية النسبة الشريفة ومجاملة المعاملة مع الجميع والإعراض عن الاعتراض بلو ولِمَ على مجاري القضاء وملازمة الاتحاد مع الإخوان والتفرغ للعبادة بالفقر والقناعة والرضا والتسليم والتوكل، فجدد هذه المرة تلك العادة المستمرة وقال : (إذا قضى الأمر فاحملوني إلى المكان الذي فيه الآثار النبوية التي في جامع دهلي واطلبوا لي من صاحبها الشفاعة) .

فلما كان وقت الإشراق من يوم الاثنين ثاني عشر صفر التحق بالرفيق الأعلى، فغُسِّل بأمواه الأنوار، وكُفِّنَ بأثواب الأسرار، وحمِل على أطراف الأصابع إلى المسجد الجامع، وقد انقضت لأجله المجامع وهرعت لرباطه لناس حتى غصَّت بالمشيعين الجواد والشوارع، فصلى عليه الإمام أبي سعيد ووضعوه تبرُّكاً عند الآثار النبوية، ثم أتوا به الخانقاه فدفنوه في الجانب الأيمن من البقعة المباركة التي ضمَّت مرشده الشهيد وكان لمشهده في دهلي يوم مشهور .

وطفقت أدباء الهند تعمل الخاطر لإنشاء ندبه ورثائه بأنفس القصائد وأبدع التواريخ كلها بالفارسية إلا تاريخين أحدهما (نور الله مضجعه)، وثانيهما (في رَوح وريحان وجنات النعيم) .

وله قدَّس الله سرَّه خلفاء حنفاء هم علماء لأولياء وأولياء العلماء ملؤوا الخافقين إرشادا والثقلين إمدادا من أجلهم وأعظمهم من سرى إليه سر هذه النسبة المكنونة قطب العارفين سيدنا ومولانا أبو البهاء ضياء الدين الشيخ خالد قدِّس سرُّه .....

❋ ❋ ❋

سيدنا ومولانا أبو البهاء ضياء الدين الشيخ خالد قدس سره

هو العالم كل العالم الذي فاقَ علماءَ الآفاق، وشهد بفضلِه العالَم على الإطلاق، والعارف كل العارف مَطْلَعُ أنوار بدور الطريقة الذي لا يعتريه سرار، والمطَّلِع على أسرار[1] الحقيقة وحقيقة الأسرار، والمرشد كل المرشد مَنْ سرى سرُّه في الأنام سَرَيان الأرواح في الأجسام... أحيى بهمته القوية من النفوسِ الغِويَّةِ ما أحيى، ونشر من العلومِ الشرعية ما طوى ذكر السلف، أظهر من المعارف الإلهية ما خفي على كثير من الأولياء.عرف ذلك من عرف، فهو عالم الأولياء الكاملين، وولي العلماء العاملين، انتهى إليه في المعقول والمنقول علم الفروع والأصول.

وأما بُعْدُ صيتُ إرشاده وامتداد بركة إمداده فهو ظاهر في الربع العامر ظهور [illegible] رح النهاية في البداية، وحدَّدَ به القرن الثالث عشر، ومنحَه الإقبال والقبول بين البَشَر، فلا غَرْوَ أنِ افتَخرَتِ الأرضُ بوجودِ سعودِه وسعودِ وُجُوده.

١- السرار هو آخر ليلة من الشهر حيث يختفي القمر

ولد قدس الله سره سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف في قصبة قره ذاغ[1] وظهرت منذ بدأ إشارات أنه قطب أولياء الزمان.

نشأ قدس الله سره في هذه القصبة في حِجْرِ والدِه الجليلِ في بلاد الأكراد، وقرأ في بعض مدارسها القرآن والمحرَّرَ للإمامِ الرافعي في مذهب الشافعي ومتن الزَّنجاني في الصرف وقليلاً من النحو، وبرعَ وظهرت منذ البداية إشارات أنه قطب أولياء الزمان .

نشأ قدس الله سره في هذه القصبة في حجر والده الجليل في بلاد الأكراد. ثم ذهب إلى أنحاء كوي وحرير، ثم انقلب إلى السليمانية فقرأ فيها وفي نواحيها الشمسية والمطول والحكمة والكلام وغير ذلك على علمائها الأعلام، وقدم بغداد فقرأ مختصر المنتهى في الأصول ورجع في المحله المأهول.

وكان حيث حلَّ من المدارسِ وهو الأتقى الأورع السابقُ في ميادين التحقيق كلَّ فارسٍ، لا يُسْأَل عن مسئلة في علوم الرسوم إلا ويجيب بأحسنِ جوابٍ، وإذا دقَّقَ في درسه على ما أرادَ يعجزُ أساتذتَه عن إرضاء ذهنه الحاد، هذا مع تصاغره لدى أشياخه وأقرانه، وتجاهله عن كثير من المسائل مع إتقانه.

كان يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصلْ إذ ذاك إلى قراءته بتحقيق يتحيَّرُ فيه أهل مادته، فاشتهر خارق علمه، وطار في الأقطار صيتُ تقواه وذكائه وفهمه.

١- بلدة من السليمانية في العراق وهي ذات مدارس كثيرة وحدائق بهيجة وأمواه غزيره

ثم رحلَ إلى ستندج ونواحيها، وقرأ العلوم الحسابية والهندسية والاصطرلابية والفلكية على العالم المدقق الشيخ محمد قسيم الستندجي، وكمَّلَ عليه المادة على جَرْيِ العادة، فشرعَ يدرس في العلوم؛ ويحقّقُ المسائل والفهوم، غيرَ راكنٍ إلى الدنيا ولا إلى أهلها، مقبلاً على الله تعالى تبتُّلاً إليه بأصناف العبادات فرضِها ونفْلِهَا، لا يتردَّدُ إلى الحكام، ولا يحابي أحداً بتبليغ الأحكام، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، نافذَ الكلمة، محمود السيرة؛ آخِذاً بالعزائم حتى صار محسود صِنْفِهُ، عزيزاً في وَصْفِه، مع الصبر على الفقر والقناعة واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة، إلى أن جذبه سنة عشرين ومئتين وألف شوقُ الحج إلى بيت الله الحرام، أو توقُ زيارة روضة خير الأنام، فتجرَّدَ عن العلائقِ، وخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله الصادق.

يقول قدس الله سره وكنتُ أفتش على أحدٍ من الصالحين لأتبرَّك ببعض نصائحه لعلّي أعملَ بها كل حين، فلقيت شيخاً يمنياً متَرّيضاً[1]، عالماً عاملاً فاستَنْصَحْتُه استِنْصاح الجاهل المقصِّر من العالم المتبصر، فنصحني بأمورٍ منها أن لا تبادرَ في مكةَ بالإنكار على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة، فلما وَصَلْتُ إلى الحرم وأنا مُصِرٌّ على العمل بتلك النصيحة البديعة بكَّرْتُ يوم الجمعة إلى الحرم لأكون كمن قدَّم بَدَنَةً من النَّعَم[2]؛ فجلَسْتُ إلى الكعبة الشريفة أقرأُ

١- أي يجتهد في رياضة النفس ومجاهدتها

٢- إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» رواه الشيخان عن أبي هريرة

الدلائل[1] إذ رأيتُ رجلاً ذا لحية سوداء عليه زيّ العوام قد أسند ظهره إلى الشاذروان[2] ووجهه إليّ من غير حائلٍ؛ فحدثتني نفسي أن هذا الرجل لا يتأدّب مع الكعبة، ولم أُظهِرْ عيبه ؛ فقال لي: (يا هذا أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة؟؟ فلماذا تعترض على استدباري الكعبة وتوجُّهي إليك؟! أما سمعت نصيحة من في المدينة وتأكيده عليك؟) فلم أشكّ أنه من أكابر الأولياء وقد تستّر بأمثال هذه الأطوار عن الخلق، فانكببت على يديه وسألته العفو وأن يرشدني بدلالته إلى الحق فقال لي: (فتوحك لا يكون في هذه الديار وأشار بيده إلى الديار الهندية؛ وقال: (تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحُك في تلك الأقطار)، فأيست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني إلى المرام، ورجعت بعد قضاء النُسُكِ إلى الشام .

ثم اجتمع ثانياً بعلمائها وحلّ في قلوبهم محلّ سويدائها، ثم أتى إلى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات، وبشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وعدّه الحسناتِ الأُوَل سيئاتٍ، مستقيماً على أحسن الأحوال، متشوقاً إلى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال إلى أن أتى السليمانية نجم الهداية العرفانية مولانا ميرزا رحيم الله بك المعروف بمحمد درويش العظيم آبادي أحد أجلاء خلفاء شيخه الأعظم القطب الدهلوي قدس الله سره، فقال له: (إن لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك، خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك، نقشبندي الطريقة محمّدي الأخلاق، عَلَماً في علم الحقيقة، فسِرْ معي

١- كتاب دلائل الخيرات يحوي مجموعة من الأوراد والأحزاب والأدعية والإستعانات والصلوات وضعها الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي

٢- هو جدار الكعبة

حتى نرحلَ إلى خدمته في جهان آباد، وقد سمعت منه إشارة بوصول مثلك ثَمَّ إلى المراد)، فانتقش القول في قلبه وأخذ بمجامع لبه وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس بلا ترديد لمن يريد

حبُّ السلامة يُثْني عزمَ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكَسَلِ
لوكان في شرفِ المأوى بلوغ منى لم تبرحِ الشمس يوماً دارةَ الحَمَلِ

فرحل سنة أربع وعشرين ومائتين، فوصل طهران وبعض بلاد إيران، والتقى مع مجتهدهم اسمعيل الكاشي المتضلع بضبط المتون والشروح والحواشي، فجرى بينهما البحث الطويل بمحضر من جمهور طلبة اسمعيل، فأفحمه إفحاماً أسكته، وأنطق طلبته بأن ليس لدينا دليلاً؛ ولما أفحمه غالطه بأشياءَ كليةٍ، منها أنه قدَّس الله سرَّه قد كان وقف على ما في بعض تفاسير الشيعة من أن قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾[1] نزلت عتاباً مع أبي بكر رضي الله عنه فقال الشيخ الكاشي : (ما تقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام؟) فقال الكاشي (كلهم معصومون) قال الشيخ فما تقول في قول الله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ والعفو يستلزم الذنب، فقال الكاشي : (هذا عتاب مع أبي بكرلا مع النبي) قال الشيخ : (فإذا أخبر الله تعالى بأنه قد عفا عن أبي بكر فأنتم معاشر الشيعة لم لا تعفون عنه ؟!) فانْبُهِتَ الكاشي وخجل خجلاً عظيماً .

١- سورة التوبة ، الآية (٤٣)

ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور؛ وزار إمام الطرائق البحر الطامي الشيخ أبا يزيد البسطامي قدس الله سره العزيز ومدحه بمنظومةٍ فارسيةٍ، وزار مَن تلك البلاد الأولياء الأمجاد، حتى وصل إلى طرطوس، وزار بها مشهد السيد المأنوس نور والمرتضى الإمام علي الرضا ومدحه بقصيدة غراء فارسية أذعن لها الشعراء ، ولظهور البدع فيها عجل في الإرتاج والقيام إلى تربة شيخ المشايخ الجام شيخ الإسلام الشيخ أحمد النامقي الجامي، فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة، ثم دخل بلدة هراة من بلاد الأفغان واجتمع مع علمائها بالجامع فحاوروه في ميدان الامتحان فوجدوه بحراً لا ساحل له، وأقرَّ كلٌّ منهم بالفضل لـه، ولما رَحَلَ عنهم ودّعوه بمسيرِ أميالٍ لما شاهدوه فيه من بديع الحال، فسارَ في مفاوزَ يضل فيها القَطا ويخفِق فيها قلب الأسد مخافةَ خوارج الأفغان المقتحمين مهالك السطا

وإذا كـانَتِ النّفـوسِ كِبـاراً　　　تَعِبَـتْ في مُرادِهـا الأجْسَـامُ

حتى وصَل قندهار وكابل ودار العلم بشاور، فاجتمع بجَمٍّ غفيرٍ من علمائها الأكابر وامتحنوه من علم الكلام وغيره بمسائلَ رأوْهُ فيها كالسيل الهائل والغيث الهاطل، ثم إلى بلاد لاهور فسارَ مِنها إلى قصبة العالم التحرير، والولي الوقور، أخو شيخه في الطريق والإنابة إلى مولاه الشيخ المعمر المولى ثناء الله النقشبندي، فطلب منه الإمداد ببركة دعائه .. يقول: (ثم وصَلْتُ دارَ السلطنة الهندية دهلي المعروفة بجهان آباد بعد مسير سنة كاملة، ولقد أدركتني نفحاتُه وإشاراتُه قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة وهو قد أخبر قبل ذلك بعضَ خواصٍّ أصحابه بوفودي إلى أعتاب قبابه)؛ وبعد وصوله تجرَّد ثانياً عن حوائج السفر

وانفقها كلها على المستحقين مما حضر، ثم أخذ الطريقة العليـة النقشـبندية مـن حضرة الشيخ قدس الله أسراره الزكيـة واشتغل بخدمـة الزاويـة والذكـر الملقـن بفرط المجاهدة، فلم يمضِ عليه خمسة أشهر إلا وصار من أهل الحضور والمشاهدة وبشَّرَه شيخُه ببشاراتٍ كشفيَّةٍ وقد تحققت بالعيان، وحلَّ منه محلَّ إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم وكسره لدواعي النفس بالرياضة الشاقة وتكليفها خطط العدم.

ثم خلفه الخلافه التامة وأذن له بالإرشاد في الطرائق الخمس العليا:

<u>الأولى النقشبندية</u>: بتلقّيه لها عن عدد رجال هذه السلسلة المسطره الزكية .

<u>والثانية القادرية</u>: بتلقية لها أيضاً عن سيدنا الشيخ جان جاجان المظهر عـن سيدنا الشيخ محمد عابد السنامي عن سيدنا الشيخ عبد الأحد عن والده سـيدنا الشيخ محمد سعيد خازن الرحمة عن والده سيدنا الشيخ أحمد الفـاروقي السرهندي المعروف بالإمام الرباني مجدد الألف الثاني عن سيدنا الشيخ الشاه سكندر عن سيدنا الشاه كمال الكيتهلي عن سيدنا الشيخ فضيل عـن سيدنا الشيخ كدارحمان الثاني عن سيدنا شمس الديـن عـارف عـن سـيدنا كدارحمـان الأول عن سيدنا شمس الدين الصحرائـي عـن سيدنا السيد عقيل عـن سيدنا السيد بهاء الدين عن سيدنا عبد الوهاب عن سيدنا السيد شرف القتال عن سيدنا السيد عبد الرزاق عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني عـن سـيدنا أبـي سعيد المخزومي عن سيدنا الشيخ أبي حسن الهنكاري عـن سـيدنا الشيخ أبـي الفرح يوسف الطرطوسي عن سيدنا الشيخ عبد الواحد بن عبـد العزيـز اليمـني عن سيدنا أبي بكر الشبلي عن سيدنا وسيد الطائفة الجنيد البغدادي عن سـيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا الإمام علي الرضـا عـن

سيدنا الإمام موسى الكاظم عن سيدنا الإمام جعفر الصادق عن سيدنا الإمام محمد الباقر عن سيدنا الإمام زين العابدين عن سيدنا الإمام حسين عن سيدنا الإمام حسن عن سيدنا الإمام علي المرتضى عن رسول الله ﷺ

والثالثة السهروردية: بتلقية لها عن سيدنا جان جانان مظهر الشهيد عن سيدنا الشيخ محمد عابد عن سيدنا الشيخ عبد الأحد عن سيدنا الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي عن سيدنا الشيخ عبد الأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين الكنكوهي عن سيدنا الدرويش محمد بن قاسم الأردهي عن سيدنا الشيخ بدهن البهرائجي عن سيدنا الشيخ أجمل عن سيدنا الشيخ جلال الدين عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ صدر الدين عن سيدنا الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني عن سيدنا الشيخ شهاب الدين السهروردي عن سيدنا الشيخ ضياء الدين أبي نجيب السهروردي عن سيدنا الشيخ عبد اله عموية عن سيدنا الشيخ يار محمد عن سيدنا الشيخ أحمد الأسود الدينوري عن سيدنا الشيخ ممشاد الدينوري عن سيد الطائفة الجنيد البغدادي عن سيدنا السري السقطي عن سيدنا معروف الكرخي عن سيدنا داوود الطائي عن سيدنا حبيب العجمي عن سيدنا الحسن البصري عن سيدنا علي المرتضى عن رسول الله ﷺ .

والرابعة الكُبْرَوية: بتلقيه لها عن سيدنا جان جانان المظهر عن سيدنا نور محمد البدواني عن سيدنا سيف الدين عن والده سيدنا الإمام المعصوم عن والده سيدنا الإمام الرباني عن والده سيدنا الشيخ عبد الأحد عن سيدنا الشيخ ركن الدين عن سيدنا الشيخ عبد القدوس الكنكوهي عن سيدنا الدرويش محمد عن سيدنا الشيخ بدهن عن الشيخ أحمد الجوينوي عن الشيخ حميد الدين

السمرقندي عن الشيخ شمس بن محمود عن الشيخ أبي عطار عن الشيخ أحمد عن سيدنا بابا كمال عن الشيخ نجم الدين الكبري عن الشيخ عمار الياس عن الشيخ أبي النجيب السهروردي عن الشيخ أبي بكر الخير النساج عن الشيخ أبي القاسم الكركاني عن الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاتب عن الشيخ أبي علي الروذباري عن الجنيد البغدادي عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن سيدنا الإمام علي الرضا عن سيدنا الإمام موسى الكاظم عن سيدنا الإمام جعفر الصادق عن سيدنا القاسم بن محمد عن سيدنا سلمان الفارسي عن سيدنا أبي بكر الصديق عن رسول الله ﷺ

والخامسة الجُشتيّة: بتلقيه لها عن سيدنا حان حانان المظهر عن الشيخ محمد عابد عن الشيخ عبد الأحد عن الشيخ محمد سعيد عن سيدنا الإمام الرباني عن والده الشيخ عبد الأحد عن الشيخ ركن الدين عن الشيخ عبد القدوس عن الشيخ محمد عارف عن الشيخ أحمد عارف عن الشيخ عبد الحق الردولوي عن الشيخ جلال الدين الباني بتي عن الشيخ شمس الدين الترك الباني بتي عن الشيخ علاء الدين بن علي صابر عن شيخ الإسلام الشيخ فريد الدين كنج شكر عن الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي عن الشيخ معين الدين حسن السجزي الجشتي عن الشيخ عثمان الهاروني عن الشيخ شريف الزندي عن الشيخ مورود الجشتي عن الشيخ ناصر الدين يوسف الجشتي عن الشيخ أبي محمد الجشتي عن الشيخ أبي أحمد أبدال الجشتي عن الشيخ أبي إسحق الشامي عن الشيخ ممشاد علو الدينوري عن الشيخ هبيرة البصري عن الشيخ حذيفة المرعشي عن الشيخ ابراهيم بن أدهم عن سيدنا فضيل ابن عياض عن سيدنا عبد الواحد بن زيد عن سيدنا الحسن البصري عن سيدنا علي المرتضى عن رسول الله ﷺ ...

..وأجاز له رواية جميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف وأحزاب وأوراد، ثم أرسله الشيخ قدس الله سره إلى بلاده ليرشدَ المسترشِدين ويربّي السالكين بأتقن إرشادٍ، وشيّعه بنفسه نحو أربعة أميال عن جهان آباد.

ثم أتى همدان وستندج فوصل السليمانية فاستقبله أعيان وطنه بكمال الاحتفال والاحتفاء.

وقدم في تلك السنة بإشارةٍ من شيخه بلدة الزوراء ليزورَ الأولياء في زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وابتدأ هناك بإرشاد الناس على أحكم أساس، ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً في عِلْمَيِ الباطن والظاهر، ولما اطّردت سنّة الله في الذين خلوا من قبلُ أن يجعلَ حُسَّاداً لكل من تفرد بالفضل، وكلما كان الكمال والمحبوبية الإلهية أشد كان الإنكار والحسد أشد هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعدوان والبهتان ووشوا عليه عند حاكم كردستان بأشياءَ تَنْبُوْ عن سماعها الآذان وهو بريء منها كلها بشهادة البداهة والعيان

قل لقومٍ حسدوه سؤددا كم رأينا من شريفٍ حُسِداً
فتسامى للمعالي وهَوَوْا تحت رايات علاه سجَّداً

فلم يقابِلْ صنيعَهم الشنيع إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع، فلم تخبُ نارهم وما زاد إلا شرهم وشرارهم

كل العداواتِ قد تُرْجَى إزالتُها إلا عداوَة من عاداك عن حَسَدِ

فحلاهم وشأنهم في السليمانية، ورحل إلى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين مرة ثانية ونزل في المدرسة الإحسائية الأصفهانية وعمّرها بعد الخراب بالعلوم والأذكار آناء الليل وأطراف النهار، وشاع فضله شرقاً وغرباً، فهرت إليه الناس عجماً وعرباً، فطفق يربيهم بنفسه الأنفس ويمدُّهم بإمداده نظره الأقدس حتى إذا تكمّل أحدهم بعثَ به إلى أهل الأقطار ليحيي موات قلوبهم بفيضه المدرار.

وقَدِمَ الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي قدّس سره إلى دمشق الشام وكان عالماً عاملاً متفنناً ومنشئاً شاعراً محسناً ومرشداً كاملاً متقناً ذا كراماتٍ مشهودةً ومقاماتٌ محمودة، وله رسالة في الطريق تشهد برُسوخ قدمه وعلوّ قدره وهممه؛ وأرسل الشيخ اسمعيل الأناراني يستقبلُهم إلى حلب الشهباء، فذهب ينشرُ خلال الطريق أسراراً، وينثر على كل فريقٍ في البلاد أنواراً، حتى وصل إلى حلب، وقد حلب من القلوب بإرشاده ما حلب، وجذَبَ من الأوراح إلى الطريق ما جذب، إلى أن قدِم إليها الحرم المحترم وقد توفي معهم سيدي شهاب الدين نجل الحضرة، فرجع بهم الشيخ اسمعيل إلى الشام فتهلّل وجهُه بوصولهم من مدينة السلام بسلام، ثم اشترى داراً رفيعة في محلة القنوات، وتحوّل إليها ووقف بعضها مسجداً وأقام فيه الصلوات الخمس بالجماعات، فغصّت أبوابه بالزحام، وهرع إلى خدمته الخاص والعام، وصارت رحابُه مهبط جباهِ السالكين، وأعتابه معترَكَ شفاه الناسكين، والوزراء عند قبابه وقوفاً، والفُضَلاء على محبته عكوفاً، يدخلون في طريقته أفواجاً، فيفيض عليهم من بحارِ أنوارِه أمواجاً.

ثم سرى هذا البحرُ براً إلى المسجد الأقصى، وسار في رِكابه سراة فضلاءُ لا تحصى.

ثم أُمِرَ بالرحيل إلى مدينة الخليل والد الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام، فاستقبله الكبير والصغير، وأجلّه المأمور والأمير، وتمثلوا بين يديه، وسلموا نفوسهم إليه، فأفرغ عليهم من إحسانه ما أفرغ، وسوغهم من عرفانه ما سوَّغَ.

ثم انقلب قدس الله سره إلى أهله مسروراً كالشمس ضياءً والقمر نوراً، ثم إنه خرج مع ركب الشام حاجّاً إلى بيت الله الحرام عام أحد وأربعين، وفي خدمتِه الجمُّ الغفير من فضلاء الخلفاء والمريدين، فأقبل عليه العلماء والأولياء من أهل الحرمَيْن المحترمين، وعرفه أهل عرفة وأجمعوا على محبته واجتمعوا على قبول طريقته فكم جبر بنظره الإكسير كسيراً، وأجرى في سبيل الله خيراً كثيراً، يبشره بأن له من الله فضلاً كبيراً.

ثم ظهر الطاعون في شوال، فسألوه إنجاز الوعد فقال: (ما نحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباًمما ترغبون) وذكر أحاديث وأخباراً في فضل شهيدة وجزاء الفار منه ووعيده، وكثيراً ما كان ينشد :

لـه مَلَـكٌ يـنـادي كـل يـوم ... لُدُوا[1] للموت وابْنُوا للخرابُ

وقال: (ما جئنا إلى الشام إلا لأن نموتَ في هذه الأرض المقدَّسة وهذه الشهادَةَ، وإن نمت فهي السعادة الأبدية)، فما نشب أن طعن قرة عين المريدين نجله سيدي بهاء الدين وتوفي ليلة الجمعة في اليوم الثامن والعشرين من شوال،

١- أي أظهروا الخصام

فما زاد على أن قال: (الحمد لله رب العالمين، هذا مغناطيسنا وسنتبعه كلنا)، ودفن في سفح قاسيون المشهور في مكان موات بعيد عن القبور، وكان سنُّهُ خمس سنين وأياماً، ثم تبعه يوم الاثنين تاسع شهر ذي العقدة الحرام أخوه سيدي عبد الرحمن وكان أكبر منه بأكثر من عام، فشيّعه هو والإخوان إلى ذلك المكان، وأمر وقتئذ أن يُحْفَرَ قبره الأنور، وعيَّن محلّه ومحلاً قبور حَرَمِه الأطْهَر والخلفاء، وأن يحوَّط عليها بجدار ويبنى ثَمَّ صهريجاً في مسيل الماء، وقال: (أظن أنه سيُبْنَى هنا تكية الفقراء) .

ثم نزل فأرسل إلى خلفائه وأحبائه وأشهدهم أنه كان منذ سنتين من تاريخه وَقَفَ كل كتاب يخصه، ثم أتى لزيارته مساء يوم الثلاثاء نخبة المحققين السيد الشيخ محمد أمين عابدين فقال له: (إني رأيت في المنام منذ ليلتين أن سيدنا عثمان ذا النورين رضي الله عنه ميِّتٌ وأنا واقف أصلي عليه)، فقال له: (أنا مِن أولاده)... يشير إلى أن هذه الرؤيا تومىء إليه .

وقال قدس الله سره لهم: (اتفقوا ولا تختلفوا ولا تخالفوا رأي اسماعيل[1]).. وقال: (أنا ما متُّ حيث تركت لكم الشيخ اسماعيل)، وقال: (أنا أضمن لك من لازم خدمته وامتثال أمره أن ينالَ ما لا يحيط به عقل العقلاء ويقصر عنه علم العلماء .

ثم بعد العشاء من ليلة الأربعاء دخل إلى الحرم فجمع أهله وأوصاهن واستبرأ الذمة من كل حقٍّ عليه لهنّ، وأخبرهن أنه يُقْبَضُ ليلةَ الجمعة ولا زِلْن في حديثٍ معه حتى مضى من الليل خمسُ ساعات، قام فتوضأ وصلى رُكَيْعَاتٍ ثم

١- حيث كان قد جعل الشيخ العلامة اسماعيل الأناراني آمراً ناهياً على جميع خلفائه الأمجاد

قال قدس الله سره: (إني طعِنتُ[1] الآن، فلا يدخُلْ عليّ أحدٌ إلا مرةً)، ثم اضطجع على هيئةِ السنة لا يُسْمَعُ منه تأوُّهٌ ولا توجُّعٌ إلى صبيحة يوم الخميس، فدخل الخلفاء عليه وسأله الشيخ اسماعيل عن مزاجه، فأومأ بيده الشريفة إليه إن يُقْصِرَ الكلام ولا يطيلَ المقام، ثم قدَّم له الماء فلم يقبلْ وأشار إليه إني أعرضْتُ عن الدنيا وأقبلت إلى الله عز وجل؛ وبقي يذكر الله تعالى حتى سمع مؤذّنه الملا عمر يقول في آذان المغرب: الله أكبر... ففتح عينه وقال: الله حق الله حق ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[2].

ثم لحق بالرفيق الأعلى في دار السلام ليلة الجمعة رابع عشر ذي القعدة الحرام سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف وسنة وخمسون سنة سوى شهر ونصف، فحُمِل ليلتئذ إلى مدرسته فغُسِّل وكُفِّنَ طِبْقَ وصيته، ثم أحيوا تلك الليلة بقراءة القرآن حوله، فلما أسفر النهار حمل إلى جامع يلبغا على أنامل الخيار

خرجوا به ولكلُّ باكٍ حولَه صقعاتُ موسى حين دُكَّ الطُّور

١- طعن الرجل إذا أصابه الطاعون

٢- سورة الفجر الآية (٢٧)

وله كراماتٌ كثيرة.. منها أنه نظر إلى بعض النصارى وهو يمشي في الطريق فصاح النصراني صيحةً عاليةً وتبع حضرة الشيخ إلى الزاوية وأسلم، وسلَّكَه الطريق على يديه حتى صار من أهل الحضورِ.

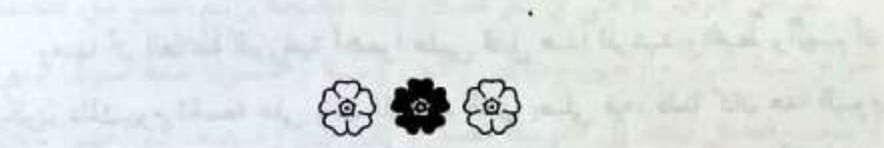
ومنها أن رجلاً من المنكرين اجتمع عليه بعض الجهلة فعمل بهم حلقة كحلقة الختم استهزاءً به وبطريقته، ثم تقدم ذلك الرجل على وجه الاستهزاء للتوجه إلى جماعته فجُنَّ لوقته وخرج هائماً على وجهه، فجاء به أهله إلى الشيخ يتضرعون به، فأمر بعض خلفائه بالتوجه إليه فوقع بخاطره أنه هل يفيق أم لا، فقال الشيخ مُكاشَفةً: (توجَّهْ إليه ولا تشكَّ أن يفيقَ)، فبمجرد توجُّه ذلك الخليفة رجع الرجل إلى صحّته كأن لم يكنْ به آفة.

ومنها أن الطائفة اليزنجية أجمعوا على قتل هذا المرشد،وانحطَّ رأيهم أن يكونَ ذلك يوم الجمعة على باب المسجد الذي يصلي فيه، فلما كان هذا اليوم حضر مع خلفائه إلى الصلاة، فلما قُضِيَّتِ الصّلاة خرج الخلفاء فرأَوْا زُهاء مائتين من الأعداء وقوفاً بالأسلحة، فما زالوا منتظرينه حتى خرج آخر الناس على سكينةٍ تامة وثبات وافر، فلما توسَّطهم نظر إليهم بعين الهيبة قائلاً بالمد كلمة (الله)، فمنهم من سقط في الحال ومنهم من صاح وانجذب، ثم مشى مع جماعته حتى وصل إلى زاويةٍ ولم يَنَلْهُم مكروه

ومنها ما نقله سيد الخلفاء العلماء الشيخ اسماعيل الأناراني قدس الله سره النوراني عنه أنه قال عظَّم الله أجره: (رأى الشيخ الأكبر رضي الله عنه رسول الله ﷺ في الواقعة مرةً فجعلها في إكليل الفتوحات المكية درة، وإني رأيته ﷺ في نحو مائة واقعة ولم أتكلَّمْ).

إن الـذي قلـتُ بعـضٌ مـن مناقِبِـه   ما زِدْتُ إلا لعلّي زدت نُقْصانا

وله قدس سره خلفاء حنفاء أولياء أصفياء علماء عظماء سائحون عـابدون، لا يدرك كثرتهم العادُّون، اقتصر ذكرهم منهم على ذكـر أقـدم الخلفـاء وأقـوم الصلحاء شيخ هذه السلسلة المبجلة مولانا وسيدنا سـراج الملـة والديـن عثمـان الكردي قدس الله سره.......



الشيخ عثمان الكردي العراقي الطويلي

قدّس الله سره العلي

وهو سلطان دولة العارفين، وقِبلة توجُّهِ أسرار المرشدين، فضلاً عن المسترشدين، ولئن كان للإرشاد فَلَكٌ فهو قطبه الذي عليه يدور، وشمسه الذي فيه تسير، فكم جذبَ بأولِ نظرةٍ من نظراته روافضَ ونصارى من حضيض الرفض والنصرانية إلى أوْجِ الإسلام، وكم أخذ بأوائل توجّهاته نفوساً طالما عكست على نسيان خالقها حتى أوصلهم إلى الجمع التام، كُنْتَ إذا رأيته جالساً وسط أهل إرادته خِلْتُ أن نقشبند بُعِثُ وعاد يبثُّ أنوار طريقته، وكيف لا ولم يكن إرشاده إلى الله تعالى في الأكثر إلا بلسان الحال، وأنى هو من لسان المقال، وماذا أقول في عارف كان مراد الحق لا مريده، ومخطوب الحضرة لا خاطبها، ومطلوب العناية لا طالبها.

ولد قدس سره أواخر القرن الثاني عشر سنة خمس وتسعين ومائة وألف بطويلة[1]

١- بلدة قرب السليمانية في العراق

وكان أبوه رئيساً بتلك الناحية آمراً ناهياً مُطاعاً مقبولَ الكلمة نافذَ الحكم، وكان للشيخ إخوة يشتغلون بما يناسب منصب أبيهم، أما الشيخ فمنذ ترعرع شاباً زُيِّنَ له التجرُّد، فكان يختلفُ إلى بغدادَ كثيراً متجرداً، وأكثر ما يكون عند قبر الشيخ عبد القادر قدس سره.

ولكونه رضي الله عنه فُطِر على هذا الحال من التقشف وعدم المبالاة بالدنيا وكمال الإعراض عن زخارفها كان أبوه لا يكترثُ بشأنه ولا يبالي به، وكان على هذه الحال حتى قِدم مولانا خالد السليمانية حاملاً أعباءَ الخلافة النقشبندية، فذهب بالإشارة الإلهية في أيامه الأولى إلى بلدة والده طويلة، فاستقبله وأنزله منزلته، ثم سأله أن يُحضِرَ له أولادَه، فلما مثلوا بين يديه قدس سره العزيز قال له: لم يبقَ لك من الولد غير هؤلاء؟! قال: ولد خامل لا حاجة لك إلى رؤيته، فقال: أليس هو عثمان؟ قال: بلى، قال: ما جئت إلا لأجل تربيته؛ واستحثّه الشيخ على أن يحضرَه، فاستقدمه أبوه وكان إذ ذاك ببغداد وسلّمه لحضرة الشيخ فتقبَّله قبولاً حسناً وتحوَّل به من طويلة إلى بيّارة.

وأمره أن يتفرَّغَ في مسجد من مساجدها للذكر والفكر، فأقبل بكُنْهِه على امتثال أمره، وترك الكلَّ وراء ظهره ولم يبالِ بمنصبِ أبيه ولم يلتفِتْ إلى ما بين يديه من الأموال، فاكتفى من اللباس بما يقي الحرَّ والبردَ، وتحرَّى من الأطعمة الحلال، وأمسك لسانه إلا عما أوجَبَه الشرع أن يُطْلِقَه فيه، وكان إذا رآه الرائي يظن به عجزاً عن الكلام خَلْقِياً، أو خَرْساً فِطْرِياً، وجعل يستغرق ليله ونهاره في الأشغال الخالدية النقشبندية، هذا ولم يزلْ دائباً مُجِدّاً حتى أُفْرِغَت عليه حللُ التكميل وأمره الأستاذ رضي الله عنه أن يوجِّهَ همَّته العليا إلى إنقاذ المريدين، وأجازه بالإرشاد والتوجّه إجازةً عامة فتَقَبَّل بكمال الأدب والضَراعة

إجازته، حتى ورد عليه إذن إلهي لا يستطيع معه القرار إلا إلى تعليم الخلق من أنفسهم إلى الله الفرار.

ولما تشرّف الإرشاد باستوائه على عرشه جعل رضي الله عنه يتفرّس في الناس، فكلّ من رآه أهلاً للدخول في هاتيك الحضرات تذكّره في خلوته ليلاً، فلا وربك لا يصبح هذا الشخص إلا وهو مراد، ولا يمسي إلا وقد ألقى إلى حضرة الشيخ القِياد، فيُفْرَغ عليه هو حِلَلَ الجذبة، ولا يزال يدنيه حتى يجمعه وربه .

ولما قضى والده نحبه تحول بمريديه إلى طويلة - مسقط رأسه -، وبنى على طرفها خانقاه عظيمة متَسِعةً احتاط في وجه بنائها على عادته، فعكف فيها بالمريدين على الذكر والفكر وأقبلت الناس من أطراف العراق تَفِدُ إليه.

ثم ما برِح جارياً على موجب ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[1]، وسائراً على مقتضى (يا داوود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً) حتى فتح الله به آذاناً صُمّاً، وعيوناً عُمْياً، وقلوباً غُلْفاً بحكم الوراثة والتبعية لخاتم الرسل ﷺ ، وحتى فتح للعلوم اللدنية مُنفذاً في قلوب الأمّيين من أتباعه فضلاً عن علمائهم، وكان له قدس سره أرسخ قدم في مقام المراقبة وحمّله الله تعالى بجلال عظيم، فلم يكنْ يستطاع الجلوس بين يديه، بل أكثر الحاضرين وقوف، بين مستغرق مع السكوت، وغائب مع الجذبة.

* * *

١- سورة النحل الآية (١٢٥)

وقد حدثني به بعض ثقات الأكراد أنه قال: رأيت ببلدنا غريبين تُرى سيما الصلاح عليهما، فاستضفتهما فأجاباني، فسألتهما بعد القِرَى من أين وإلى أين؟ فأخبراني أنهما مسكوفيا الجنس، أكرمهما الله بالإسلام، وهما يقصدان الحج، فسألتهما عن سبب إسلامهما فذكرا أنهما كانا ببستانٍ لهما في أرض المسكوف، فإذا بشيخٍ ذو لحية كثّةٍ عليه هيبة ووقار، فلما نظراه ارتاعا منه وفرّا، ثم عاد في اليوم الثالث فإذا الشيخ الذي رأياه فعاودا الفرار، ثم رجعا بعد ثلاثة أيامٍ فوجداه كذلك وقال لهما: (أنا عثمان الطويلي هلمَّ معي إلى طويلة بمكان كذا) ووصفها لنا فأردنا أن نتبعَه فلم نَرَهُ فلم يَقَرَّ لنا قرار حتى وصَلْنا إلى الشيخ فلما رآنا سألنا من أين؟ فقلنا: أنت تعلم بحالنا، فقال: نعم ، ثم علمنا الإسلام وشرائعه وأمرنا بالحج في هذا العام وها نحن متوجهان كما أمرنا قدس سره .

ومنها ما ذاع وشاع أنه لا يوافيه أحد ممن نأى أو قرب إلا ناداه باسمه واسم أبيه قبل أن يسألَه عنهما، وذكر له ما مضى من أحواله على ما هو عليه وأخبره بما يقع له في المستقبل فيكون كما أخبر توفي قدس الله سره ببلده سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف وسنة ثمان وثمانون سنة.

وله خلفاء كثيرون، كلهم على عرش المعرفة مستوون، أجَلّهم قدرا، وأظهرهم سراً ولده القطب الأرشد والغوث الأمجد سيدنا ومولانا الشيخ عمر قدّس الله سره....



مولانا وشيخنا الأستاذ الأكبر

الشيخ عمر قدس الله سره

وهو رحمة عظمى أهدَتْها يدُ العناية إلى العالم فتلقّاها بالقَبول، ودُرَّةٌ كُبْرى تزَيَّن بها تاجُ أهل المعرفة والوصول، عارفٌ تبَوَّءَ من المعرفة أعلى غرفها، وولِيٌّ فاز من الولاية بأبهجِ طُرَفِها، إنسانُ عينِ الإرشاد المحمدي، ومهبطُ صيِّبِ الإمداد الأحمدي، سيدٌ ألقت إليه سلطنة الأولياء مقاليدها، وجهبذٌ ما أحق قطبيّة الأصفياء أن تجعَلَه واسطةَ عِقْدِ جيدِها، كيف لا، وقد كانت النظرة الأولى من نظراته تحيل في الحال أردأ معدنٍ ذهباً صِرفاً، وتقلُبُ من حينها أشدَّ القلوب سواداً فتجعله أشدَّ بياضاً من اللبن أو أصفى إلى هممٍ تزولُ لها الجبال الراسيات، وأنفاسٌ تنهَلُّ بها أمطار الرحمات..

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فلله هو من زُجاجةٍ عكست على العالم شعاعَ سُبُحاتِ الذات الأقدس، وأوصلت إلى مشامِّ الأرواح شذا ذلك الحِمَى الأرْفَع الأنْفَس... اشترك بيان الخطباء وبنان الكتّاب في العجز عن إحصاءِ بعض مناقبه... وكيف لا، وقد كان باطنه الشريف مخزن أسرار الحق، ومهبط مواهبه .

ولد قدس سره بطويلة، بلدة والده رضي الله عنهما سنة خمس وخمسين ومائتين وألف، ونشأ في حِجْرِ والده يتقلب على مهد الولاية ويرتضّع ثدي المعرفة، وكانت إمارات العناية عليه في صغره لائحة، وأشراطُ الولاية فيه قبل بلوغه واضحة. آتاه الله من الذكاء ما حصل به العلوم في مدة قليلة، حتى كان فيها بارعاً، وفطر الله قلبه على الجمعية والحضور فكانت أكثر أوقات فراغه تمضي على الجمعية .

ولما رأى والده كمالَ استعدادِه أقبل عليه بيُمْنِ همته، يربّيه التربية الروحانية، ولا تسأل عن تربية الأصل لفرعه، ثم أمره أن يتحوّلَ إلى قرية بيارة ويقيم بها ويشتغل فيها بالذكر والمجاهدات،

فأقام رضي الله عنه فيها حسبما أشار إليه والده العارف قدس الله سره وهو يستخرج نُضَارَ[1] نفسه المباركة بنار المجاهدات المحرقة، فكان يختلف إلى طويلة مراراً عديدةً يحمل الحطب على ظهره المبارك للمريدين من بيارة إلى طويلة . وكان ذلك يشق على خدمة العتبة العلية العثمانية فيخبرون الأستاذ والده بذلك فيقول: (دعوه إن ذلك ينفعُه، وإن المرء لا يُخْدَمُ حتى يكونَ خادماً، ومن أراد أن يرتفعَ فليتواضَعْ .

١- النضار هو الذهب أو الفضة أو معدن الثمين إذا خلص من كل شائبة

وما زال مشمِّراً ساعده في الذكر والفكر، واستمرّت مطايا العناية الإلهية تقطع به مفاوز الطريق، ورُسُل الكفالة الربانية تنتشِلُه من أوحال التعويق، وسُقاة الهِمَمِ النقشبندية يديرون عليه أحلى رحيق، حتى سبقَ أهل السَّبْقَ.

ولما رأى والده العارف قدس الله سره وصوله إلى نهاية النهاية، وبلوغه إلى الغاية التي ما فوقها غاية، أجاز له بالإرشاد والتوجيه إجازة عامة مطلقة، وأمره أن يوجِّهَ شمسَ همَّتِه إلى أرضِ قلوبِ أهلِ الاستعدادِ، فلم يُطِقْ ذلك في حياة والده رضي الله عنه، واستمرّ دائباً على الاستغراق في الأحدية[1]، وذائباً في نسبة الاستهلاك بالحضرة القدّوسية، وغلب عليه التواضع فكان لا يسمح لأحد بتقبيل يمينه المباركة.

وكان إذا حضر لزيارة والده ربما وقف على قدميه من الصبح إلى الظهر لا تسكن عبراته، والشيخ يسارقه النظر ويمده من نور الله بما لا تحيطُ به الفكر؛ وكانت له مع ذلك في حياة والده خوارقُ عجيبة وتصرّفاتٌ غريبة، لكنه لم ينسُبْها إلى نفسِه بل يحيلها على همَّةِ والده ونفسه، فلما لحق والده بالرفيق الأعلى أجمع الخلفاء على أن يقيموه مقامه، فأبى وسلم مسند الإرشاد لأخيه الأكبر العارف الشيخ محمد بهاء الدين، فلبث أياما قليلة ثم لحق بوالده رضوان الله عليهما، فتقدم إليه الخلفاء ثانياً بالتضرع والإلحاح في أن يقومَ مقام والده العزيز فقبل على الكره منه، واختار بيَّارة موطناً له ولم يذهبْ إلى طويلة رعايةً لكمال الأدب مع والده الماجد قدس سرهما.

١- الأحدية هي اعتبار اسم الذات مع اسقاط جميع الصفات والأسماء والنسب عنها

ولما سعد العالم بالتفات همته العلية فاضت بركاته في العراق، وسارت كراماته سير الشمس في الآفاق، فكان لا يقعُ بصرُه على رافضي إلا رفضَ الرّفض ورجع إلى الاعتدال، ولا يقابلُهُ في طريقه نصراني إلا أُسْعِدَ بشرَف الإسلام لوقته قبل أن يفاتِحَه بكلامٍ أو يبدأه بخطابٍ حتى لم يُسْمَعْ في العراق بمثله عارفاً هدى الله على يديه هذا العدد من الخلق.

وسافر رضي الله عنه مرةً، وكنت في شرف صحبته في تلك السفرة التي سافرها، فمرَّ بنا على بلدةٍ أكثر أهلها روافض، فنزل وأمرنا بالنزول قريباً منها، فغلبَ الخوفُ علينا من شرِّ أهل هذه البلدة، فإنهم لا محالة يعرفوننا بالأذان جهراً ولا تُستَطاع مخالفته، فأذَّن المؤذِّن وصلَّينا، وجلس الشيخ كعادته مراقباً مطرقاً مغمضاً عينيه، فبينما نحن كذلك إذ أقبل بعض روافض أهل البلدة يريد الشيخ بعصا بيده، فرفع رأسه وأشار إلينا أن دعوه، فما زال يمشي حتى إذا كان بين يدي الشيخ رضي الله عنه أخذ منه العصا، فأعطاها له بدون توقف، ثم حلَّ الأستاذ منديلاً كان في وسطه وفتله بيده الكريمة وقال: ابسطْ كفَّك أضربْك بهذا المنديل عشراً، وأبسط كفي فتضربني به مثلها، ففعلا... وجعلنا نعجب من هذا الأمر، ثم قال الشيخ: (خذه فاضرب به من لقيت)، فما ولى وجهه عن الشيخ حتى سمعناه يصيح صياح الجذبة، ولا أصبَحْنا حتى خرج الروافض إلا قليلاً إلى حضرة الأستاذ بين صارخٍ وباكٍ وتائبٍ يتضرَّعون إلى الشيخ في النزول عندهم، فأجاب طلبهم وأسس هناك خانقاه عظيمة، وما فارقهم حتى جعل فيهم معلماً للشريعة والطريقة، واستقام أمرهم حتى الآن.

لقد كان وارثاً محمدياً، وغوثاً فرداً صمدانياً، يكتب بالمكتوب إلى بعض خلفائه في الجهات، فيفزع أهل تلك الجهة إلى استنساخه، يطلبه الأديب لفصاحة عبارته، والعالم لغزارة مادته، والصوفي لدقّة إشارته، وغالب الناس لاستجلاب بركته وكان رضي الله عنه على غايةٍ من الكرمِ وسماحة النفس وكمال الإيثار كنا في سفرة معه في أيام شديدة البرد، فمرَّ بفقيرٍ يرتعدُ من شدة البرد فطرح عليه عباءته، ومرَّ بآخر كذلك فألقى عليه جبته، ثم مرَّ بثالثٍ كذلك فخلع له القباء وألقاه عليه.

ولم يكن يدَّخِرُ شيئاً لنفسه... ترِدُ عليه الهدايا الكثيرة من الجهات فيفرِّقُها بين المريدين وغيرهم من ذوي الحاجات

وكان كثيراً ما يحدِّثُ المريدين بما يرونه أثناء الذكر والمراقبة من التجلّيات والأحوال والخواطر قبل أن يقُصُّوا عليه منها شيئاً، ويوقفهم على غثّها وثمينها، ويحثّهم على رفعِ الهمة وأن لا يرضوا بشيء دون الله عز وجل .

توفي قدس الله سره الأقدس سنة ثمان وثلاثمائة وألف ببيارة، وبها ضريحه المبارك مهبط الأنوار ومورد الرحمات ورثاه الأدباء بقصائد فارسية وعربية، ولولا خشية الإطالة لأوردنا لك بعضها .



وإذ قد تيسّرَ بفضل الله تعالى الفراغ من الكلام على عيون الأولياء من مشايخ هذه السلسلة العلية، فلنختُم الكتاب بكلامٍ مجمَلٍ في بيان طريقتهم العلية، وإثبات الأركان التي استندوا إليها فنقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم يا أخي -أرشدنا الله وإياك إلى كمال معرفته- أنّ أهمّ أصول هذه الطريقة العلية: التوبة والذكر الخفي والمراقبة ورابطة الشيخ الكامل.. وسأذكرها لك على الترتيب بفضل الله تعالى في فصول:

فصل في التوبة

اعلم يا أخي أن القلبَ كما يتصف بالمراقَبةِ والمشاهَدةِ ونحوهما كما تقدم لك فيما مر من كلام رجال سلسلة الطريقة العلية يتّصفُ بالخَتْم، والقَفْل، والرّان، والرَّبْطِ، لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[1] ، وقوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2] ، وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾[3]

فالخَتْمُ على قلوبٍ لا تسمع قولَ الحق من صفة قلوب المنافقين، والقفل عليها حتى تُعْرِضَ عن الدين المتين من صفة قلوب الكافرين، والربط عليها من صفة قلوب العارفين وتغطيتها بالرَّيْن[4] من صفة قلوب المؤمنين العاصين، فإن المؤمن كلما أذنب ذنباً نزلت نقطة سوداء على قلبه فتغطي مقدارها من نوره

١- سورة البقرة الآية (٧)

٢- سورة محمد الآية (٢٤)

٣- سورة القصص الآية (١٠)

٤- وان يرين رينا أي يطبع ويغلب عليه فالرين هو الطبع أو الدنس والرينة هي من أسماء الخمسة لأنها تغلب العقل وتغطيه

إلى أن تعمَّه الظلمات[1] فلا يبقى إلا نور الإيمان كامناً، فحينئذ يقع في المعاصي ولا يبالي بها أصلاً، فإذا أراد الله تعالى هدايته ألهمه التوبة فهي ملاك كل أمر لأنها تقطع ما قبلها كما أن الإسلام يجبُّ ما قبله[2] .

ولها شروط ثلاثة:

الأول: الندم على ما فات من مخالفة الملك المتعال[3]

الثاني: العزم على أن لا يعود إلى قبيح الأفعال[4]

الثالث: القيام في الحال على أحسن الأحوال[5]

١- يقول رسول الله ﷺ (**إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب صقل منها فإن عاد زادت حتى تعظمَ في قلبه**) رواه البيهقي والنسائي وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة .

٢- يقول رسول الله ﷺ: (**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**) رواه البيهقي عن ابن مسعود

٣- يقول النبي ﷺ : (**الندم التوبة**) رواه البخاري في التاريخ وأحمد والحاكم وابن ماجة عن ابن مسعود ورواه الحاكم والبيهقي في الشعب عنأنى

٤- يقول رسول الله ﷺ: (**التوبة من الذنب أن لا تعود إليه أبدا**) رواه ابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود ويقول النبي ﷺ: (**التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك وتستغفر الله بندامتك عند الحافر ثم لا تعود إليه أبداً**) رواه ابن أبي حاتم وابن مردوية عن أبي ابن كعب ورواه الديلمي عن ابن عمر

٥- يقول رسول الله ﷺ: (**إذا أسأت فأحسن**) رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر

ويقول ﷺ: (مامن عبد يذنب ذنباً فيتوضأثم يصلي ركعتين او أربع مفروضة أو غير مفروضة ثم يستغفر الله إلا غفر الله له) رواه الطبراني عن أبي الدرداء

ويقول ﷺ: (**إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات ثم يعمل كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل آخرى فانفكت الخرى حتى يخرج إلى الأرض**) رواه الطبراني عن عقبة بن عامر

وهي على ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة، فمن تاب خوف العقوبة ورجاء المثوبة فهو صاحب التوبة، ومن تاب خوفاً من السقوط من نظر الحقّ وطلباً للوصول إلى مقام الجمع ثم الفرق[1]، فهو صاحب الإنابة، ومن تاب حفظاً وقياماً بالعبودية لا رغبةً في الثواب ولا خوفاً من العقاب فهو صاحب الأوبة .

فالتوبة صفة عامة المؤمنين العاصين، والإنابة صفة خواص السالكين في طريق المراقبين، والأوبة صفة أهل المعرفة من المرسَلين والصّدّيقين قال تعالى: ﴿نعم العبد أنه أواب﴾[2] ، وقال: ﴿وجاء بقلب منيب﴾[3] ، وقال: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[4] ، وفي هذه الآية إشارة خاصة وإشارة عامة، فأما العامة فقد عمَّ العصاةَ والطائعين بلفظِ الإيمان وسّماهم المؤمنين لئلا تتمزَّقَ قلوبُهُم من خوفِ القطيعة، وأما الخاصة فقد أمر الطائعين بالتوبة لئلا يُعْجَبُوا بطاعَتِهِم فيصيرُ عُجْبُهُم حَجْبَهُم، فتساوى في هذا الأمر الطائع والعاصي . فالتوبة في حقّ خواصِّ الخواص هي التوبة عن الوقوف مع التجليات[5] ، وتوبة الخواص هي التوبة من غفلة القلوب عن حضرة المحبوب،

---

١ الجمع هو شهود الحق بلا خلق.. اما الفرق هو رؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحب بأحدهما عن الآخر

٢- سورة ص الآية (٤٤)

٣- سورة ق الآية (٨)

٤- سورة النور الآية (٣١)

٥- التجلي هو ما يرد على القلب من أنوار الغيوب والمعنى التوبة عن الاحتجاب بتلك التجليات عن القصد الأول، هو الذات

وتوبة العوام هي التوبة عن مفارقة الذنوب، وبها ينمحي الرَّيْن عن القلب ولكن يبقى أثره، فالذكر يصقله حتى يصير كالقنديل[1] ، فبوجود الأنوار في القلب تطبع في مرآته الأخلاق الحميدة، ويمتدُّ نظرُه إلى الحضرة القدسية لأن القلبَ له مرآة ذات وجهين: وجهٌ صقيلٌ ووجهٌ كثيف، فالصقيل مقابِلٌ لعالم الملك، وهو عالم الشهادة فكل شيء قابله انطبع فيه، فيتقلب القلب من الخير إلى الشر وبالعكس والكثيف مقابل لعالم الملكوت وهو عالم الغيب، فإذ غلبت أنواره على ظلمته، وطاعته على معصيته بدوام التوبة والذكر مال إلى عالم الملكوت فيشتغل بالسلوك وقطع مقامات النَّفْس، فكلما قطع مقاماً انجلى جزء من الوجه الكثيف حتى تضيءَ كلها، فحينئذٍ ينظر السالك بالعينين، فيغترف من العالمين وما فيهما من الدرر فيصير جسمُه لطيفاً بين الأجسام لأن العارفين رضوان الله عليهم لمّا تحققوا أن الجسمَ لا يليق للتحلي من حضرة الحق اللطيف لطَّفوا أجسامَهم الكثيفة بأنواع الرياضات والمجاهدات وترك الشهوات ومخالفة النفس حتى تلطّفت أجسامهم الكثيفة فصارت مضاهية للأجسام اللطيفة، فإذا صرف العبد همته إلى الله عز وجل وتاب بإخلاص تام ومحبة صادقة، قلب الله قلبه إلى الخير وصرفه عن الشر، فيكون انقلابه إلى الحق وهو صرف وجه الهمة من العُدْوَة الدنيا – وهي الظواهر– إلى العدوة القصوى وهي الحقائق وبواطن الأمور ، ويكون القلب قابلاً للتّجلّيات الإلهية .

١- يقول النبي ﷺ: (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل فما جلاؤها يا رسول الله قال كثرة تلاوة كتاب الله تعالى وكثرة الذكر لله عز وجل) رواه ابن شاهين

ويقول النبي ﷺ: (إن لكل شيء صقالة وصقالة القلب ذكر الله تعالى) رواه البيهقي عن ابن عمر

فصل في ذكر الله

اعلم أن فضل ذكر الله أشهر من أن يُذْكَرَ وأكثر من أن يُحْصَرَ، وهو بعد التوبة من أعظم أركان الطريق وأهمها وآكدِها، لأن المقصودَ من الطريق تخليص القلب من التعلق بما سوى الله تعالى، وهو أعظمها في ذلك لأن كثرته توجبُ استيلاءِ محبةِ المذكور على القلب بحيث لا يبقى معها محبة السِّوى[1]، وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة تنشأ عنها.

ولكونه عمدة في الوصول إليه عز وجل وقع الحث عليه في القرآن المجيد[2] والسنة المطهرة وكلام الأئمة أكثر من غيره من القربات قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾[3] أي استحضروا جلالي وعظمتي في قلوبكم أذكركم بالألطاف والإحسان وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾[4] أي داوموا على الذكر في جميع الأحوال.

١ـ يقول رسول الله ﷺ: (ذكر الله شفاء القلوب) رواه الديلمي عن أنس

٢ـ ورد لفظ الذكر في القرآن الكريم ٢٨٠ مرة ثلاثون منها تشير إلى الذكر القلبي

٣ـ سورة البقرة الآية (١٥٢)

٤ـ سورة آل عمران الآية (١٩١)

وقال تعالى في وصف المؤمنين الصالحين: ﴿واذكروا الله ذكراً كثيراً﴾[1]، وختم أوصاف أهل الإيمان بقوله تعالى ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾[2]، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[3]، وقال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾[4]، وقال تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾[6] .... إلى غير ذلك من الآيات .

وقال رسول الله ﷺ: **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والوَرِقِ وخيرٌ لكم من أن تلقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى، قال: ذكر الله)**[7] .

١- سورة الأحزاب الآية (٤١)

٢- سورة الأحزاب الآية (٣٥)

٣- سورة الأنفال الآية (٤٥)

٤- سورة الأعراف الآية (٢٠٥)

٥- سورة المزمل الآية (٨)

٦- سورة الإنسان الآية (٢٥)

٧- رواه الحاكم البيهقي وابن ماجة والنسائي وأحمد والترمذي عن أبي الدرداء

وسئل رسول الله ﷺ: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة.. فقال: (**الذاكرون الله كثيراً**)، قال أبو سعيد: قلت: يارسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟؟ قال: (**لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسرَ ويختضِبَ دماً لكان الذاكرون الله أفضلَ درجةً**)[1]، وقال رسول الله ﷺ: (**مَن عجِزَ منكم عن الليلِ أن يكابِدَه، وبخلَ بالمال أن ينفقَه، وجَبُنَ عن العدوِّ أن يجاهدَه فليكثرْ ذكرَ الله**)[2]، وقال ﷺ: (**ما عمل آدمي عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى**)[3]، وقال رسول الله ﷺ: (**ليذكرن الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهَّدَةِ يُدخلُهم الدرجات العلى**)[4]، وقال ﷺ: (**أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون**)[5].

وعن معاذ رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أيُّ المجاهدين أعظم أجراً ؟ فقال ﷺ : (**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**)، قال فأي الصالحين أعظم أجراً قال: (**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**)، ثم ذكر السائل الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول (**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذاكراً**)، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: (**أجل**)[6]

١- رواه الترمذي

٢- رواه الطبراني والبيهقي وابن النجار والبزار عن ابن عباس

٣- رواه أحمد والطبراني وابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل

٤- رواه ابن حبان وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري

٥- رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري

٦- رواه الطبراني عن معاذ بن أنس بن مالك

وعن أم أنس رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله أوصني قال: (**اهجري المعاصي فإنها أفضلُ الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثري من ذكر الله ، فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره**)[1].

وقال ﷺ : (**ليس يتحسَّرُ أهلُ الجنة إلا على ساعةٍ مرّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها**)[2] ، وقال ﷺ: (**ما من ساعةٍ تمرُّ بابن آدمَ لم يذكرِ الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة**)[3]، وقال ﷺ: (**مَن أكثرَ ذكر الله أحبه الله**)[4] ، وقال ﷺ: (**يقول الله عز وجل يوم القيامة سيعلم أهلُ الجمعِ اليوم مَن أهل الكرم**)، فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: (**أهل مجالس الذكر**)[5].

وقال ﷺ: (**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلت سيئاتُكم حسناتٍ**)[6] .

وعن عبد الله بن عمر قال: قلت يا رسول الله: ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: (**غنيمةُ مجالس الذكر الجنة**)[7]، وقال ﷺ: (**عن يمين الرحمن وكلتا يديه**

١- رواه الطبراني عن أم أنس

٢- رواه البيهقي والطبراني عن معاذ بن جبل

٣- رواه البيهقي وأبو نعيم عن عائشة

٤- رواه البخاري والدارقطني عن عائشة

٥- رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد الخدري

٦- رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني عن أنس ورواه البيهقي عن عبد الله بن معقل

٧- رواه أحمد

يمين رجال ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ، يغشى بياضُ وجوههم نظرَ الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل) قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: (**هم جُمّاع**[1] **من نوازِع**[2] **القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه**)[3].... والأحاديث الواردة في فضل الذكر كثيرة وفيما ذكرناه كفاية .

وأما كلمات الأكابر فكثيرة، منها ما قال الحسن البصري التابعي الأجل (الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل)، وقال الفضيل: (بلغنا أن الله عز وجل قال: **عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أَكْفِك ما بينهما**)[4] .

ومن مخاطبات داود عليه السلام لربه عز وجل: (إلهي إذا رأيْتَني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسرْ رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها عليَّ .

١- جماع أي أخلاط من قبائل شتى

٢- نوازع جمع نازع وهو الغريب

٣- رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة

٤- رواه أبو نعيم عن أبي هريرة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فصل في حقيقة الذكر وأقسامه

وبيان أن القسم الذي اختاره ساداتنا النقشبندية أفضل أنواع الذكر بل أفضل العبادات على الإطلاق بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة

اعلم أن من نطق باسم شيء أو أخطره في قلبه واستحضره في سره يقال أنه ذكره. ويقال للنطق به أو إحضاره في نفسه ذكر، إلا أن إطلاق الذكر على حضور الشيء في النفس وخطوره بالقلب إطلاق حقيقي، وأما على النطق بالاسم لساناً فبطريق المجاز المشهور، ويدلك على أن الخطور يسمى ذكراً قوله ﷺ في حق من فاتته صلاةٌ نسياناً فليصلّها إذا ذكرها ، فظاهره أن ليس معنى الحديث فليصلّها إذا نطق لسانه باسمها بل معناه أنه يجب عليه قضاؤها متى تذكّرَها قلبه، فلما عبّر عليه الصلاة والسلام عن هذا المعنى بقوله ذَكَرَها دلَّ على أن خطورَ الشيءِ بالبال ذِكْرٌ له قَطْعاً. ومما يدل على ذلك أيضاً مقابلة الذكر بالغفلة في قوله تعالى﴿واذكر ربك في نفسك﴾ إلى قوله ﴿ولا تكن

من الغافلين﴾،[1] والغفلة عن الشيءِ ذهولُ القلب عنه كما لا يخفى، فليكنْ ذكر الشيء حضور القلب معه .

إذا علمت هذا، فاعلم أن ذكر الله تعالى الذي سبَقَ بيانُ فضله ليس قاصراً على ذكر اللسان فقط، بل الذكر على أقسام .. وفي كل منها فصل، إلا أن بعضها أعلى من بعض، فأدنى أقسام الذكر باللسان والقلب غافل مع تصحيح اللفظ الذي يذكر به على قانون الشرع. قال حجة الإسلام الغزالي: فأما الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليلُ الجدوى، بل قال كثير من العارفين إنه عديم النفع ولا يصلْ بهذا القسم إلى حضرة الحق تعالى أحدٌ أبداً

القسم الثاني: وهو أعلى مما قبله بمراحل: الذكر باللسان أيضاً مع حضور القلب وعدم غفلته وقت الذكر، فهذا إن داوم عليه صاحبه بإذن العارف الواصل وصل بفضل الله تعالى إلى القسم الرابع من أقسام الذكر الآتي بيانها، وقد ورد في فضل هذا القسم بخصوصه شواهد من الكتاب والسنة، ووصل به إلى الله تعالى كثير من الصوفية وعوّلوا عليه في توصيل المريدين

القسم الثالث: الذكر بالقلب بمعنى ملاحظة اسمه تعالى فقط أعني من غير حركة لسان ولا اشتغال قلب بالمعنى، وهذا القسم لم يأمُرْ أحد من الصوفية بالاشتغال به، واختلف الفقهاء في حصول الثواب عليه، وإنما أُثيب من لاحظَ لفظ الحمد لله عقب العطاس في بيت الخلاء لأنه ذكر طلب بخصوصه وهو منهيٌّ عن النطق باللسان في هذه الحالة، فقامت الملاحظة مقام التلفُّظ للعذر .

١- سورة الأعراف الآية (٢٠٥)

القسم الرابع: الذكر بالقلب أيضاً لكن لا بمعنى إحضار الاسم الشريف فقط كما سبق في الذي قبله، بل بمعنى إحضار الاسم الشريف مع امتلاء القلب بمعناه، وهو ذاتٌ بلا مِثْلٍ بحيث يكون القلب ممتلِئاً بالهيبة من المذكور، مستغرقاً في جلاله، ملاحِظاً أنه مطّلع عليه وقريب منه على وجهٍ لا يبقى معه لخطور الغير مُدْخَل

هذا إن كان الاشتغال باسم الذات، فإن كان الاشتغال بالنفي والإثبات -أعني كلمة (لا إله إلا الله) - لاحظ لفظها على الكيفية الآتية مع كمال الاستغراق في المعنى أيضاً ولا بد في هذا القسم، سواءً كان باسم الذات أو النفي أو الإثبات، من أن يكون القلب على كمال الانكسار وكمال الشعور بالمذكور بحيث يكون إحضار صيغة الذكر تابعاً لتذكّر المعنى لا متبوعاً، وهذا القسم هو أعلى أقسام الذكر ونهايتها، بل أفضل من جميع العبادات البدنية، بل أفضل من جميع العبادات القلبية كما دلّت عليه السنة وأقوال الصوفية وأجمع عليه فقهاء المذاهب الأربعة، وهو الذي اختاره ساداتنا النقشبندية وقد ورد في القرآن الكريم ﴿ولذكر الله أكبر﴾[1]

أما السنة فمنها ما روي أن رسول الله ﷺ قال: (**سبق المفردون**) قالوا: يا رسول الله وما المفردون ؟ قال: (**المستَهْتَرون**[2] **بذكر الله، يضع الذكر عنهم**

١ـ سورة العنكبوت الآية (٤٥)

٢ـ المستهترون بفتح التاءين أي المولعون بذكر الله والمستغرقون فيه كمال الإستغراق

أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً)[1]، ولا يحصل هذا على الوجه الأتم إلا إذا كان الذكر قلبياً صرفاً وحضوراً بحتاً، فإن تلفّظ اللسان ينقص منه حضور القلب على قدره، فالفائزون بهذا النوع من الذكر هم الفائزون عند الله بأعلى درجات السبق بشهادة هذا الحديث الشريف .

ومنها قوله ﷺ: (**ما من يومٍ وليلةٍ إلا ولله عز وجل فيه صدقة يمنُّ بها على من يشاء من عباده، وما مَنَّ الله على عبدٍ بأفضلَ من أن يُلْهِمَهُ ذكرَه)**[2] ، ووجه دلالة هذا الحديث ان الإلهام هو قذف المعنى في القلب، ولا معنى لإلهام الذكر إلا أن يوفّقَ الله عز وجل قلبَ عبدِه لتذكره، وقد جعله النبي ﷺ أفضل الصدقات، فدلَّ على أن هذا التذكر أفضل العبادات، وهو ما اختاره السادة النشقبندية كما بيّنا .

وقال ﷺ: (**إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إنك إذا ذكَرْتَني شكَرْتَني، وإذا نسيتني كفرتني)**[3] ، فانظر كيف قابل الذكر باللسان ليدلَّ على أن المراد بهذا الذكر التذكّر بالقلب لحضرة المذكور .

وقال ﷺ: (**اغدوا أو روحوا في ذكر الله وذكروا أنفسكم. من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ؟ فإن الله ينزل العبد من حيث أنزله من نفسه)**[4] ، فهذا صريح منه ﷺ في أن تذكُّرَ الإنسان نفسَه

١- وفي لفظ (المستهترون في ذكر) رواه مسلم والترمذي والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة وورواه الطبراني عن أبي الدرداء

٢- رواه ابن أبي الدنيا

٣- رواه الطبراني عن أبي هريرة

٤- رواه البيهقي والطبراني والبزار والحاكم عن جابر

بربه كلما كان أكمل كانت منزلة العبد عنده عـز وجـل أرفـع وأكمـلُ أنواعِ الذكر هو الذكر الذي اختاره هؤلاء السادة رضي الله عنهم كما بيَّنا .

ومنها قوله ﷺ: (**إن الشيطان واضعٌ خَطْمَه على قلبِ ابن آدم، فإن ذكـر الله خَنَسَ وإن نَسِيَ التقَم قلبه**)[1] ، وفي جَعْلِ النسيان سبباً لالتقام الشـيطانِ قلبَ ابنِ آدمَ دليل على أن الذكرَ الطَّاردَ له إنما هو الملاحظـة والحضـور مـع الله وأنه أعلى الأذكار .

وقال ﷺ : (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظـل إلا ظُلـه**) وعدهـا إلى أن قال: (**ورجل ذكر الله خالياً ففضات عيناه**)[2] .

وقد علم بالتجربة المفيدة للقطع أن الذكـر الـذي يستعقِبُه البكـاء وفيضـان الدمع إنما هو هذا النوع من الذكر، فدلَّ على أنه المراد، فهنيئاً ثم هنيئاً لمن تعلّم هذا الذكر من أهله وعمل به .

وروي أيضاً عنه ﷺ: (**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بـي وأنـا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسـه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتـه في ملإٍ خير منه**)[3] .

قال الخطيب: المراد بالذكر في النفس أن يستحضرَ في قلبه عظمة الله تعالى، وتقديمه على أفضليته، ومن تتبَّع السنة رآها ناطقـةً بـأن عمـل السـرِّ يزيـد على عمل العلانية، بل جاء فيها التصريح بأفضلية هذا القسم من الذكـر على غـيره

١- رواه البيهقي وأبو يعلى وابن أبي الدنيا عن أنس

٢- رواه البخاري ومالك والترمذي وأحمد والبيهقي والنسائي عن أبي هريرة

٣- رواه الطبراني

بسبعين ضعفا . قال ﷺ : (**الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا**)[1]

وأما أقوال الصوفية فكثيرة، قال منبع العلوم سيدنا علي كرم الله وجهه لابنه الحسن: (أوصيك بتقوى الله تعالى، وعمارة القلب بذكره)، وقال سيد الطائفة الجنيد: (من الأعمال ما لا يطّلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب وما طويت عليه الضمائر من هيبته وتعظيمه)، وقال: (أقرب ما يتقرب به المقربون إلى الله عمل خفي بميزانٍ وفيٍّ)، وقال: (التصوف جامع لعشرِ خِصال وعدَّها إلى أن قال: وداوم ذكر الله بالقلب) .

وقال حجة الإسلام في الإحياء: (حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات) .

وقد عرفت أن الذكر القلبي عند النقشبندية هو ذلك الحضور مع نطق لسان القلب باسم الذات أو النفي والإثبات كما سيأتي تفصيله في الفصل بعد هذا، وقد حكم الأستاذ بأنه المقدم على سائر العبادات كما ترى وأقر شارحه العلامة المحقق مرتضى بل قال حجة الإسلام أيضا في كتابه (كيمياء السعادة) ما نصه: ولا تظنَّ أنَّ هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط، بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلّص من يدِ الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة، فإذا جلس في مكانٍ خالٍ وعطّل طريق الحواس وفتح عين الباطن

١- رواه البيهقي عن عائشة هذا وقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة منها صريح التصريح من النبي ﷺ عن الذكر الخفي أورد منها قوله ﷺ: (**اذكروا الله ذكراً خاملاً**) قيل: وما الذكر الخامل ؟ قال : (**الذكر الخفي**) [رواه ابن المبارك عن ضمرة بن حبيب مرسلاً]

وقوله ﷺ: (**خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي**) [رواه أحمد والبيهقي عن سعد]

وسَمْعَهُ وجعل القلبَ في مناسبة عَلاّم الملكوت وقال دائماً: (الله الله الله) بقلبه دون لسانه إلى أن يصيَر لا خبرَ له من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت تلك الطاقة وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والصور الحسنة الجميلة الجليلة، وانكشف له ملكوت السموات والأرض، ورأى مما لا يُمكِن شرحه ولا وصفه، كما قال النبي ﷺ: (زُوِيَت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها)[1] وقال الله عز وجل: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾[2]، لأن علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلها كانت من هذا الطريق لا من طريق الحواس، كما قال سبحانه وتعالى ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾[3] معناه الانقطاع عن كل شيء وتطهير القلب من كل شيءٍ والابتهال إليه سبحانه وتعالى بالكلية وهو طريق الصوفية في هذا الزمان، وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة، وكذلك عِلْمُ الأولياء لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة مع حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾[4] وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصلْ بالذوق لا تحصلْ

١- رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

٢- سورة الأنعام الآية (٧٥)

٣- سورة المزمل الآية (٨)

٤- سورة الكهف الآية (٦٥)

بالتعليم، والواجب التصديق بها حتى لا تُحْرَمَ شُعاعَ سعادتهم، ومن لم يصِرْ لم يصدِّقْ كما قال تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾[1] وكلام هذا الحجة حجة قاطعة كما لا يخفى على أهل الإنصاف فيما اختاره مشايخنا رضي الله عنهم من الذكر.

وقال العارف الشاذلي قدس سره: (الذرة من أعمال القلوب تعدل أمثال الجبال على أعمال الجوارح)، وقال الشيخ الأكبر محيي الدين في (الفتوحات المكية) في باب الذكر: (وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو (الله الله) إلى أن قال: (وتَحفَّظْ أن يفوهَ به لسانك، وليكن قلبك هو القائل، ولتكن أذنك مصغية لهذا الذكر حتى ينبعثَ الناطق من سرك، فإذا أحسَسْتَ بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تتركْ حالك التي كنت عليها، فإنها قوة عَرَضِية، إن أخللت بجمعيتك لم تلبثْ أن تزولَ سريعاً، وعلى ذلك القدم جميع شيوخ. الرسالة النقشبندية والشيخ السري ومعروف الكرخي وداود الطائي وإبراهيم بن أدهم وعبد الله بن حنيف والفضيل بن عياض والحارث المحاسبي والحافي وغيرهم قدس الله سرهم كما يعلم باستقراء كلماتهم... وفي هذا القدر كفاية لطالب الرشاد والهداة والبعيد عن المشاغبات والغواية.

وأما أقوال فقهاء المذاهب من الشافعية رضي الله عنهم، فقال من الشافعية العلامة البيجوري في حاشيته على شرح بن قاسم أول كتاب الصلاة: العبادات البدنية الباطنة - كالتفكُّر والصبر والرضا بالقضاء والقدر - أفضلُ من العبادات

١- سورة يونس الآية (٣٩)

البدنية الظاهرة حتى من الصلاة ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] ، فقد ورد (**تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وأفضل الجميع الإيمان**)[2] .

وقال الشرقاوي في حاشيته على التحرير نحوه: (وقد عرفت أن الذكْر القلبيَّ الذي اختاره مشايخنا لا يخرج عن التفكر في عظمته تعالى والاستغراق فيها، والإيمان با لله وصفاته على طريق التجدد والاستمرار مع الاشتغال باسم الذات أو الكلمة المشرّفة على ما سيأتي)؛ وقال العلامة الجمل في حاشية شرح المنهج أول كتاب الصلاة: (والصلاة أفضل عبادات البدن بعد الإسلام) ثم قال: (وخرج بعبادات البدن عبادات القلب، فإنها أفضل من الصلاة، كالإيمان والمعرفة والتفكر والتوكل والصبر والشكر والرضا والخوف والمحبة لله تعالى ولرسوله، وأفضلها الإيمان، ويكون واجبا وقد يكون تطوعاً كما في التجديد). والذكر القلبي الذي اختاره المشايخ من قبيل الإيمان با لله على طريق التجديد، وقد عرفت بنصوصهم أن أفضل العبادة قلبية أو بدنية الإيمان، فدلَّ على أن ما اختاروه أفضل العبادات قطعاً

وقال العلامة ابن حجر الهيثمي في (الفتاوي الحديثة) في آخر جواب السوال عن الملائكة هل خُلِقوا دفعة أو تارات: (إن جماعةً من أئمّتنا وغيرهم يقولون لا ثوابَ في ذكر القلب وحده ولا مع اللسان حيث لم يُسْمِعْ نفسه، وينبغي حملَه على أنه لا ثوابَ عليه من حيث الذكر المخصوص، أما اشتغال القلب بذلك

١- سورة العنكبوت الآية (٤٥)

٢- رواه أبو الشيخ وابن حبان عن أبي هريرة ورواه الديلمي عن أنس .

وتأمُّلِ معانيه والاستغراق في شهودها فلا شكَّ أنه بمقتضى الأدلة يُثاب عليه من حيث الحيثية سبعين ضعفاً)[1].. وذكر مشايخنا هذه الملاحظة مع زيادة ما مر.

وقال من المالكية القاضي عياض رحمه الله: (ذِكْر الله ضَربان: ذكرٌ بالقلب وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفعُ الأذكار وأجلُّها التفكُّرُ في عظمِة الله تعالى وجلاله)، وقال منهم العلامة الدرديرُ: (وناهيك به إماماً النوع الثاني: الذكر بالقلب، وهو شأن أرباب النهايات)، وقال مُحَشِّيه[2] المحقق الصاوي: (وهو أفضل الأذكار)، وساق ما مرَّ من كلام الشاذلي، ومن ثم قال مشايخ النقشبندية: (نهايتُنا بداية غيرها) .

وقال من الحنفية السيد مرتضى: (والكثيرون منهم بأفضَلِيَّة ذكرِ القلب وحده كما يُعْلَمُ من الوقوف على كلامه في الشرح المذكور وغيره وتركنا نقله لطوله وكثرته .

وفي كتاب (بغية أولى النهي شرح غاية المنتهى) من فقه الحنابلة عند قول المتن: (صلاةُ التطوّع أفضل من تطوّعِ بدنٍ لا قلب) وقوله (لا قلب) إشارة إلى أن عمل القلب أفضل .

وبما تقرر من أدلة السنة السابقة وغيرها وأقوال الصوفية وكلام فقهاء المذاهب الذي أسلفناه تعلم يقيناً أن أفضلَ ما يتقرَّبُ به المتقربون إلى الله تعالى وأقربه وأكثره ثواباً (الذكر القلبي) الذي اختاره مشايخنا رضي الله عنهم، وبه

١- أوردنا حديث النبي ﷺ :(**الذكر الذي لاتسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً**)رواه البيهقي عن عائشة

٢- أي كاتب حاشيته

تعلم الذكر القلبي الذي نفى عنه بعض العلمـاء الثواب ليس هـو النـوع الـذي اختاره مشايخنا منه كما مرَّ موضَّحاً في عدد أقسـام الذكـر، وبانَ لـك أنَّ مـن يطعنُ على طريق هؤلاء الأكابر إما معاندٌ مكابرٌ فـلا يصـحُّ الاشـتغال معـه ولا الالتفات إليه، بل سقوطه من نظر الله لمعاداته أولياء الله يكفيه[1] ، وإما جـاهل بما في السنة وما عليه علماء الأمة فينبغي تعليمه وإيقاظه لوجه الله تعالى .

وفيما أوردناه كفاية لذلك والحمد لله ...

وحيث بان لك أن أفضل الكيفيات هـي الكيفيـة الـتي وصـل بهـا المشـايخ النقشبندية ووعدنا بتفصيل الكلام عليها فلنشرع في ذلك وبالله التوفيق .



١- يقول النبي ﷺ : (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) [رواه البخاري عن أبي هريرة] ويقول النبي ﷺ : (يقول الله تبارك وتعالى من عادى لي ولياً فقد ناصبني بالمحاربة) [رواه الطبراني عن ابن عباس]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فصل في كيفية الذكر

عند السادة النقشبندية

اعلم أنَّ طريقَ المعرفة والوصول إلى الله تعالى عند السادة النقشبندية إما بمحض الصحبة أو الذكر أو المراقبة. فإن أردتها فلا بدَّ لك أن تطلبَ شيخاً مرشداً جامِعاً بين الشريعة والحقيقة، وارِثاً للأخلاق المحمدية، لأن طلب الشيخ هو عين طلبه تعالى ﴿وابتَغوا إليه الوسيلةَ﴾[1]... الرفيق ثم الطريق. من لا شيخَ له فالشيطان شيخه[2] لكن لا ينبغي أن تعتقدَ أن الشيخ مقصود ومطلوب، فالشيخ كالكعبة يسجدون إليها والسجود لله، فهكذا الشيخ.

١ـ سورة المائدة الآية (٣٥)

٢ـ إن هذا القول ربما يستهجنه مسلمو هذا العصر ويرون فيه شيئاً من المبالغة، أما أهل ذلك العصر فيرون فيه عين الحقيقة لأنهم لما استقرؤوا نهج النبي ﷺ في تربية الصحابة وكانوا جميعا يرسلون أولادهم لينتظموا في حلقات المشايخ، ثم لما شرعوا في الدعوة إلى الله وجدوا أنه لا بد للمسلم من التزكية الروحية ولا يكون ذلك إلا عن طريق مرشد مزكٍ مربٍّ لقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا....﴾ [سورة الكهف الآية ٢٨] وقوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [سورة البقرة الآية ١٢٩]

ثم تتوب على يديه توبةً جامعة للأركان والشروط مع إخلاص النية والاعتقاد ظاهراً وباطناً، وتحسن خدمتَه وتلازمُ صحبتَه بكمال الأدب ثم تتلقى منه الذكر (باسم الذات أو النفي والإثبات)، فإذا تلقّنتَ فكُنْ حريصاً على الآداب التي تنبغي عند كلٍّ من الذاكرين.

فأما آداب الأول فهي أن تصلّيَ ركعَتَيْن في غير وقت الكراهة، وتجلسَ على ركبتيك متورّكاً عكس تورّك الصلاة بأن تُخْرِجَ قدمَ الرجل اليمنى تحت ساق الرجل اليسرى، وتعتمد على الورك، مستقبلَ القبلة، مغمِضاً عينيك، قاطعاً جميع حواسِّك، ملاحِظاً أنَّ الله ناظرٌ إليك يسمعك ويراك، وتُحْضِرَ في قلبك أنك مذنبٌ مقصِّرٌ خالٍ من الأعمال الصالحات والعلومِ النافعات، ثم تقول بلسانك: (أستغفر الله) خمساً وعشرين مرة، وتلاحظ معنى الاستغفار وهو طلب المغفرة منه تعالى مع كل مرة، ثم تقرأ الفاتحة مرةً والإخلاص ثلاثاً وتُهدي ثوابها إلى حضرة النبي ﷺ وإلى جميع مشايخ الطرق خصوصاً النقشبندية. ثم تلاحظ الموت وأحواله، والقبر وأهواله، وأن هذا آخر نفس من الدنيا، ثم تقرّرَ صورةَ مرشدك وتحفظَ صورته في خيالك في غيبته وحضوره وتعمق النظر من ناصيتك إلى ناصيته وتستمد البركة منه بالقلب، ثم تطرح الصورة بالخيال في وسط قلبك فيحصل لك بها فائدة الجمعية كما تحصل الفائدة من الذكر[1] لأن المرشد بموجب **(هم جلساء الله)** لا يشقى جليسه بل

١ـ ما شرحه المؤلف في هذه الفقرة الأخيرة يسمى بالرابطة والرابطة هي أثر طبيعي من آثار الحب وميل القلب تعرض للإنسان كلفاً من غير تكلف، فقد كان حال الصحابة على دوام التذكر للنبي ﷺ في غيابه وعلى مزيد من الشوق للقائه... فهذا سيدنا أبو بكر الصديق يقول: (يا رسول الله إني أراك في أماكن لا تليق بك)حتى أنه من شدة رابطته بالنبي ﷺ صار شبيها به يقول سيدنا عمر: (والله إني لأرى رسول الله ﷺ حتى في المكان الذي أستحي منه)، ويقول ابن عباس: (ما نظرت في المرآة منذ سبعة عشر عاماً إلى ورأيت وجه-

يسعد، ومنشأ الشقاوة الغفلات، ومبدأ السعادة الحضور معه عز وجل، وروح المجالسة ارتباط قلب الجليس بالآخر وارتسام صورته في نفسه، فإذا حصلت ولو في الغيبة ترتبت عليها الثمرات الموعود بها من قبل الحق تبارك وتعالى[1]، لأن المرشد كالميزاب يُنْزِلُ الفيض الإلهي من البحر المحيط إليك فبحفظها تتحقق وتتصف بأوصاف الشيخ وأحواله وما له من الصفات بموجب (**المرء مع من أحب**)[2] ، ثم تقول: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي). ثم تلصق الأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، واللسان بسقف الفم، موجّهاً جميعَ حواسّك إلى القلب، نافذاً بتوجهك إليه وتتصور بفراغ البال معنى اسم الجلالة ومدلول كلمة (الله)، وهو ذاتٌ بلا مثل، وتجعل قلبك مملوءاً بتذكر هذا المعنى وهذا الجعل يسمى (وُقوفاً قلبياً) ، ولا بد من وجوده في جميع أوقات الذكر وفي خارجها ما أمكن، ثم تشرع في ذكر الله بالقلب من غير عدد، لكن مع الوقوف القلبي المذكور.

وإذا حصلت للذاكر أثناء الذكر غيبة وذهول عن العالم وتعطلت حواسه ولو مع بقاء قليل من شعور بنفسه فيترك الذكر ويبقى مع تلك الكيفية مستغرقاً في الوقوف القلبي ولا يتعمد قطعها، فإذا أفاق من نفسه يعود إلى الذكر، وعند

=رسول الله ﷺ) . واستحضار صورة الشيخ لا يعني أن الذاكر يعبد الشيخ أو يتوجه إليه بكليته أو يذكره دون الله وإنما معناه ارتباط روحه بروح أقوى ترفعه وتزكيه فليس معنى الرابطة استحضار الصورة وإنما معناه استحضار روحانية الشيخ ليستقي الذاكر منها .

١- يقول النبي ﷺ: (**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله**) [رواه الحكيم عن ابن عباس]

وقال ﷺ: (**خيار أمتي إذا رؤوا ذُكِرَ الله**) [رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت]

وقال ﷺ: (**إن من الناس مفاتيح لذكر الله إذا رؤوا ذكر الله**) [رواه الطبراني عن ابن مسعود]

٢- رواه أحمد والبيهقي والترمذي عن أنس بن مالك ، ورواه البيهقي من طريق آخر عن ابن مسعود ، ورواه الطبراني عن علي .

تمامه يبقيه مدةً يسيرةً مع ملاحظة الوقوف القلبي منتظراً للوارد محضّراً قلبه لنزول الفيض إذ قد تُفاض عليه في تلك المدة اليسيرة أمور عزيزة وإن لم يدرِكْها وينبغي للشخص أن يرتبَ له وقتاً قدر ساعة أو أقل بعد العصر يشتغل فيه بالرابطة ثم الوقوف القلبي من غير ذكر، وإذا ارتسخ الذكر في القلب بحيث لو تكلّفَ الذاكر بإحضار الغير لم يحضرْ، انتقل ذكره إلى الروح، وهي لطيفة تحت الثدي الأيمن، ثم إلى (السر) وهو في يسار الصدر وفوق القلب، ثم إلى (الخفيّ) وهو يمينه فوق الروح، ثم (الأخفى) وهو في وسط الصدر، ثم ينتقل إلى النَّفْس، وهي في الدماغ .. وكلٌّ من هذه المحالُ محلٌّ للذكر على (الترتيب المذكور).

ولا ينبغي أن ينتقلَ من لطيفة إلى أخرى إلا بأمر المرشد، فإذا ارتسخ الذكر في لطيفة النفس حصل له سلطان الذكر، وهو أن يغلبَ الذكر على جميعه بل على جميع الآفاق أيضاً بحيث يحسُّ بنطق جميع أعضائه ومفاصله بالذكر وبنطق ما حوله من الآفاق به، ومتى وصل إلى هذا الحال صحَّ أن يلقنَ الذكر بالنفي والإثبات، أعني كلمة لا إله إلا الله .

وآداب هذا الذكر أن يلصقَ اللسانَ بسقفِ الحلق، ويحبسَ النفس تحت السرة ويجريه بكلمة (لا) منها إلى منتهى الدماغ، وبكلمة (إله) من الدماغ إلى كتفه الأيمن، وبكلمة (إلا الله) منه إلى القلب ضارباً عليه منفذاً إلى سويدائه بقوة بحيث يتأثر بحرارته جميع البدن، وينفي بشق (النفي) وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء، ويثبت بشق (والإثبات) ذات الحق سبحانه ناظراً بنظر البقاء، ويحيط على محل اللطائف ويلاحظ الحظ الحاصل ويستحضر معنى الكلمة وهو لا مقصود إلا ذات الله. وإنما اختير هذا لأن نفي المقصودية أبلغ

من نفي العبودية، وإن كل معبود مقصود ولا عكس ويقول في آخرها بالقلب (محمد رسول الله)، ويريد به التقييد بالإتباع، ويكررها على قدر قوة النفس ويطلقه على عدد وترك مرة أو ثلاثة قائلاً (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي)، ثم يستأنف ويزيد في العدد إلى أن يبلغَ إحدى وعشرين مرة في نفس واحد، فإذا انتهى العدد إلى ذلك تظهر النتيجة وهي النسبة المعهودة من الذهول والاستهلاك، فإن لم يظهرْ فليستأنف، وليصدق في ذكره بأن يطابقَ فعله قوله مضمون الذكر، فإن المقصودية لما سواه إذا كانت باقية في الذاكر وخلاف الأتباع في شيء إذا كان واقعاً منه لزم الكذب فلا يوصله الذكر إلى المقصود حينئذٍ، فإذا جاهد فيه حق جهاده وصدق فيه ظهرت النتيجة، فتصلح له المراقبة وهي رؤيةُ جنابُ الحق سبحانه وتعالى بعين البصيرة على الدوام مع تعظيم مذهل، وجذب حامل، وسرور باعث وشوق حاثّ. والمداوم عليها مع المجاهدة التامة يكون دائماً في التقرب وأبداً في التحبُّبِ حتى تنتهِيَ مراقبته إلى المشاهدة من غير حجابٍ لأنّ المجاهدة بذر المشاهدة، فمن لم يزرعْ بذرَ المجاهدةِ في أرضِ الاستعدادِ لم يحصدِ المشاهدةَ في التجلياتِ، بل المجاهدة إنما هي سفينة بحر المشاهدة، فمن لم يركبْ سفينة المجاهدة لم يسبحْ في بحر المشاهدة، فالمشاهدة أن يكشف للعبد أن أنوارَ وجود وحدة الذات الإلهية محيطةٌ بجميع الأشياء، وأنه تعالى ظاهر في كل صورة.

لكن ذلك الكشف على حسب استعدادات المشاهدين في صفاءِ أرواحهم وذكاء نفوسهم وجودة حواسّهم واستعلائهم على الجسمانية وارتقائهم إلى الروحانية وتفاوُتِ أقرَبِيَّتِهم من الحضرة الإلهية. وبعد هذه الخصوصيات يصير الابتهاج بأنوار الربوبية والاستكشاف بأسرار الأحدية.

ولا بد لمن أرادَ الوصول إلى مقام الكشف والشهود أن يُخلِصَ محبة الله تعالى عن محبة السوى، ويفردَ قصده لذات الله تعالى لا لأحل الكشف والكرامات، وأن يعبدَ مخلصاً لله تعالى لا لأحلِ الأجر والنجاة، وأن يُطبِّقَ أعماله على قانون الشريعة وميزان السنة، وأن يجرّدَ قلبه عن غواشي[1] العلوم وشواغل الخواطر، وأن يزكّيَ نفسَه عن الأماني والآمال، وأن يطلقَ روحه عن عِقالِ[2] القيود الجسمانية والعوائق الحيوانية، وأن يحلَّ عقله عن عقود القوى والحواس، وأن يزكّيَ أخلاقه عن الرذائل والمذمومات، وأن يجرِّدَ ذهنه عن العلائق البدنية والعادات الطبيعية، وأن يتوجَّهَ على الدوام إلى العوالم الروحانية والمجرَّدَات القدسية وأن يستَبْعِدَ عن المقتضيات البشرية ويتقرَّبَ إلى الخصال المَلَكية.

وينبغي للمريد الصادق أن يراعِيَ آدابَ أهِل الطريق خارج الذكر، وهي كثيرة منها: دوام الوضوء، ملازمة الجماعة، وأداء الراتب، وإيثار الذكر على النفل المطلق، والتلاوة والصلاة عليه ﷺ، ونحوها إلى أن يصلَ درجةَ المراقبة، فإذا وصلَ إليها وتمَّ له الفناء الحقيقي فليتعبَّدْ بما شاء، فإنه حينئذٍ عبد الحق لا عبد النفس، وكل أعماله قُرُبات، وكل أحوالِه متقبَّلة كما قيل:

وبعد الفنا في الله كيفما تشا فعلمُك لا جهل وفعلك لا وِزْرُ

١- الغواشي هي الأغطية والحجب

٢-هو حبل يشده الإبل

ومنها إحياء ما بين العِشاءَيْن[٢] بالذكرِ لأنّ العمل في ذلك الوقتِ مهمٌ جداً، وكذلك إحياء ما بعد العصر كما مرَّ، وهذا بالنسبة للمحترِف ونحوه، أما المتجرِّدُ فآدابُه استغراق جميع الأوقات في الذكر الذي تلقّنه من المرشد.

ومنها اعتزالُ غيرِ المعتقدين للطريقةِ المنكرين على أهلها ما استطاع، ورعاية هذا الأدب مؤكَّدَةٌ على مريدِ الوصول إذ مخالطة المنكرين على أهل الباطن تورِثُ قسوةً في القلب على قدرِها.

ومنها تحرِّي الحلالَ في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، فإنه لا يصل متعاطي الحرام إلى الحق أبداً حتى ينزَعَ عنه.

ومنها كمال الانكسار بحيث يرى نفسَه أقلَّ المخلوقات، ولا يرى له فضلاً على أحدٍ، ويرى نفسَه يستحقُّ العقوبة لولا فضل الله عز وجل. ومنها اشتغاله بعيوب نفسه عن عيوب غيره، فإن اطّلع من أحدٍ على عيبٍ فليعلمْ أنّ هذا المعيب مرآةٌ ظهر فيها عيبُه.

ومنها كمال محبّته لأستاذه وتوقيره له ظاهراً وباطناً ورعاية الأدب معه حضوراً وغيبةً ...

وبالجملة، فعلى قَدْرِ رعاية الأدب مع المُرشِدِ تكون سرعة الوصول إلى الكمال.

٢ـ أي صلاتي المغرب والعشاء

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فصل في ختم الخواجكان

اعلم أنَّ مِنْ خصائص الطريقة النقشبندية قراءة ختم الخواجكان قدس الله سره، فإنه مجرَّب لحصول المقاصد ودفع البليات والحوادث وقَبول الدعاء مع المحافظة على الشرائط الآتية، وهو أعظم الركن، وأفضل الوِرْدِ المخصوص بالطريقة النقشبندية بعد اسم الذات والنفي والإثبات، فإنَّ أرواحَ المشايخ ببركة هذا الوِرْدِ يُعِينون مَنِ استعان بهم، وذلك مرويٌّ عن قدوة السالكين الخواجه عبد الخالق الغجدواني وعن الخواجه بهاء الحق والدين السيد محمد النقشبند قدس الله سرهما العزيز، وهو مشهور بين الأكابر النقشبندية وسالكيهم. فإذا قرئ لقَضاء الحاجات وحصول المقاصد فالأوْلَى أن يكونَ الختم في أشرف الأوقات كيوم الجمعة وليلة يوم الخميس وليلته وبعد العصر فيهما ويوم الاثنين، ويدخل الخلوة وحدَه أو مع جماعة مأذونين من المرشد بقراءته بدون أن يتكلّموا في أثنائه، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين يقرأ فيهما الفاتحة مرةً وآية الكرسي سبع مرات ثم بعد السلام يقرأ هذا الدعاء من غير كلام:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين... اللهمّ يا مفتح الأبواب، ويا مسبّبَ الأسباب، ويا مقلبَ القلوب والأبصار، ويا دليلَ المتحيّرين ويا غياث المستغيثين. أغثني توكلت عليك يا رب، وفوضت أمري إليك يا فتاح يا وهاب يا باسط، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين

ثم يشرع في قراءة الختم على الكيفية الآتية، فإذا انتهى يهدي ثوابه إلى حضرة النبي ﷺ وأهل بيته وإلى روح من وضع هذا الختم وإلى أرواح سائرِ أكابرِ مشايخ السلسلة النقشبندية ويستمدُّ منهم في حصول المراد ويتوسَّل بهم في قضاء الحاجة إلى الله تعالى، ثم يوزّع على من حضر من إخوانه شيئاً من التمر أو الزبيب أو غيرهما من الحلوى تفاؤلاً بقبول الدعاء وحصول الألفة بينهم، فإن الله تعالى يعطيه ما سأل هذا إذا كان لقضاء الحاجة، أما إذا كان يقصد التقرب فإنه لا يختصّ بوقت دون وقت.

وآدابه ثمانية: (الأول) الطهارة من الحَدَثْ، (الثاني) المكان الخالي، (الثالث) الخشوع والخضوع والحضور، (الرابع) كون الحاضرين مأذونين من هذه الطريقة، (الخامس) تغميضُ العينين إلى آخر الختم، (السادس) أن لا يحضرَ فيه أمْرَد، (السابع) أن يغلقَ الباب، (الثامن) أن يجلسَ متورِّكاً عكس تورك الصلاة.

وأما أركانه فعشرة: (الأول) الاستغفار خمس عشرة مرة، وينبغي أن يقرأ قبلَه الدعاء المارّ، (الثاني) رابطة الشيخ كما تقدم في فصل الذكر، (الثالث) قراءة الفاتحة سبع مرات، (الرابع) الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة، (الخامس) سورة (ألم نشرح لك..) تسعاً وتسعين مرة، (السادس) سورة الإخلاص ألف

مرة وواحدة، (السابع) قراءة الفاتحة سبع مرات، (الثامن) الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة، (التاسع) قراءة ما تيسر من القرآن، (العاشر) الدعاء في آخر الختم وهو هذا:[١]

الحمد لله الذي بنور جماله أضاءَ قلوب العارفين، وبهيبة جلاله أحرق فؤاد العاشقين، وبلطائف عنايته عمَّر سرَّ الواصِلين؛ والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .اللهم بلِّغْ وأوصِلْ ثوابَ ما قرأْناه ونورَ ما تلَوْناه بعد القبول منا بالفضل والإحسان إلى روح سيدنا وطبيب قلوبنا وقرة أعيننا محمد المصطفى ﷺ، وإلى أرواح جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلى أرواح جميع مشايخ سلسلة الطرق العلية خصوصاً النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية قدس الله أسرارهم العلية، خصوصاً إلى روح إمام الطريقة، وغوث الخليقة، ذي الفضل الجاري، والنور الساري، الشيخ محمد معروف بشاه نقشبند الأويسي البخاري قدس الله سره العالي، وإلى روح قطب الأولياء، وبرهان الأصفياء، جامع كمالات الصوري والمعنوي الشيخ عبد الله الدهلوي قدس الله سره العالي، وإلى روح الساري في الله الراكع الساجد، ذي الجانحين في عِلْمَي الظاهر والباطن ضياء الدين الشيخ مولانا خالد قدس الله سره العالي، وإلى روح سراج الملة والدين الشيخ عثمان قدس الله سره العالي، وإلى روح القطب الأرشد والغوث الأمجد شيخنا وأستاذنا الشيخ عمر قدس الله سره العالي...

١ـ ترى تبايناً بين الختم هنا والختم الذي يقرأ اليوم وذلك لإضافة أسماء جديدة إلى السلالة النقشبندية المباركة وكذلك طرأ تشعب في السلاسة بعد مولانا الشيخ خالد.. وعلى أية حال قمت بذكر الختم المقرور في يومنا في الملحق .

..اللهمَّ اجعلنا من المحسوبين عليهم، ومن المنسوبين إليهم، ووفّقنا لما تحبّه وترضاه يا أرحم الراحمين، اللهم أجِرنا من الخواطر النفسانية، واحفظنا من الشهوات الشيطانية، وطهّرنا من القاذورات البشرية، وصفّنا بصفاء المحبة الصديقية، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه يا أرحم الراحمين.. اللهم إنا نسألك أن تحيي قلوبنا وأرواحنا وأجسامنا بنور معرفتك ووصلك وتجلياتك دائماً باقياً هادياً يا الله .

فصل في الدليل على

غلق الباب وقت الذكر

اعلم يا أخي - فتحَ الله عين بصيرتك وأغلق عنك باب الاعتراض على أوليائه - أنّ الصوفيةَ أهل خبرةٍ تامةٍ بشرع الله عز وجل، وذوو علمٍ كاملٍ بما جاء عنه ﷺ، وكلُّهم على نورٍ من ربّهم، فكل ما وضعوه من الآداب للمريدين، كتغميض العين وقت الذكر وإغلاق الأبواب عند الاجتماع للمراقبة، فينبغي أن تتلقاه بالقَبول وتعلم أنهم قد اقتبسوه من مصباح السنة على صاحبها الصلاة والسلام، فإن رأيْتَ أدباً من آدابهم ولم تعرفْ مأخَذَه من السنة فلا ينبغي أن تُطيلَ لسانك بالاعتراض عليهم.. ففوق كل ذي علمٍ عليم، والاعتراض على أهل الله تعالى سيف، من تناوله قُتِل به، لحومُهُم سمٌّ قاتلٌ لساعَتِه، من تناول منه شيئاً هلك لوقته نسأل الله العافية والسلامة من ذلك.

إذا علمت هذا فاعلم أن السادة النقشبندية أجمعوا على أن من الآداب الأكيدة المهمة للمريدين إذا اجتمعوا للذكر والمراقبة أن يغلقوا الباب وأن لا يكونَ معهم من ليسَ منهم . ولِخفاءِ مأخَذِ هذا الأدب على مَنْ ليس له قَدَمٌ في الشريعة أرَدْنا أن نشيرَ في هذا الفصل إلى بيانه..

فمن أسانيدهم في ذلك ما روى الإمام أحمد بإسناد حسن والطبراني وغيرهما عن يعلى بن شداد بن أوس قال: حدثني أبي وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: (**هل فيكم غريب ؟**) - يعني أهل كتاب قلنا: لا يا رسولَ الله، فأمر بغلق الباب وقال: (**ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله**)، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: (**الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد**). ثم قال: (**أبشروا فإن الله قد غفر لكم**)[1] .

فإن قلت إن إغلاق الباب لم يكنْ عن بعض الأصحاب بل كان عن أهل الكتاب كما هو صريح هذا الحديث وأين هو مما نحن فيه. قلنا إن إغلاق الباب منه ﷺ حُكْمٌ من الأحكام المعقولة المعنى، والحكم يدور معناه، أي علته وجوداً أو عدماً، وكم من حكم خاص في الشريعة بحسب الظاهر استفاد التعميم مما فيه من المعنى، والمعنى هنا عدم الصلاحية لسر هذا المجلس، وإلا فالنبي ﷺ مأمورٌ بالظهور للمؤمن والكافر بقوله تعالى: ﴿فاصدعْ بما تؤمر﴾[2]، فلما خصَّ هذا المجلس بغلق الباب عن بعض ولم يكنِ الكفر مانعاً من حضور بجلسه الشريف عُلِمَ أن المقتضى للإغلاق هو عدم الصلاحية لسر هذا المجلس، ومتى وُجِدَ هذا المعنى في قوم ولو من المؤمنين سرى فيهم هذا الحكم الشريف، فإنْ قلْتَ كل مؤمن من المؤمنين بمقتضى إيمانه يليقُ أن يطَّلِعَ على كل سرٍّ من الأسرار... قلنا: هيهات ثم هيهات، عن أبي هريرة قال: (أعطاني رسول الله ﷺ وعاءين من العلم، أما أحدهما فبثثته لكم، وأما الآخر فلو بثثتُ شيئاً منه

١- رواه احمد والنسائي والطبراني والحاكم وابن منصور

٢- سورة الحجر الآية(٩٤)

قطع هـذا البلعوم)[1] ، يشير إلى حَلْقِه . وكان حذيفة رضي الله عنه ممن اختصهم رسول الله ببعض الأسرار حتى كان عمر رضي الله عنه يرجع إليه في بعض أموره، واختص النبي ﷺ بالسرّ منهم بعضاً دون بعض، وهُمْ هـمْ فما ظنّك بغيرهم من الطبقات؟!

إذا تبينَ هذا فاعلمْ أنَّ الأسرارَ الإلهية التي تفاض في مجلس سالك الطريقة النقشبندية العلية لا يصلح للكشف عن وجوه مخدّارتها إلا من دخلَ في طريقهم وسار بسيرهم وكان من مريديهم ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾[2] ، فلمّا رأى أهلُها هذا الفضل الإلهي عليهم وعلى أتباعهم، وعلموا سر ذلك الحديث السابق أرشدوا إلى الدخول في هذه الطريقة وبيّنوا أقربيَّتها، فمن أحابهم كان من أهل مجلس أسرارهم، ومن لم يجِبْهُم جالسوه في المجالس العامة قضاء لحق أُخُوَّةِ الإيمان وأغلقوا عنه الباب في مجالسهم الخاصة صوناً لحقوق سرّ الرحمن وعمَلاً بإشارة حديث سيد ولد عدنان .

فإن قلت: إذا جلس في مجلسهم الخاص من ليس من طريقهم ربما انتفعَ بهم وفي ذلك جلب مصلحة، فلماذا يمتنعون منه وهم أهل الشفقة والرحمة ؟ قلنا: صدَقْتَ، ولكن المرء عدوّ ما جهل، وإنكار الأسرار أسرع إلى قلوب الأكثرين من السيل إلى الانحدار، يعرف ذلك من له خبرة بأهل كل زمان، ومتى حصل الإنكار على أهل الأسرار غضب الجبار ونزل المقت على المنكر من ساعته، وفي ذلك من المفاسد ما لا يُحْصَى، ومن الفوائد المقررة عند العلماء الأعلام أن درءَ

١- رواه البخاري

٢-سورة الحديد الآية (٢١)

المفاسدِ مقدم على جلب المصالح، فكان لهم الحق رضي الله عنهم في المنع مطلقاً جمعاً بين الحديث الشريف وهذه القاعدة، ومَن كان مِنْ أهلِ التوفيق فـأقل مـن هذا البيان يكفيه، ومن كتب الله على جبهته الخسران ورُمِـيَ مـن الحق بسـهم الحرمان، فلا يكتفي ولا بألف ألـف برهـان، والإمسـاك عـن الكـلام مـع هـذا المخذول أوْلَى بالعبد الموفّق وأحرى، وكفانا على ذلك دليلاً قول الله عز وجـل للنبي ﷺ ﴿فأعرِضْ عمَّن تولى عن ذكرنا ولم يرِدْ إلا الحياة الدنيا﴾[1] ...اللهم لا تَرْمِنا بسهامِ مَقْتِك، ورضّ عنا قلوبَ خاصّتك، واجعلنا لأحوالهم من المسلمين، ولأسرارهم من الذائقين.



١ـ سورة النجم الآية(٢٩)

فصل في عدم الاعتراض على الجذبة

وغيرها من الأحوال

اعلمْ وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أنه جَرَتْ سُنّة الله في خلقه بأن جعل لكل نبي من أنبيائه أعداءً من شياطينِ الإنس يُسَفِّهونَ أقوالَه ويرمونه بالزّور والبُهتان مُكَابَرةً منهم وعناداً وابتلاءً من الله لإظهار عظيمِ فضلهم ببيانِ جميل صبرهم وقوة ثباتهم ليضاعفَ بذلك أجورهم؛ ومَثَلُهم في ذلك الابتلاءِ المذكور ممن اقتفى أثَرَهُم واقتدى بهم من الأولياء المرشدين، فإنهم قد ابْتُلوا بتشديد النّكير عليهم، وتصويب سهام الاعتراض إليهم، والوقوع في أعراضهم فضلاً عما يتبع ذلك من تنفير الناس عن مجالستهم ومصاحبتهم، ولا يصدرُ مثل ذلك الاعتراض إلا عمن كان قلبه مملوءً بالأمراض على أنه يُخْشَى على فاعله من سوءِ الخاتمة والعياذ با لله تعالى، بل لا نراه يصدرُ غالباً إلا من بعضِ المتفقّهة في المذاهب لأغراضٍ شيطانيةٍ يريدون إنفاذها، وشهوات نفسانية يحاولون إيجادَها، وهي حبُّ الظهور بين الناس بالعلم والفقه فيضطرهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس، ولو نظروا إلى عيوبهم لاستَغْنَوا بذلك عن النظر إلى عيوب غيرهم.

قال العالم الفقيه العارف المحقق قطب زمانه عبد الغني النابلسي الحنفي في (شرح عنوان الديوان) ما نصه: (وقد اعتادَ المتفقّهة في كل زمانٍ على التفتيش عن عيوبِ الناس بحيث لا يُؤَوِّلون ما يجدونه مخالفاً لعلمهم وإن كان ألف

تأويل، بل ينكرون لمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ولو بوجهٍ ضعيفٍ وإن كان صوابه ظاهراً، بل ربما يجهل بعضهم مذهب الآخر فيُنْكِرُ عليه ما خالف مذهبه....

...أما الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم، على حسب المذاهب الأربعة، فإنَّ قلوبَهم متجانبةٌ عن الدنيا مقبِلَةٌ على الآخرة، أحوالهم متجافية عن الحسد والحقد والكبر والرياء والسمعة والعداوة، ولذلك يسلِّمون لأهلِ الأحوال من الصوفية أحوالهم، ومن شدة شفقتهم على عباد الله لا يكادون يَرَوْنَ في أحد منكراً أصلاً، ولا يجدون في الغَيْر مفسدةً قطّ لاشتغالهم بعيوب أنفسِهم عن عيوب الناس .

قال النجم الغزي في كتابه (منبر التوحيد) عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: (من أحبَّ أن يفتحَ الله على قلبِه نورَ الحكمة، فعليه بالخلوة وقلّة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب)، وقال خير الدين الرملي في (الفتاوي الخيرية): (وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكره إلا كل نفس جاهلة غبية) .. وقال الشيخ الشعراني في (الأجوبة المرضية): (وسَمِعْتُ شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري يقول: إياكم أن تنكروا على أحدٍ ممَّن أشهره الله بالولاية في بلادكم، فإن الله لا يُشْهِرُ أحداً بالولاية إلا لحكمةٍ، وللأشياخ أسوة بالرسل عليهم الصلاة والسلام.. قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً من المجرمين﴾[1]، فهي للأشياخ بحكم الإرث، فمما يعترَض به أولئك المتفقهة وقوف بعض المريدين بين يدي الأشياخ

١- سورة الفرقان الآية (٣١)

اتفاقاً بمغلوبية الحب والأدب والتواضع والإعظام لهم ولاستفادة العلوم منهم من غير أمرهم ولا رضاهم بذلك، مستدِلّين بزعمهم على هذا الإنكارِ بقوله ﷺ **(مَنْ أَحَبَّ أن يتمَثّلَ له الناسُ قياماً فليتبوَّأْ مقعَدَهُ من النّار)**[1]...

إن هذا الحب أمرٌ قلبيٌّ لا اطّلاع لأحدٍ عليه حتى يحكمَ عليه بالظنِّ مع وجودِ دلائلَ قطعيَّةٍ على ضدِّه من نهيهم مِراراً عن ذلك وإظهارهم الكراهة لمن يتّصفُ بما هنالك على أنه قال: العالم المحقّق خاتمة المتأخرين. وقال إسحاق بن إبراهيم الشهيدي: (كنت أرى يحيى القطان يصلّي العصر ثم يستند إلى أصلِ منارة مسجده فيقفُ بين يديه سليمان بن داوود وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحينَ صلاة المغرب لايقول لواحدٍ منهم اجلس، ولايجلس أحد منهم هيبةً وإعظاماً)....

..فليتَ شعري، ماذا يقول المنكر في وقوف هؤلاء المجتهدين بين يدي شيخهم، أكان بحبٍّ قلبيٍّ منه لذلك فيصدق عليه الحديث أم لا؟! كما تشهد به

١- رواه أحمد وأبوداود والترمذي عن معاوية

وقد أجمع السلف على وجوب قيام طالب العلم للمعلم والولد للوالد وغير ذلك قال تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ [سورة الحجر الآية ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ومن يعظمْ شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [سورة الحج الآية ٣٢].

وكان النبي ﷺ يقوم لبعض أصحابه وذويه فكان إذا دخلت فاطمة على النبي ﷺ قام إليها، وكذلك إذا دخل سيدنا علي وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ يحدثنا فإذا قام قمنا قياما حتى نراه دخل إلى بعض أزواجه) [رواه النسائي وأبو داود]، وعندما دخل سعد ابن أبي وقاص قال ﷺ للأنصار: **(قوموا إلى سيدكم)** [رواه البخاري وأبو داود وأحمد]

ومن أراد أن يستفيض من هذا الموضوع فيراجع كتاب (الترخيص بالقيام) للإمام النووي أو كتاب (حكم القيام والتقبيل) لمحمود الرفاعي

سيرتهم الحميدة ويؤيده حسن الظن بالسلف الصالح المطلوب في حقِّ كل مسلم، فإنِ اختار الشقَّ الأول والعياذ بالله تعالى فلا كلامَ لنا معه إذ جواب مثله السكوت، وإن اختار الشق الثاني قلنا له: هل سحبت هذا الحكم على مشايخنا المسلمين العالمين العاملين المتبعين لسيرتهم ونهج سبيلهم الواضح وتجنب التعسف والقوادح ؟!

ومما يعترض به أيضاً جذبات المريدين واضطرابهم من قوة الواردات التي تَرِدُ عليهم فتغلبهم في الصعق والصيحة طاعنين فيهم بأنّا رأينا فيهم الإسراف على أنفسهم سابقاً من الذنوب، أو قد نراه لاحقاً بهم زاعمين أن صدورَ بعض الذنوب يناقض خشوع القلب.. فنقول: الإسراف السابق لا ينافي الجذبَ اللاحق لأن كثيراً من الأولياء الأكابر جذبَتْهم الوارداتُ وهم في المعصية، وربما طعن بعضهم في الفقراء لأنهم مسرفون على أنفسهم، فنراهُم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزّلل والمعصية، وهذا لا يكون أبداً، والإسراف إذا لم يغلبِ الشرُّ على الخير بأن كان الأمر بالعكس فلا يحكم به على هلاك صاحبه جزماً، بل مَنْ غَلَبَ خيرُه على شره فهو الكامل وفي الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك، وهو الاكتفاءُ بالعِشْرِ من الخير فضلاً عن غلبته على الشر أو كونه نصفاً أو ربعاً، قال ﷺ: **(إنكم في زمانٍ من تركَ منكم عِشْرَ ما أُمِرَ به هلك، ثم يأتي زمانٌ من عملَ منهم عِشْرَ ما أُمِرَ به نجا)**[1] وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمِل بالعِشْر، وهي بشارةٌ عظيمة لمن سَلِمَ من الكفر والشّرك إلى آخر الزمان، على أن المنكِرَ لا يقفُ به تيارُ غيِّه على الوقوف على حالة المريد حتى يطعنَ على شيخه الغير المكلف بوِزْره، مع أن الخاتمة مجهولة

١- رواه الترمذي عن أبي هريرة

والعبرة بالخواتيم . وقال الشيخ النابلسي في شرح ديوان الشيخ عمر بن الفارض من بحث يتعلق بالجذبة: (وهي حالة شريفة وإن أنكرَها كثيرٌ من المتفقهة القاصرين في هذا الزمان لبُعْدِها عنهم من قسوة قلوبهم، وهي من أثر الخشوع، فقد قال ﷺ: **(اللهمَّ إني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشعُ)**[1] .

ومن ذلك إنكارهم الصيحة والصعقِ على من يحصل له ذلك فلا وَجْهَ لهم في إنكار ذلك لأنه إنما ينشأُ عن كمال خشوع القلب لله سبحانه وتعالى، فقد صحَّ عن بعض الأخيار الصعق وكثرة التأوه والبكاء الشديد والاضطراب والضرب على الأرض، وأمثال ذلك قال الشيخ الشعراني في كتابه تنبيه المغترين: (قرأ عمر رضي الله عنه ﴿إذا الشمس كورت﴾ حتى بلغ ﴿وإذا الصحف نشرت﴾[2] فخرَّ مغشيَّاً عليه، وصار يضرب على الأرض ساعة كبيرة.

وقرأ رسول الله ﷺ يوماً ﴿إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً، وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾[3] ، وكان وراءَه حمران بن أعين، فخرَّ ميتاً.

وكان ميمون بن مهران يقول: (سمع سلمان الفارسي قارئاً يقرأ ﴿وإنَّ جهنم لموعدهم أجمعين﴾[1] فصاح ووضع يديه عل رأسه وخرج هائماً لا يدري أين يتوجَّهُ مدة ثلاثة أيام.

١- رواه الترمذي والنسائي عن عمرو بن العاص ورواه الطبراني وابن عساكر عن ابن جرير

٢- سورة الشمس الآية (١)

٣- سورة المزمل الآية (١٣)

١- سورة الحجر الآية (٤٣)

فتأمَّلْ يا أخي في أحوالِ سلفِك وفي أحوالِ نفسك، الجواب لا، ما ذاك إلا لقساوة قلبك، فخُذْ حِذْرَكَ وتجنَّبْ سوءَ الاعتراض والإنكار، فقد حُكِيَ في التبيان عن جمع إنكار الصَّعق قال الشهاب ابن حجر المكي: (والصواب عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعلُه تصنُّعاً) .

ومن ذلك أنَّ المريدَ في حال جذبته لا يخلو من أحدِ الشِّقَّيْن: إما أن يكونَ باقي العقل باقي الاختيار فهي باختياره وتصنّعه، أو مسلوب العقل فينقض وضوءه، مع أنَّا نراهُ يصلّي بلا تجديدٍ للوضوء .. فنقول: هذه مغالطة بحصر الأمر في شِقَّين يلزمُ باختيار كل منهما محذورٌ، ولنا شق ثالث لا هذا ولا ذاك لا يلزم منه محذورٌ أصلاً، وهو أنه في جذبته باقي العقل مع سلب الاختيار بالمغلوبية كالمحموم بالحمى النَّافض، فإنه مع بقاء عقله مسلوب الاختيار في الارتعاش والارتعاد وما نحن فيه من هذا القبيل فهو مع سلب الاختيار مغلوب الحركات، وبقاء العقل لا يقتضي سلب الاختيار كما مثّلنا.

هذا وأحوال الأولياء ومن يتعلّقُ بهم كلها وراء طور العقل، ذلك لأنهم بلغوا الرتبةَ العُلْيا في كمال المتابعة للحضرة المُصْطَفَوِيَّة، فانصبَّتْ عليهم مياه بحار الفيض المحمَّدي بيدِ الكرم الرباني التي لا منتهى لمبادي إعطائها، فأنَّى تدرك القاصرون من شأوهم، وماذا تعرف أهل التفريط من أحوالهم ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1] نصٌّ قاطع فيما نحن فيه ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم

١- سورة الزمر الآية (٩)

ومماتهم ﴾[٢].... ﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[٣]...

هذه وغيرها مما يطّلِعُ عليه فحولُ علمِ الكتاب والسنة وجهابذة علم الشريعة دلائل قاطعة على أن لله ضنائنَ[٤] من عباده يختصّهم بما شاء من سره.

فالواجب عليك أيها الموفق حبس عنان القلم، وإمساك جواد اللسان عن الانطلاق في أعراض المؤمنين، لا سيما أهل التشبُّث بهذا الشأن الرفيع نفعنا الله بهم، وأن تملأ قلبك بالتسليم لهم إن لم تستَطِعِ العُروجَ إلى كمالاتهم ثبّتنا الله وجميع الإخوان من أهل الإيمان على الجادّة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، وختم لنا بالحسنى، وبلغنا منه فوق ما أملنا وقبلنا وتقبل منا... آمين.

* * * *

٢- سورة الجاثية الآية (٢١)

٣- سورة غافر الآية (٨٥)

٤- الضنائن هي الأشياء التي يُمْسَك بها وتُتَعَهّدُ لنفاستها

بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه قد تمّ كتاب :

(المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية)

وكان الفراغ من تمام طبعة الرائق ونظام شَكْلِه الفائق يوم الثلاثاء الموافق غُرَّةَ شهر رجب الحرام سنة تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف من هُجْرةِ من له كمال الفضلِ والشرف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملحق

يضم الختم الشريف

حتى سيدنا الشيخ أحمد كفتارو قدس سره

الاستفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأبركان الأزكيان الأعطران * على حبيب رب العالمين سيدنا محمد * المبعوث إلى كافة الثقلين * وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه وآل بيته الطيبين الطاهرين *

اللهم يا مفتح الأبواب * ويا مسبب الأسباب * ويا مقلب القلوب والأبصار * ويا دليل المتحيرين * ويا رجاء السائلين * ويا مجيب دعاء المضطرين * ويا صريخ المكروبين * ويا راحم المذنبين * ويا مقيل عثرات العاثرين * ويا ظهر اللاجئين * ويا أمان الخائفين * ويا ملجأ الراجين * ويا جليس الذاكرين * ويا أنيس العابدين * ويا قابل التائبين * ويا واصل المنقطعين * ويا غياث المستغيثين * أغثنا توكلنا عليك يا رب العالمين * ونفوض أمورنا إلى الله * إن الله بصير بالعباد * بألف لا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم.

أستغفر الله ((١٠٠ مرة))

رابطة شريفة يتوجه الذاكر بقلبه إلى الله عز وجل يسأله أن ينفعه من الشيخ علماً وعملاً وسلوكاً وأدباً وحباً، ويدعو لشيخه فإن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب، ويسأله أن يثبته مع الشيخ ولا يقطعه عنه، وأن يمده من قلبه وروحه بإذنه سبحانه تعالى.

فاتحة شريفة : يقرأ سورة الفاتحة مرة واحدة

إخلاص شريف : يقرأ سورة الإخلاص ١١ مرة

ألم نشرح لك شريفة : يقرأ سورة الإنشراح مرة واحدة

صلوات شريفة : يصلي على النبي ﷺ مائة مرة بصيغة:

الصلاة والسلام عليك ياسيدي يا رسول الله

أو: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله عددما في علم الله

صلاة دائمة بدوام ملك الله

يا قاضي الحاجات * يا مجيب الدعوات *يا كاشف المهمات*

يا دافع البليات * يا شافي الأمراض * يا مكيد الأعداء*

ذكر شريف

يتوجه الذاكر بقلبه إلى الله عز وجل ويقول بقلبه:

الله... الله... الله... الله...

وتمام الورد أن ينطق بها كل يوم ٥٠٠٠ مرة.

ولا بأس أن يبدأ السالك بألف مرة في اليوم.

وعند كل خمسين مرة يقول:

إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد المبعوث إلى كافة الثقلين * يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك * سبحانك لا نحصي ثناء عليك * أنت كما أثنيت على نفسك *

بلغ اللهم وأوصل * ثواب هذه الختمة الشريفة المباركة * بعد القبول منا * هدية زيادة في شرف شمس النبيين وقمر المرسلين * والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمي

القرشي الهاشمي المكي المدني صلى الله عليه وسلم * وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه وآل بيه وذريته الطيبين الطاهرين * رضوان الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم أجمعين *

ثم هدية من جنابه المعطر المكرم إلى روح إخوانه من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين * وآل كلٍ وصحب كلٍ أجمعين*

- وخصوصاً إلى روح الشفيق الرفيق، حضرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه *

- وإلى روح المعدود من آل بيت الرسول * سلمان الفارسي المكرم المقبول * رضي الله تعالى عنه وعنّا بجاهه *

- وإلى روح الذي هو من الفقهاء السبع * قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق * رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه *

- وإلى روح الذي بالحق ناطق الإمام جعفر الصادق قدس سره*

- وإلى روح قطب نامه سامي * سلطان الأولياء * مولانا الشيخ أبي يزيد البسطامي قدّس سره *

- وإلى روح الغوث الصمداني * مولانا الشيخ أبي حسن الخرقاني قدس سره

- وإلى روح رحيق الحب الصمدي قطب الأولياء * مولانا الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره *

- وإلى روح الإمام الرباني * مولانا الشيخ يوسف الهمداني قدس سره *

- وإلى روح الغوث الصمداني * مولانا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره *

- وإلى روح المنسلخ عن الحجاب البشري * قطب الأولياء * مولانا الشيخ عارف الريكري قدّس سره *

- وإلى روح المعرض عن المراد الدنيوي والأخروي * مولانا الشيخ محمود الإنجيرفغنوي قدس سره *

- وإلى روح الواله في محبه مولاه الغني * المعروف بحضرة عزيزان * خواجه علي الرامتني قدس سره *

- وإلى روح خواجه حق شيناسي مولانا الشيخ محمد البابا سماسي قدس سره

- وإلى روح منبع المعارف والكمال * حضرة الأمير السيد كلال قدس سره

- وإلى روح شيخنا وملاذنا ذي الفيض الجاري * مولانا الشيخ محمد الأويسي البخاري شاه نقشبند قدس سره.

- وإلى روح منبع العجائب والأسرار قطب الأقطاب * مولانا الشيخ علاء الدين العطار قدس سره *

- وإلى روح مورد عنايات الباري * مولانا الشيخ يعقوب الشرخي الحصاري قدس سره

- وإلى روح مقوي المشرب النقشبندي * مولانا الشيخ عبيد الله السمرقندي قدس سره

- وإلى روح الراكع الساجد * مولانا الشيخ محمد الزاهد قدس سره *

- وإلى روح خيري ممجد * مولانا الشيخ الدرويش محمد قدس سره *

- وإلى روح خلف أزباجكي خواجه أمكنكي قدس سره *

- وإلى روح الذي هو لماء المحبة ساقي * مولانا الشيخ محمد الباقي قدس سره

- وإلى روح الإمام الرباني * المجدد الألف الثاني * مولانا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي * قدس سره *

- وإلى روح من هو من أرباب عين اليقين * قطب الأولياء * مولانا الشيخ سيف الدين قدس سره *

- وإلى روح المشرف بالتجلي الذاتي والصفاتي والشؤون السيد نور * مولانا الشيخ محمد البدواني قدس سره *

- وإلى روح المعلى المزكى المصفى المطهر * حبيب الله شمس الدين جان جانان المظهر قدس سره *

- وإلى روح الجامع بين الكمال الصوري والمعنوي * مولانا الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره *

- وإلى روح رحلة الأبدال والأوتاد غوث الثقلين * مولانا الشيخ خالد ذي الجناحين قدس سره *

- وإلى روح محبوب الربّ الرحيم * مولانا الشيخ إبراهيم قدّس سره *

- وإلى روح الشيخ الأبهري صاحب الوجه القمري * مولانا الشيخ خالد الجزري قدس سره *

- وإلى روح النقي التقي * المتزين بالنور القدسي * مولانا الشيخ صالح السكي قدّس سره *

- وإلى روح شيخنا الفاني في الله * والباقي با لله * القطب الرباني مولانا الشيخ حسن النُوراني قدّس سره *

- وإلى روح المسكر بشراب محبة الباري * مولانا الشيخ قاسم الهادي قدس سره *

- وإلى روح غوّاص بحر علم اليقين * مولانا الشيخ عيسى أبي شمس الدين قدّس سره *

- وإلى روح القطب الربّاني * مولانا الشيخ محمد أمين الكردي الزملكاني قدس سره *

- وإلى روح قطب العارفين * وغوث الواصلين * تاج الكاملين * إمام المحققين * مُلجئ الخلق إلى الحقيقة والدين * مولانا الشيخ محمد أمين * قدس الله سره العزيز * وأفاض علينا كما أفاض على المسلمين أنواره وبره

- وإلى روح قطب العارفين * وغوث الواصلين * تاج الكاملين * إمام المحققين * إمام وقته * وفريد عصره * ذي الجناحين * شيخنا وأستاذنا، وملاذنا وحبينا ومرشدنا وقرة أعيننا * ريحانة قلوب العارفين * مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ محمد أمين قدس الله سره العزيز * وأفاض علينا كما أفاض على العالمين أنواره وبرّه*

- وإلى روح من أجازنا، وأجاز مشايخنا * وأرواح كل من السادات والخلفاء والمريدين * والمحبين والمحبوبين والمنسوبين والمعتقدين لهذه الطريقة العلية النقشبندية * وسائر

الطرق * وخصوصاً القادرية والكبروية والسهروردية والجشتية * قدّس الله أسرار أهاليها العلية أجمعين * اللهم اجعل ثواب ذلك في صحيفة أعمال كلٌ * وارفع بها في أعلى عليين منزلة كلٌ * وأفض علينا من بركات كلٌ * ولا تحرمنا من كرامات كلٌ * وأتمم لنا سلوك الطريقة والشريعة * ووفقنا لمرضاة شيخنا * وامتثال أوامره * واجتناب نواهيه * وارزقنا البقاء بك بعد الفناء فيك على قدم ساداتنا السالكين فيها * ويسر لنا طريق العلم والعمل وافتح لنا أبواب فضلك * وانشر علينا خزائن علمك برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم اجذبنا لمحبتك بمحبة أوليائك * وارزقنا التوفيق والاستقامة على طاعتك وعلى هذه الطريقة العلية النقشبندية *

واجزِ حضرة مولانا وخلفاءه عنا خير الجزاء * وزد في إحسانهم وإكرامهم * وعلوّ درجاتهم * وضاعف أجرهم * وأحي بهم السنة والشريعة والطريقة المحمدية * وزد إخلاصنا وشوقنا في حقهم، يوماً فيوماً، وساعة فساعة، يا أرحم الراحمين *

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته * ولا همّاً إلا فرجته * ولا ديناً إلا قضيته * ولا مريضاً إلا شفيته وعافيته * ولا ميتاً إلا رحمته * ولا غائباً إلا بالعافية رددته * ولا عدوّاً للمسلمين إلا أهلكته ودمرته * ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين *

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة في قلوبنا وأجسامنا * والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وآخرتنا * إنك على كلّ شيءٍ قدير * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا * وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب * ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار * وصلّ يا ربّ وسلم على حبيك وحبينا سيدنا محمد *

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾

(نهاية الختم الشريف ثم تلاوة يقرؤها قارئ خاشع)

ثم نصلي على النبي ﷺ جماعة بصيغة:

صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه، على محمد وعلى آل محمد،
عليه وعليهم السلام، ورحمة الله وبركاته. ((جماعة ثلاث مرات))

محمــد سـيد الكونـين والثقلـين
خيرُ الفريقين مـن عـرب ومن عجـم
((جماعة ثلاث مرات))

مـولاي صـل وسـلم دائمـاً أبـداً
عـلى حبيبـك خيـر الخـلق كلهم
((جماعة مرة واحدة))

اللهم تقبلها منا، ولا تردها علينا بحرمة سورة الفاتحة
((على أشرف المخلوقات سيدنا محمدٍ صلوات))

* * *

فهرس

